

إسرائيل عبر التاريخ

في
البداية

تأليف

الأستاذ الدكتور فؤاد حنين علي

مقدم التوزيع

دار النهضة العربية

٢٥ شارع عبد الله في بيروت

إسرائيل عبر السنين

في البدء

تأليف

الأستاذ الدكتور فؤاد حسين علي

ماتزم التوزيع

دار النهضة العربية

٣٤ شارع عبد الحامد تروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَطْبَعَةُ السَّيِّدَةِ
شَارِعُ خَمْرَةِ الْقَاوِل - عَابِدِي

فهرست

الصفحة .

الموضوع

أرضنا ١ - ٤٨

الحفائر - تاريخ فلسطين - الحرب العالمية الأولى -
مشكلة فلسطين - الحرب العالمية الثانية - ميثاق
بلتيمور - نكبة فلسطين .

في البدء ٤٩ - ١١٣

في البدء - موسى - فلسطين - الطقس - سكان فلسطين
وثقافتهم قبل التاريخ - سكان فلسطين قبل نزوح
الإسرائيليين - نزوح الإسرائيليين - الطعام - الكساء -
ملابس السيدات - الحذاء - التبرج - العناية بالجسد -
السكن - البيت وأثاثه - القرى والمدن - الأسيرة -
النكاح - الأرامل - الأطفال - الرقيق - الوفاة
والعزاء .

المجتمع وعاداته ١١٤ - ١٢٧

الترفيه - العلاقات الاجتماعية - المهن والحرف -
تربية الماشية - الزراعة - الحدائق .

الحرف ١٢٨ - ١٣٧

التعدين - الصباغة - النحت - النجارة - النسيج -
التجارة .

العلوم والمعارف ١٣٨ — ١٦٣
الكون - التقويم - الأسبوع - الأبرجدية - الطب -
المقاييس والمكاييل والموازين - النقود .

الدستور والإدارة ١٦٤ — ٢٠٥
القبيلة - الملكية الإسرائيلية - التشريع وتطوره -
القضاء - قانون العقوبات - القانون المدني -
الطلاق - البيع والشراء - الميراث .

الدفاع ٢٠٦ — ٢١٣
الأسلحة والذخيرة - الحصون - القتال .

العبادات ٢١٤ — ٢٤٠
المقدسات الإسرائيلية قبل التسلل إلى فلسطين -
المقدسات الإسرائيلية الكنعانية - معبد سليمان -
المعبد بعد العودة من السبي - الكهنة قبل العصر
الملكي - داود - سليمان .

العزل ٢٤١ — ٢٤٨

النبوة ٢٤٧ — ٢٥٢

أرضنا

كانت فلسطين وما زالت كغيرها من سائر البلاد العربية هدفا للبعوث العلمية من العالمين القديم والجديد وبخاصة تلك التي تعنى بتاريخ الأديان أو التاريخ القديم أو التاريخ البشرى . لكن هذه المجهودات العلمية ظلت بين مد وجزر حتى طلعت علينا مؤسسة اكتشاف فلسطين^(١) والتي أسست في إنجلترا عام ١٨٦٥ م بعد أن اخفقت محاولة قيامها مرتين مرة عام ١٨٠٤ وأخرى عام ١٨٤٠ م وقد بدأت هذه المؤسسة بداية حسنة فخططت الخرائط وحشدت كثيرين من علماء الآثار لنقبش الأرض واخراج كنوزها ، وبدأ هؤلاء العلماء بأورشليم .

ففي الفترة الممتدة من ١٨٦٧ حتى ١٨٧٠ قام (ك. ورين Ch. Warren) بحفائره في مكان المعبد القديم فاكشف « جيحون » الوارد ذكرها في العهد القديم^(٢) وهي المعروفة اليوم باسم « عين ستي مريم » الواقعة بالقرب من أسوار القدس .

وفيما بين عامي ١٨٧٢ - ١٨٧٥ نزات فلسطين بعثة انجليزية تضم بين أعضائها (تشاراس ولسون Ch. Wilson والكابتن « كوندير Conder » واللورد كيتشنر Kitchner » وضمت غرب الاردن إلى فلسطين عليا لكي تخضعه لأعمال الحفر والتنقيب التي تقوم بها المؤسسة الانجليزية . وفي عام ١٨٨٤ نجد (مودسلي Maudsley) يقوم بحفائر في سور أورشليم الجنوبي ، وخلفه عام ١٨٩٤ (ف. ج. بليتز F. J. Blitz) وواصل العمل في

(١) Palestine Exploration Fund

(٢) الملوك الأول س ١ ي ٣٣ ... وسفر أخبار الأيام الثاني س ٣٣ ي ١٤) .

هذه المنطقة حتى عام ١٨٩٧ . وكان هدف هذه البعثة كما يقال الاهتداء إلى امتداد هذا السور واتجاهه إلا أنه تبين لهُؤلاء الأثريين إن مدناً كثيرة قامت في ذلك المكان ثم طمرت . وادرك العرب أن أعمال الحفر هذه ستودي بالمدينة المقدسة القدس الشريف فأوقفوها إلا أنها انتقلت إلى جهات أخرى في فلسطين وخارجها من البلاد المجاورة تحقيقاً للمثل القائل « حيث نضع أقدامنا نقف على أرض تاريخية »^(١) .

في عام ١٨٩٠ أرسلت المؤسسة الانجليزية العالم « فليندرز بترى » Flinders Petrie ، ليشرّف على أعمال التنقيب في جنوب فلسطين اعتقاداً من الباحثين في ذلك الوقت أن في الجنوب قد يعثر على بقايا مدن هامة احتفظت باستقلالها زمناً طويلاً أبان قيام مملكة يهوذا التي عاشت فترة أطول من المملكة الشمالية « اسرائيل » وكان الغرض من أعمال الحفر فيما يقال التثبت من صحة هذا الرأي فباشّر (بترى) عمله من ابريل ١٨٩٠ حتى يناير ١٨٩٣ ثم خافه تلميذه (فردريك جونز بليتز F. J. Blitz) في منطقة « تل الحسي » والتي يرجح أنها بقايا مدينة الفلسطينيين الشهيرة المعروفة باسم « لخيش » = ل ك ي ش ، وتقع تل الحسي هذه على بعد ٢٦ كيلو متراً شمال شرقي غزة في إقليم التلال الممتد بين جبال يهوذا وسهل الفلسطينيين الخصيب ، وللوقع قيمة عسكرية هامة جداً فهو مشرف على الطريق إلى مصر وإلى جواره نبع ماء بارد عذب ما زال يتدفق بالمياه حتى يومنا هذا .

وقد وفق (بترى) حقاً عندما اختار هذا التل لأعمال الحفر إذ استطاع هو وتلميذه (بليتز) في ثلاثة أعوام الكشف عنه

(١) quocunque ingredimur, in aliquam historiam vestigium ponimus.

والعشور على بقايا ثمان مدن قامت كل واحدة منها على انقاض الأخرى ويرجع تاريخها إلى ما بين ١٧٠٠ - ٣٠٠ ق . م . وتل الحسى هذا يقع بجوار المكان المعروف اليوم باسم « أم لخش » وهو الموضع الذى جاء ذكره فى العهد القديم^(١) كما جاءنا فى رسالة من رسائل تل العمارنة أن شخصا يدعى « زمردا » كان حاكما للخييش هذه . فما الدور الذى لعبته هذه المدينة فى تاريخ فلسطين ؟ لقد كانت هذه المدينة فى مختلف العصور الطريق المؤدى إلى مصر ويسلكه العدو الذى يريد بها شرا وإلى جانب ذلك فقد كانت حصنا حصينا منذ أبعد العصور بل وأقدم حصن عرفته فلسطين فى الجنوب وبخاصة أيام السكنعانيين ومن ثم توارثته دولة يهوذا وكثيرا ما رد عن البلاد عدوان الفاتحين ، وغير « لخييش » نجد مدنا أخرى لعبت دورا خطيرا فى تاريخ فلسطين ولعل أهمها هى « أورشليم » .

أورشليم

لا زالت أورشليم ، وهى مدينة القدس الشريف ، منذ أكثر من خمسة آلاف عام قلب فلسطين النابض وأن فتحت سبعا وثلاثين مرة وأحيانا سويت بالأرض إلا أنها ظهرت للوجود ثانية فهى المدينة الخالدة حقا . فقليلة المدن العالمية التى لها ما لأورشليم من تاريخ مليء بالأعمال الخيرة والأحداث الدينية كما أننا لانعرف مدينة قاست ما قاسته أورشليم .

فى أيام ابراهيم نجد (شلم = ش ل م) أعنى (أورشليم) مكانا مقدسا للآله الأعظم^(٢) كذلك المكان المعروف باسم (موريا) والذى يقال أن ابراهيم أراد أن يقدم ابنه فيه قربانا هو حسبما جاء فى أخبار

(١) يشوع ١٠ ي ٣

(٢) نكوبن ١٤ ي ١٨

الأيام الثاني^(١) عبارة عن جبل المعبد وأول مرة نلتقى فيها بالمدينة في نصوص مكتوبة كان في رسائل تل العمارنة حيث نقرأ كيف أن والى مصر على أورشليم والمسمى (ايديمبا) يرجو فرعون أن يمدده بمدد لرد قبائل الخبيري. ثم نعرف أورشليم أيضا كحصن لليبوسيين حتى تسمت المدينة في أيامهم باسم (يبوس) ثم استولى عليها داود وعلى برجها الذى أطلق عليه اسمه فعرف فيما بعد باسم برج داود أما المدينة فجعلها عاصمة لمملكته وذلك لموقعها العسكرى العظيم وظلت كذلك أجيالا متعاقبة. ولم تكن أورشليم مدينة الملك فحسب بل مدينة الله أيضا وبخاصة بعد قيام المعبد بها ذلك المعبد الذى شيده سليمان والذى قام على انقاض المذبح الذى بناه داود على التل الشرقى لذلك أطلق لفظ (صهيون) على هذا التل. «على صهيون يسكن الله»^(٢)، ومن ثم عمم اللفظ. أعنى صهيون على كل المدينة وقد رأت أورشليم أيام سليمان عصرأ ذهبيا إلا أنه بعد تقسيم دولته تحولت أورشليم إلى عاصمة دويلة صغيرة فقيرة إلا وهى دويلة يهوذا وبخاصة فان الاهتمام وجه إلى الشمال حيث سهل إسرائيل. وفي أيام (رحبعم) استولى فرعون مصر «شيشق» على المدينة وخرب معبدها والقصر. ونحدثنا سفر أخبار الأيام الثاني^(٣) أنها خربت للمرة الثانية على يد العرب الفلسطينيين، واهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين فصعدوا إلى يهوذا وافتتحوها وسلبوا كل الأموال الموجودة فى بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضا ولم يبق له ابن إلا يواحاز أصغر بنيه.

وظلت أورشليم بين ازدهار وانهيار حتى استسلمت صاغرة لنبوخذنصر.

(١) الاصحاح الثالث الآية الثانية .

(٢) يوثيل ص ٤ ي ٢١

(٣) الاصحاح ٢١ ي ١٧ .

عام ٥٨٦ ق . م الذى لم يكتف بالإستيلاء على المدينة بل هدم معبدها وخرب مبانيها وسبي عددا كبيرا من سكانها^(١) وظلت أورشليم والمعبد وسائر المباني خربة كما نبتين هذا من سفر المراثى .

ثم ظهر الفرس على المسرح السياسى ودالت لهم بلاد كثيرة من بينها بابل وممتلكاتها فهبت على أورشليم ربح جديدة وسمح الاسرائيليين بالعودة إلى فلسطين وكان هذا الحادث بمثابة بعث جديد لهم وأخذت دماء الحياة تعاود مجراها فى الشرايين الإسرائيلية ، فشرع القوم فى إعادة بناء أورشليم وتشيد أماكن للعبادة وهى وإن لم تكن فى أبهة وعظمة ما كان قبل السبي إلا أنها خطوة فى سبيل انعاش الحياتين الدينية والاجتماعية وهكذا تخطو أورشليم بخطوات ثابتة طيلة مدة الحكم الفارسى حتى ظهر الاسكندر المقدونى فقوض أركان دولة الفرس وورث أملاكها . وتوفى الاسكندر عام ٣٢٣ ق . م . فتبخرت معه آماله وأحلامه ولم يبق الامبراطورية العظيمة التى سينفق عليها على كل من مقدونيا وفارس كما أن خلفاءه كفروا بهذه الفكرة وطلقوها وقامت عوضا عنها دول مستقلة وكانت فلسطين واحدة من هذه الدويلات إلا أنها كانت موضع نزاع بين الدولة التى قامت على ضفاف النيل وتلك التى قامت على ضفاف الفرات وسوريا واستطاع بطليموس الأول الاستيلاء على سوريا فضم إليها فلسطين وفى أوائل القرن الثانى ق . م . نجح انطيوخوس العظيم فى انتزاعها من مصر وماكاد يستتب له الأمن فيها حتى اصدر قانونين يقرر فى أولهما بناء المعبد وحرم فى ثانيهما على الأجانب الاقتراب منه كما منع أيضا إدخال الحيوانات النجسة إلى أورشليم ، وظلت المدينة المقدسة تنعم بحياة سعيدة حتى جاء انطيوخوس ايفانوس فتحوات فى

(١) الملوك الثانى ٢٤ ح ١٥ .

عصره إلى مسرح المذابح والاضطرابات وذلك لأنه عندما عاد انطيوخوس حوالى نهاية عام ١٧٠ تقدم بجيشه إلى اورشليم ونهب كنوز المعبد ولم يكتف بهذا بل حول المدينة إلى أخرى هلينية وقتل جميع الذين اعترضوه عن آخرهم فالرجال قتلوا ويبيع النساء والأطفال بيع الرقيق ، وهرب من المدينة من استطاع الإفلات وجمىء بسكان أجنب استوطناه المدينة عوضا عن الذين قتلوا أو شردوا وذلك تنفيذًا لخطته الرامية إلى تحويل اورشليم إلى مدينة يونانية لذلك سارع فهدم أسوار المدينة وخرب أجزاء من المعبد وأقام في مذبح اله اليهود مذبحا آخر للاله (جيويتير) كما أحضر جماعات مقدونية وسورية وأسكنها عكا هذا المكان الحصين الواقع شمال حصن صهيون . إلا أن يهوذا المكابى استطاع (١٦٥-١٦١) فتح اورشليم عدا البرج الذى ظل في يد المحتلين السوريين وكذلك حصن جبل المعبد كما نجد أخا يهوذا المسمى يوناثان (١٦١ - ١٤٣) يهتم بتحسين المدينة وأقامة سور قوى عزل الحامية السورية النازلة فى عكا عن حامية اورشليم ، ومن ثم نجد الأمور تتطور بين المكابيين أنفسهم مما أدى إلى تدخل الرومان . وعندما ظهر (بومبيوس) عام ٦٣ ق م أمام اورشليم طلب (اريستوبول) إيقاف القتال وأظهر استعدادة لتسليم (بومبيوس) مفاتيح المدينة ولما ذهب مساعد القائد الرومانى لإستلام المفاتيح وجدها مغلقة فاعتقل (اريستوبول) بينما سارع خصمه إلى فتح الأبواب واستولى بومبيوس على المدينة دون أدنى مقاومة وإن اضطر إلى مقاتلة اتباع اريستوبول فافنى منهم زهاء اثنى عشر ألف شخص واضطرت المدينة المقدسة إلى الاستسلام النهائى للإمبراطورية الرومانية وانتهى استقلال اليهود

ثم تتابعت الأحداث بعد ذلك وسمح القيصر لأحد عملائه الذى أسند إليه أمانة البلاد تحصين اورشليم ودبت العداوة بين هذا الأمير

الادومي صنيع الرومان وبين الحاكم الإسمي الشرعي الضعيف أعني (هيركان)
الثاني فطلب (هيركان) من (هيرودوس) (٢٧ - ٤) نصرته وكان
هيرودوس في ذلك الحين أميراً على الجليل . فلم يشعر (هيركان)
إلا وهيرودوس يواجهه في أورشليم على رأس جيش قوى فاستصرخ
(هيركان) الأمير العربي (مليخوس = ملك) فأوقع الهزيمة أولاً بالعميل
الروماني إلهو (انتيباتر) ومن ثم واجه هيرودوس . وعقب حرب شديدة
استطاع هيرودوس الاستيلاء على أورشليم وبعد مناورات دامت طويلاً
قضى هيرودوس عام ٣٧ م نهائياً على المكابيين ثم عني بأورشليم
فشيد فيها قصراً لنفسه استخدم في تشييده الرخام والذهب وفي هذا
القصر العظيم ذي الأسوار العظيمة والأبراج الشاهقة كان يقيم فيما بعد
الحكام الرومانيون الذين كانوا يحكمون إقليم يهوذا وفي هذا القصر
أيضاً استدعى (بيلاطس) المسيح وسمع أقواله . وفي أيام أنطونيوس أمر
بإعادة بناء البرج الواقع شمال المعبد وتكريماً لسيده أنطونيوس أطلق على
البرج اسم (أنطونيا) لكن أكبر بناء قام به هو البناء الجديد للمعبد بأورشليم
وقد تم بناؤه عام ٦٣ م ولم يمض على وجوده سبعة أعوام حتى هدم إلى
الأبد وكان هذا المعبد عظيماً جداً حتى ضرب به المثل القائل : من لم يرب بناء
هيرودوس لم يرب جميلاً . لكن الاحتلال الروماني صادف كثيراً من
المتاعب في سبيل مكافحة الاضطرابات والقضاء على يد المشاغبين مما اضطر
روما إلى إرسال جيش قوامه ٦٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة (فسبسيان) فاستولى
على جزء كبير من فلسطين . ولما تقدم إلى أورشليم وقعت أحداث
في روما اضطرتهم إلى العودة فأسند قيادة الجيش إلى ابنه (تيتوس) وفي عيد
الفصح لعام ٧٠ م حاصر (تيتوس) المدينة ثم هاجمها واقتحمها بعد حصار
لم يدم أكثر من خمسة أشهر . وفي ١٠ أبريل كان المعبد بكنوزه وقوداً
للنيران كما قتل ، فيما يقال ، في موقعة أورشليم هذه زهاء ألف ألف
يهودي أما البقية الباقية فقد استبعدهم الرومان وسخروهم للعمل في محاجر

مصر أو في حظائر الحيوانات المفترسة . أما أعيان اليهود وكانوا يبلغون نحو سبعمائة وجيه فقد استخدموا في جر عربة (تيتوس) لما قام بمسيرته في روما مار بقوس النصر الذي شيد خصيصاً له تخليداً لهذا النصر الذي أحرزه على اليهود وعلى جبينه كليل الغار الآن لا يوجد معبد ولا أورشليم . أن كبير حاخاميين أو مجلس يشرف على سائر اليهود . لا فلسطين يهودية ولا مجتمع يهودي .

وفي عصر القيصر (هدریان) (١١٧ - ١٣٨ م) تقرر بناء مدينة أخرى على أنقاض أورشليم التي خربها الرومان وأصبحت مقراً للفرقة العاشرة من الجيش الروماني فبدأ في تشييدها عام ١٣٠ م وأطلق عليها اسم (اليا كابيتولينا Aelia Capitolina) وحيث كان المعبد القديم شيد معبد للاله (زويس) . فأثارت هذه التحديات اليهود فقاموا قومة رجل واحد تحت زعامة (بر كوكبة) واستولوا على أورشليم وخلدوا هذا النصر بإصدار عملة تحمل الشعار : لحيرورت يروشليم ، أي لتحرير أورشليم . إلا أن هذه الحربة لم تدم طويلاً إذ انقض القائد الروماني (يوليوس سيفيروس) بأمر من القيصر هدریان على بر كوكبة فهزمه والثوار شر هزيمة وقتل بر كوكبة كما حرم على اليهود دخول أورشليم التي صارت تعرف باسم (اليا كابيتولينا) وهدد بإعدام كل يهودي تحدثه نفسه بدخولها وهكذا أخذ الظلام يخيم على المدينة حتى انتصرت المسيحية فقوضت معبد جيوريتتر لسكن اليهود ظلوا كما هم محرومين من دخول المدينة اللهم إلا إبان فترات قليلة ولما جاء يوستينيان الأول (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ذهب بعيداً في اضطهاد اليهود فجردهم حتى من الحقوق العامة فازداد حقدهم على البيزنطيين وأخذوا يتحينون الفرص للتخلص من نير حكمهم ففي أوائل القرن السابع الميلادي تحالفوا مع الفرس ولما أقبل خسرو الثاني يقود جيشاً مهاجماً سوريا وفلسطين احتشدت جماعات من اليهود تحت قيادة

بنيامين الطبري الذي انضم بقواته إلى الفرس وتقدموا تحت العلم الفارسي، إلى أورشليم للاستيلاء عليها وتحريرها من حكم البيزنطيين وقد تم لهم النصر واستولوا على المدينة في يوليو عام ٦١٤ م إلا أن القيصر هرقل عاد فاستردها عام ٦٢٧ م كما استرد فلسطين وضرب بذلك النصر الدولة الساسانية الضربة القاضية وعاد اليهود ثانية عبيدا للبيزنطيين لكن ظهر في ذلك الوقت عدو جديد متربصا بالبيزنطيين في الشرق وهذا العدو الجديد هو الإسلام إذ ضرب العرب البيزنطيين الضربة القاضية حقا في عام ٦٣٨ م استولى جيش الخليفة عمر على أورشليم وساد الإسلام فلسطين وأصبحت أيا كابتولينا أو أورشليم تعرف منذ ذلك التاريخ باسم القدس الشريف. كما أصبحت المسكن المقدس الثاني بعد الكعبة عند المسلمين . ففي القدس الحرم الشريف ويقال أن يوم الفصل في الآخرة سيكون في القدس .

وتحت راية الإسلام تنفس اليهود نسيم الحرية بعد أن ذاقوا مرارة الاستعباد قرونا طويلة من الوثنية حينما والمسيحية أحيانا وظلوا ينعمون بعدالة الإسلام حتى رماهم الله بالصليبيين ففي عام ١٠٩٩ م انقض الصليبي (جوتفريد فون بويون) على المدينة المقدسة وجمع يوم ٢٥ يوليو ١٠٩٩ م جميع اليهود قرأتين ورباين في معبد وأشعل فيهم النار وبذلك قضى نهائيا على يهود القدس . ومن حسن الحظ أن الحكم المسيحي لم يدم طويلا في البلاد إذ استرد صلاح الدين في ٢ أكتوبر ١١٨٧ م المدينة وقضى على الدولة الصليبية وعادت القدس إلى حظيرة الاسلام ثانية .

وليست هذه هي آخر نكبة نكبتها اليهود ففي عام ١٢٦٠ غار المغول بقيادة هولاكو على المدينة المقدسة وظن اليهود أنهم شعب ياجوج وماجوج الذي تنبأ به أنبياؤهم فقتل جيش هولاكو كثيرين من اليهود وشرد الباقين ونجح أحد اليهود في إنقاذ نسخة العهد القديم الوحيدة في القدس ونقلها إلى نابلس . ولما استولى السلطان الأشرف سلطان مصر على عكا واستخلصها من.

المسيحيين سقط آخر حصن مسيحي في البلاد المقدسة وبذلك سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين واستيطانها وهكذا نجد الهجرة اليهودية إلى فلسطين تأخذ في الزيادة تدريجيا وبخاصة منذ عام ١٥٠٠ م وذلك نتيجة لطردهم اليهود من اسبانيا والبرتغال ، كذلك زادت الهجرة إلى فلسطين عقب ضمها إلى الدولة التركية أيام سليم الأول عام ١٥١٧ م عقب المعركة التي دارت بين الترك والمماليك عند حلب ولم يكبد ينتصف القرن السابع عشر حتى تدفقت جموع كبيرة من اليهود البولنديين على فلسطين وأبان ذلك العصر ظلت فلسطين كما مهملا حتى أخذت الدول الأوروبية توجه اهتمامها إلى الشرق وقد بدأ ذلك بمجيء نابوليون بونابرت حيث تقدم نحو فلسطين عام ١٧٩٩ ماراً بالعريش وغزة على رأس قوة مؤلفة من اثني عشر ألف مقاتل . وفي عام ١٨٠٠ وجه نابوليون نداءً لليهود الشرقيين يدعوهم إلى مساندته والانضمام إلى صفوفه ووعدهم بمقابل ذلك بمنحهم البلاد المقدسة وأن يعيد إلى القدس مجدها القديم ومكانتها الرفيعة إلا أن يهود القدس ظلوا على ولائهم لتركيا لأنهم لم يثقوا في نابليون ووعدوه وفشلت حملة نابوليون واختفى سريعا من مسرح السياسة الشرقية ، إلا أنه فتح أنظار الأوربيين إلى فلسطين وإلى القضية الصهيونية . وفي عام ١٨٢٥ ثار السكان ضد الباب العالي لفداحة الضرائب وغلاء المعيشة كما استولى محمد علي باشا عام ١٨٣١ عليها ومن ثم اضطر تحت ضغط السياسة الأوربية إلى التنازل عنها عام ١٨٤٠ إلى السلطان عبد المجيد .

وفي ديسمبر ١٩١٧ سقطت في يد الانجليز في اليوم التاسع من شهر ديسمبر وقف الجنرال اللنبي أمام باب يافا بالقدس وقال جملته المشهورة .
« إن الأرض الموعودة ليست للعرب أو الفرنسيين أو اليهود وإنما للانجليز ، وعد الجنرال اللنبي بلاده فلسطين ، وكان وعده هو الوعد الرابع ، إذ سبق أن وعدت بها إنجلترا العرب في أكتوبر عام ١٩١٥ ،

والفرنسيين في مايو عام ١٩١٦ ، واليهود في نوفمبر عام ١٩١٧ ، ووعدت انجلترا نفسها في ديسمبر من العام نفسه . لذلك تهكم الساسة الغربيون على العهود الأربعة التي قطعت ، والوعود التي بذلت ، وأطلقوا على فلسطين : « الأرض التي تعدد الوعد بها too much promised » .

إن مشكلة فلسطين قديمة وأقدم من المؤتمرات الصهيونية إلا أن حدثاً هاماً وقع في العالم اليهودي لفت نظر اليهودية العالمية وذلك لأن صحيفة من كبريات صحف فينا وهي «دي نويه فرايا بريسا Die Neue Freie Presse» أرسلت أحد أبناء بودابست وهو تيودور هرزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) إلى باريس ليوافيها بأخبار قضية «دريفيوس Dreyfus» ، المتهم بالتجسس . وكان (هرزل) حتى ذلك الوقت بعيداً كل البعد عن فكرة الصهيونية ، إلا أن حركة العداء للسامية التي تجلت في هذه القضية دفعت (هرزل) إلى الإرتقاء في أحضان الصهيونية ووضع رسالته المشهورة المعروفة باسم «دولة اليهود Judenstaat» ، وفيها يدعو (هرزل) إلى إيجاد حل لإنقاذ يهود أوروبا من العذاب والاضطهاد واقترح حلاً لهذه المشكلة إيجاد وطن قومي يهودي . ولم يكن (هرزل) هو أول من اقترح مثل هذا الحل ، فقد سبقه إليه (موسى هس Moses Hess^(١)) مؤلف كتاب «روما وأورشليم Rom und Jerusalem» (١٨٦٢) وكذلك «ليون بينسكر Leon Pinsker» ، صاحب كتاب «التحرر Autoemancipation» (١٨٨٢) وإلى هذه الرسالة يرجع الفضل في بعث «حركة أصدقاء صهيون = حبيوه صيون» ،

والنتيجة المنتظرة لمثل هذا النشاط الصهيوني تبلور فكرة قيام الدولة.

(1) A. Pollak : Zionismus. Berlin. 1934 p. 33.

اليهودية والتي أصبحت عقيدة راسخة عند الصهيونيين فاستغلوها استغلالاً قوياً ودعوا لها بمختلف الوسائل فتلقفتها الجاليات اليهودية في مختلف المدن الأوروبية وبخاصة هذه الجالية النازلة في مدينة « بلونسك Plonsk » الصناعية الواقعة على النهر الذي تنسب إليه وعلى بعد ستين كيلو متراً شمال غربى وارسو . وفي هذه المدينة أبصر نور الحياة « دافيد افيجدور جرين David Avigdor Green » أو كما تسمى وهو ابن الرابعة والعشرين « دافيد بن جوريون » ثم منذ عام ١٩١٥ لما اقترن بالسيدة « بولا مونفيس » لا ينادى في البيت إلا باسم « دوفيدله » وهو الابن السادس للسيد « افيجدور جرين » وحرمة السيدة « شيندال » .

وعلى بعد ثلثمائة كم . شرقى « بلونسك » من الجانب الآخر لوارسو تقوم مدينة « بنسك Pinsk » حيث التحق في نفس العام الذى ولد فيه دافيد أعنى ١٨٨٦ طفلاً يهودى آخر يدعى « حاييم فيزمان » وهو ابن اثنى عشر عاماً بمدرستها التجهيزية .

ومن الغريب حقاً أن يجمع التاريخ بين هذين الشخصين اللذين ولدا في وطن واحد وفي عصر واحد وحققتا رسالة واحدة إلا وهى احتلال فلسطين فخايم كان مهندسها ودافيد بناءها و (فيزمان) أول رئيس لها كما أن بن جوريون أول رئيس لوزرائها .

أما (افيجدور) فقد تخرج فى كلية الحقوق إلا أن الحكومة القيصريّة الروسية منعتة من مزاولة مهنة المحاماة لكن هذا المنع لم يحل دون ذبوع حصيته وتخليق شهرته بين أهالى (بلونسك) حيث قصده الكثيرون من أهالى البلدة لاستشارته فيما يعن لهم من مشاكل . وكان (افيجدور) حريصاً على تعليم أولاده اللغة العبرية إلى جانب الروسية اللغة الرسمية فأثار غضب كثيرين من متزمتى اليهود الذين ينظرون إلى اللغة العبرية على

أنها لغة مقدسة ويجب ألا تنحدر إلى السوق والسوقة ، كما عني دافيد منذ طفولته بدراسة تاريخ الكتاب المقدس والشرق الأدنى فوجدت الصهيونية إلى نفسه ترحيباً وقبولاً فتجاوب مع والده فيما يدعو إليه بين أنداده وأقرانه وتكاثر رواد بيت (جرين) وتحمست بعض الأقلام فدبجت المقالات حول تحقيق فكرة الوطن القومي ، كما نشط (جرين) وأكثر من عقد الاجتماعات وتأسيس المسكاتب في البلاد المختلفة للدعوة لهذه الفكرة بين مختلف الطوائف اليهودية في روسيا القيصرية .

أما (هرزل) فقد أصدر مجلة أسبوعية تسمى (دى فيلت Die Welt) وذلك في ٤ يونيه ١٨٩٧ وظالت تصدر نحو ١٧ عاماً كلسان رسمي للدعاية الصهيونية ، وفي المدة الممتدة بين ٢٩ - ٣١ أغسطس ١٨٩٧ عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بازل بعد أن رفضت الطائفة اليهودية وجماعة الحاخاميين عقده في مدينة ميونخ فكان هذا المؤتمر أول مجلس نواب يهودي بعد ألفي سنة ، وللمرة الأولى أخذ يتحدث اليهود داخل هيئة جماعية عن العودة إلى فلسطين كما لو أن العودة حقيقة واقعة وليست حلمياً وأمنية ، ثم عرض المؤتمر لعدة مقترحات تهدف إلى تحقيق فكرة الوطن القومي منها إنشاء جامعة عبرية في القدس ، وفتح اعتماد مالي وطني يهودي وتأسيس مصرف يهودي مركزي في لندن لتمويل استثمار فلسطين وقد حقق اليهود جميع هذه الخطوات التي نادوا بها في عام ١٨٩٩ تكون البنك اليهودي الاستعماري (Jewish Colonial Trust) .

وفي عام ١٩٠١ (قرن قياميت لیسرائیل) أعنى الرصيد القومي اليهودي .

وفي عام ١٩٠٢ قامت الشركة الفلسطينية الإنجليزية في يافا (Anglo - Palestine Company) وفي أبريل ١٩٢٥ ، افتتحت الجامعة العبرية بحضور اللورد بلفور وكثيرين من مشاهير الرجال .

كذلك استقر الرأي على صنع علم يهودي قومي من اللونين الأزرق والأبيض كما تقرر كذلك وضع نشيد للوطن المنشود وهو النشيد المعروف اليوم باسم (هتقواه Hatiquwa) أي الأمل .

جميع هذه القرارات وتلك الأحداث لم تأت وتذهب وكأنها حبر على ورق فقط بل نفذت وتركت أبعد الآثار بين اليهود عامة وبخاصة الأوربيين منهم الذين كانوا عرضة للاضطهاد .

ففي (بلونسك) نجد دافيد ابن الرابعة عشرة يكون مركزاً لحركة الشباب الصهيوني حيث أقسم الأعضاء ألا يتحدثوا إلا العبرية وآلوا على أنفسهم أن ينشروا العبرية بين الشبيبة اليهودية ثم سرعان ما نجد لسان دافيد ينطلق خطيباً في وارسو داعياً باللغة العبرية إلى نشر المبادئ الصهيونية . وبلغ من مهارة أفيجدور جرين أنه استغل مرة تشكيل الحكومة الروسية ببعض اليهود عام ١٩٠٣ في بساراييا فضاغف جرين وغيره من اليهود من نشاطهم وأسس دافيد هيئة العمال الصهيونيين (فوعالي صيون) وهي هيئة عمالية صهيونية اشتراكية تهدف إلى العمل على الاستيلاء على فلسطين .

لكن الذي حدث أن محاولة شراء هرزل لفلسطين من الباب العالي باءت بالفشل فدخل هرزل مع الإنجليز عقب قيام الشركة الفلسطينية الإنجليزية في مفاوضات خاصة للاستيلاء على منطقة العريش إلا أن موقف مصر الحازم قضى على هذه المحاولة بالفشل . فلجأ هرزل إلى وزير المستعمرات

البريطاني يوسف شميرلين الذي اقترح عليه أن يقطع اليهود نحو ١٥ ألف كيلو متر مربع من مرتفعات كينيا لاستيطانهم على أن تكون الدولة اليهودية تحت الحماية البريطانية ويعرف هذا المشروع باسم مشروع أوغنده . فقبله هزل وأنصاره على أنه وسيلة لا غاية وسيلة لأنه سيتمكن اليهود هناك من تشكيل جيش قوى يستطيعون بواسطته غزو فلسطين والاستيلاء عليها ١١ لكن هذا المشروع الذي عرضته إنجلترا عام ١٩٠٣ أصطدم بمعارضة قوية قام بها وتزعما متطرفو الصهيونية وقال دافيد وأنصاره حملته الشهيرة : أن الصهيونية ليست البحث عن وطن نهرب إليه من الاضطهاد الأوروبي بل العمل على العودة إلى فلسطين ، فحزم المشروع عند ما طرح للبحث في المؤتمر السادس الصهيوني (بازل ٢٣ - ٢٨ أغسطس ١٩٠٣) وذلك بسبب تمسك الصهيونيين الروس .

ولم يقف تطرف دافيد عند هذا بل نجده بينما يدرس في وارسو يهجر العلم وينصرف إلى الشغب والدعاية الصهيونية ففشل في دراسته ثم سمع من أحد العائدين من فلسطين ما حجب إليه الهجرة إلى الأرض الموعودة فاتفق مع صديق له وهو (شلومو زيماخ) على الرحيل إلى فلسطين فاستقلا سفينة روسية أقلعت من أوديسا إلى البحر الأبيض المتوسط ووقف الشابان في ملابسهما الرثة يتطلعان في لهفة إلى الأفق علما يبصران أول جزء من فلسطين وبغته وبعد رحلة دامت ستة أسابيع ظهرت لهما يافا وطن قبيلة دان وفي مياهها تحطمت سفينة نبي الله يونس عندما غضب الله عليه فابتلعه الحوت ، كما يحدثنا التاريخ أن اليونانيين كثيراً ما استدرجوا اليهود إلى يافا وأغرقهم في مياهها .

رست السفينة وخرج اليهوديان (دافيد) و (شلومو) ، وقصدا لتوهما فندقاً متداعياً يسمى فندق حايم باروخ ، وهناك اجتمع دافيد بالأعضاء (م - ٢ - إسرائيل عبر التاريخ)

المحلين لجماعة (فوعلى صيون) وتوجهوا في تلك الليلة إلى (فتاح تقوه)
أى (مفتاح الأمل) وقد أسسها يهود القدس عام ١٨٧٨ وتعتبر هذه المستعمرة
الأم التي ولدت مختلف المستعمرات الصهيونية في فلسطين وخارجها ،
والى البارون روتشيلد يرجع الفضل فى تمويلها كما خلق منها مستعمرة
زراعية هامة وقد ظل دافيد يعمل هناك فى الزراعة والخبز عاما كاملا .

وحدث أن عقد فى فلسطين مؤتمر للعمال الصهيونيين فظهر من بين
رؤسائه يهودى روسى وصل حديثا من أوكرانيا هاربا من وجه الحكومة
الروسية التى كانت تريد القبض عليه لخيازته كميات كثيرة من الأسلحة
والذخيرة واسمه (أسحق شيمشيليفيتش Schimschelevitsch) ولما وصل
يافا نزل فى فندق صغير بها . وسجل اسمه على أنه (بن تصبى) (ابن الطيب) .
وهو اسم تنكرى ظل محتفظا به حتى وفاته وهو رئيس الدولة ، فنشأت
بينه وبين دافيد صداقة قوية . وانتهز دافيد فرصة انعقاد مؤتمر العمال
الصهيونيين واتخذ قرارا أشد خطورة على العروبة من هذا النشاط الاقتصادى
الذى يقوم به هو وسائر زملائه فى فلسطين . أما هذا القرار الخطير فهو
إنشاء هيئة سرية عسكرية تعرف باسم (هشومير) أى الحارس ويرأس
هذه الهيئة أسحق بن ظبى والذى قرر كذلك إصدار مجلة أسبوعية تكون
لسان حال العمال الصهيونيين وفى اللغة العبرية واسمها (ها احدث) أى
الاتحاد واختار فتاة تعاونه اسمها (راحيل يانيت) وهى التى اقترن بها فيما
بعد . ولكن راحيل كانت تجهل العبرية لذلك اضطر إلى طلب مساعدة
دافيد والذى كان يعمل وقتذاك فلاحا فى الجليل . وفى عام ١٩١٠ حضر
دافيد إلى القدس حيث أخذ يعمل صحفيا إلى جانب عمله الجديد كموظف
فى هيئة العمال الصهيونيين كما تعين رئيسا لتحرير مجلة (ها احدث) ودبج
لها أول مقال له وقد وقع به باسم (بن جوربون = ابن الشبل) وهذه هى
أول مرة استخدم فيها هذا الاسم الجديد والذى ما زال يستعمله حتى

حيومنا هذا وكان عمره وقتذاك أربعة وعشرين عاما كما أعلن نفسه
.. هو اطنا فلسطينياً .

ويذكر عن بن جوريون أنه لم يكن راضيا عن موقف اليهود من فلسطين
مخاليفهم إذا ما وفدوا عليها جاؤها كسائحين ولفترة قصيرة لذلك قال مرة :
"في روما كأوليك وليس في صهيون يهود: وعال هذه الظاهرة بعدم استقرار
اليهودية وتواصلها في فلسطين لذلك اتفق مع بن ظي على الاستعانة بالطرق
العلمية لتدعيم اليهودية وتثبيتها وتقوية أصولها في فلسطين وذلك لن يتأتى
دون القيام بدراسات علمية مختلفة تساعد على بعث الوعي القومي ، وقر
قرارهما على السفر إلى استنبول صاحبة السيادة الحقيقية على فلسطين لدراسة
اللغة التركية أولا والقانون ثانيا وقد منى كل منهما نفسه بأنه سيأتى اليوم
الذى يدخل فيه مجلس الأعيان التركي ممثلا لليهود . فسافر بن جوريون إلى
سالونيكى حيث تعيش هناك جالية يهودية كبرى ومنها إلى استنبول حيث
التقى بالأمير عبد الله بن حسين بن على الذى كان يدرس فى نفس الكلية .
توثقات بينهما صداقة قوية ظلت حتى بعد عام ١٩٤٦ عندما تولى الأمير
عبد الله أمارة الأردن (١) .

ولحق بن ظي بصديقه بن جوريون وحذا حذوهما كثيرون من الشباب
اليهودى الفلسطينى فنجد أمثال موشى شرتوك الذى اتصلت حياته بحياة
بن جوريون زهاء أربعين عاما . ووفد على استنبول أيضا اليهودى العسكرى
(يوسف ترومبلدور) الذى ذاع صيته جنديا بأسلا فهو الضابط
اليهودى الوحيد فى جيش روسيا القيصرية وقد أبلى بلاء حسنا فى الحرب
الروسية اليابانية فطارت شهرته من سيبيريا إلى البحر الأسود ، وقد

(1) Rabert St. John : Ben Gurion. Muenchen 1961 p. 152
164, 178, 254.

فقد ذراعه أبان حصار ميناء (بورت أرثر) وأصبح مواطناً فلسطينياً
فطن (داجانيا) الواقعة على الحدود السورية الفلسطينية وقد روى عنه
أنه بالرغم من مغامراته الحربية كان من أنصار السلام والداعين له .

وأعلنت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) واختلف رأى
الصهيونية العالمية حول الموقف الذى يجب أن نقفه منها فن جورىون
وبن ظي أصدرنا نشرة فى اللغة العبرية حول إدارة الولايات التركية .
أما حايم فيزمان فقد أعلن منذ اللحظة الأولى وقوف الصهيونية العالمية إلى
جانب بريطانيا العظمى ومن بين الزعماء الصهيونيين مثل بن جورىون من
يرون فى انتصار بريطانيا انتصاراً لروسيا التى كثيرا ما اضطهدت اليهود .
وسامتهم سوء العذاب ثم اخذت تركيا تجند القادرين من رعاياها وكان
أن أصبح (موسى شرتوك) ضابطاً فى الجيش التركى واختفى (ترومبلدور)
وظهر فجأة فى الإسكندرية وقرر بن جورىون وبن ظي تعبئة فيلق لخدمة
قضية فلسطين والاشتراك فى فتحها تثبيتاً لحق اليهود فيها وبغته ظهر
فى الإسكندرية إلى جوار (ترومبلدور) يهودى خطير جداً إلا وهو
(فلاديمير جابوتينسكى) الصحفي الروسى والذى كان يشارك بن جورىون
بغضه لتركيا فقد صرح مرة : حيث تحكم تركيا لا تطلع شمس ولا يثبت
عشب . وهو يوافق أولئك الذين يقررون إن ضياع تركيا شرط لا بد منه
لإنشاء الوطن القومى اليهودى . وقد كان (جابوتينسكى) خطيباً مقوهاً
يجيد عدة لغات فكان المثل الأعلى للشباب اليهودى كما كان شاعراً وعالملاً
وناقداً فنياً وصهيونياً متطرفاً فلفت إليه أنظار أمثال (جوركى) و (توستوى)
وكان الوطن القومى فى رأيه كل فلسطين بحدودها الطبيعية بما فى ذلك الأردن .
لذلك قرر كل من (ترومبلدور) و (جابوتينسكى) تعبئة فيلق يهودى
يشارك فى فتح فلسطين فيسجل لليهود نصراً عظيماً يكيف مستقبل فلسطين .
وقد تم لها ما أرادا وتكون فيلق من ستمائة يهودى يستخدمون البغال

فانجسوا تحت قيادة (ترومبلدور) إلى غاليلوى وأطلق على هذا الفيلق اسم
« فيلق بغال صهيون ».

وبينما تجرى الأمور على هذه الوتيرة في الشرق إذ بنا نجد بغثة
بن جوريون وبن ظبي يصلان إلى الإسكندرية فيلتقيان باليهود والانجليز
ومن ثم يواصلون سفرهما إلى نيويورك فيصلانها في صيف عام ١٩١٥
وهناك أخذوا يدعوان يهود أمريكا إلى تكوين جماعة (حلوصيم) :
(رواد) ليساهموا بانضمامهم إلى الجيش البريطاني في غزو فلسطين وسيكون
هذا الفيلق همزة الوصل بين الأمريكيين وسائر اليهود وانضم الفيلق إلى
الجيش البريطاني لا الأمريكي وبخاصة فان أمريكا لم تعلن الحرب على تركيا
بل على ألمانيا .

وفي أواخر عام ١٩١٥ التقى بن جوريون في أمريكا بيهودية روسية
كانت تعمل معرضة هناك واسمها (بولا مونفيس Paula Munweis
هافترن بها سرا .

وإذا تركنا (ترومبلدور) وفيلقه وانجسنا إلى إنجلترا عام ١٩١٧ وجدنا
(جابوتينسكى) بعد أن اندلعت نيران الثورة في روسيا يحصل على إذن
من بريطانيا بتعبئة فيلق يهودى يحارب إلى جانب الفيلق البريطانى ٣٨ مشاة
ويتنزه (ترومبلدور) اندلاع الثورة الروسية أيضا ويحاول تكوين
جيش قوامه مائة ألف يهودى ليخترق بهذا الجيش القوقاز إلى فلسطين
ويستولى عليها .

وفي شهر نوفمبر صدر وعد بلفور وفي ديسمبر انتزعت القدس
من تركيا .

وفي ابريل ١٩١٨ التحق بن جوريون بالفيلق اليهودى الأمريكى
وتلقى تدريبه العسكرى في كندا وأصبح الفيلق اليهودى الأمريكى تابعا لفيلق

البريطاني ٣٩ مشاة . وفي أغسطس وصل هذا الفيلق إلى مصر حيث انضم إليهم يهود آخرون وكان بن جوريون في رتبة صف ضابط وبن ظبي (نفر) . ولم يكد الفيلق يصل إلى الصحراء حتى ساءت حاله ومرض بن جوريون . واستولى اليأس على الجميع وانحطت الروح المعنوية وأخذ كل يحاول الهرب فمثلا بن جوريون لم يكد يعلم بوصول (حاييم فيزمان) إلى القدس . حتى هرب من فيلقه الذي كان معسكرا في تل اييب إلى القدس ومن ثم أعيد ثانية فقبض عليه البوليس الحربي البريطاني وقدمه للمحاكمة فانقصت رتبته وسجن ثلاثون يوما ثم نقل إلى فرقة أخرى .

لكن التحاق بن جوريون بالفيلق اليهودي الأمريكي ، بريطاني مشاة ٣٩ و (ترومبلدور) في روسيا و (جابوتينسكي) في الفيلق اليهودي بريطاني مشاة ٣٨ ترك فراغا في الزعامة الصهيونية في الشرق نفلا الجو . لظهور زعماء آخرين أمثال (بيرل كتسنيلزون Berl Katznelson) اليهودي الروسي الذي كان مدرسا وتاجر كتب ، كذلك ظهر (الياهو جولومب Eliahu Golomb) أما الأول فقد كان شعاره : القوة . الكرامة . الرسالة ، وقد أخذ عنه بن جوريون هذه الشعارات وصاغها في عبارته المشهورة : اذا ارادت أمة أن تحقق رسالتها عليها أولا أن تبعث في نفسها القوة والكرامة ، . أما (جولومب) ، زوج أخت موسى شرتوك ، الضابط في الجيش التركي فقد اهتم بجمع متطوعين لمساعدة الجيش البريطاني ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها تعاون مع بن جوريون وكتسنيلزون وبن ظبي في تكوين الهاجاناه وبخاصة عقب وضع فلسطين تحت الانتداب بمقتضى قرارات مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ وإلغاء الحكومة العسكرية وإيفاد اليهودي السير هربرت صموئيل حاكما على فلسطين .

ثم نجد بن جوريون يتعاون مع (كتسنيلزون) وينشئان حزبا

جديداً الأ وهو (أحدوت عابودا) أى وحدة العمل كما إزداد نشاط مختلف الزعماء الصهيونيين فى خلق الجمعيات الارهابية السرية التى أشاعت الإرهاب والقتل والفوضى فى مختلف أنحاء البلاد ، وبخاصة بعد أن عاد (ترومبلدور) من روسيا واستقر فى الجليل وأقام فى مستعمرة (تل حى) وواصل تدريب الشبيبة على أعمال العصابات والقيام بأعمال القتل والنهب وفى إحدى الليالى وقع اشتباك بينه وبين جماعة من العرب فإرداه قتي عربى قتيلاً وانتهت حياة هذا الضابط الروسى الذى زعم يوماً ما أنه سيقود جيشاً من مائة ألف مقاتل يهودى لفتح فلسطين^(١) .

ثم توالى الاصطدامات بين العرب واليهود الذين لم يدخروا وسعاً فى شراء الأسلحة واستيرادها من مختلف البلاد الأجنبية وكان يقوم بهذه المهمة أحياناً (جولوب) و (دافيد هكوهين) اللذين اتخذا من فينا وكراهما لتسويق الأسلحة وتخزينها ثم إرسالها إلى فلسطين تحت اسم حكومة الانتداب وبصرها .

ولم يقف نشاط بن جوريون عند خاق أول جيش حديث فى فلسطين وتزويده بمختلف الأسلحة بل اتجه إلى تنظيم الحياة الاجتماعية والإقتصادية ليهود فلسطين فأنشأ منظمة المستدروت ، وهى عبارة عن هيئة العمال اليهود وهى من أعجب المنظمات العمالية فى العالم فهى تضم النحاتين والفنانين والكتاب والعلماء والمدرسين وسائقى السيارات وغيرهم بتعبير آخر نصف سكان فلسطين فالمستدروت بتكوينها هذا تمثل مصالح أصحاب العمل والعمال ، كما أنها تراقب أهم شركات التأمين والمصارف الكبرى ومعظم جميع طرق المواصلات كما أنها تملك معظم أسهم شركات البترول فى البلاد ونصف أسهم باقى الصناعات ومن بينها شركة البناء

(١) قتل عام ١٩٤٤ فى ١١ مارس .

الكبرى التى تحتكر هذه المهنة كما تمتلك المستدروت مسرحا خاصا بها .

والان لا يوجد فى فلسطين المحتلة فرد يستيقظ أو ينام ، ياكل أو يجوع ، يسافر أو يقيم يحيا أو يموت إلا وعلى صلة بالمستدروت . أما مركز هذه المؤسسة الجبارة والذي يسمى وبحق (كرملين) فى تل أبيب حيث يشغل بناء شامخا ، وبلغ من دهاء بن جوريون ومكره أنه أدخل العرب فيها ليسهل تهويدهم وكسبهم للصهيونية .

ولا يقف نشاط بن جوريون عند هذا بل نجده يقتحم أبواب الوكالة اليهودية التى أسستها اليهودية العالمية لتكون بمثابة حكومة ترعى مصالح اليهود وتعمل على تحقيق فكرة الوطن القومى وهى ورسالتها هذه حكومة داخل حكومة لها ميزانيتها ولها جيشها ووكالات انبائها ووقع اختيارها على بن جوريون كعضو فى مجلسها أى وزيرا فى دولة لم توجد بعد .

أما جيش الوكالة فقد كان الهاجاناه وقد سلحت انجلترا معظم فرقته بحجة الدفاع عن المستعمرات اليهودية التى كانت منتشرة فى مختلف أرجاء فلسطين كما عهدت حكومه الانتداب إلى هذا الجيش بحراسة طرق المواصلات والحدود الشمالية والشرقية كما أسندت الحكومة البريطانية إلى أحد ضباط مخبراتها فى فلسطين وهو (أورد وينجت Ordo Wingate) أو (ت . ي . لورنس T. E. Lawrence) إقليم يهوذا تدريب اليهود على حرب العصابات . فهذا الضابط هو شر ما رمت به الحكومة البريطانية العروبة سواء فى فلسطين أو خارجها ، فقد انكب هذا الإنجليزى فى انجلترا على دراسة اللهجات العربية البدوية لا عن طريق محاضرات مدرسة اللغات الشرقية والافريقية فى لندن بل كان يتجول فى (إيست اند East End) فى لندن حيث يقطن بعض البحارة العرب وهناك استأجر غرفة وعاش فيها عيشة العرب كما ارتدى ثيابهم وأكل طعامهم وتخلق بأخلاقهم ، ولما أتم تدريبه عمليا أرسلته

يربطانها إلى فلسطين كضابط مخبرات فتوجه إلى (قبوص) (١) لكي يتعلم العبرية ويدرب الشباب هناك على أعمال حرب العصابات فكان يقود ليلا جماعات من شباب الهاجاناه إلى مواطن العرب فيقتل الحراس ثم يستولي على ممتلكاتهم وما في مستودعاتهم ويحمل جنوده ما يستطيعون حمله من اسلاب ، ولم يكن (وينجت) هو الضابط البريطاني الوحيد الذي يعمل في الهاجاناه فغيره كثيرون وكثيرون . ولم يقف نشاط (وينجت) عند هذا بل كون من الهاجاناه فرقة راكبي الدراجات البخارية وكانت مهمتها حراسة انايب البترول الممتدة من الموصل إلى حيفا حتى لا يتمكن العرب من نسفها .

ولم تكبد تطير الشرارة الاولى معلنة الحرب العالمية الثانية حتى سارع بن جوريون واجتمع بمجلس قيادة الهاجاناه وقال لهم إن الحرب العالمية الأولى جاءتنا بوعد بلفور والثانية يجب أن تأتينا بالدولة اليهودية ولتحقيق هذا الحلم يجب أن يتطوعوا إلى جانب الإنجليز فتقدم نحو مائة ألف يهودي ويهودية . وذهب التعاون بعيدا بين الإنجليز والوكالة اليهودية فمدت الوكالة انجلترا بنحو ألف وخمسمائة خبير يعملون خارج البلاد كما أعدت التي مصنع للانتاج الحربي وانصرف الكيماويون اليهود إلى سد حاجات الجيش بالكيماويات . ولما اشتد خطر الغزو الألماني عام ١٩٤١ غادر الإنجليز فلسطين بعد أن اسلموا زمامها إلى الهاجاناه للدفاع عنها ولا سيما فقد سبق للإنجليز وانشأوا في فلسطين مدرسة حربية لتخريج رجال الهاجاناه الذين كثيرا ما استعان بهم الإنجليز عند تحرير سوريا من جيش حكومة فيشي وفي إحدى هذه المعارك فقد موشى ديان عينه ، كما أن (يجال اللون) أحد قواد الهاجاناه وهو من مواليد فلسطين وابن فلاح من الجليل قد تسلم في الحرب العالمية الثانية إلى سوريا في زى عربي وقاد بعض اليهود الفلسطينيين الذين مهدوا الطريق للاسترايين .

(١) مستعمرة جماعية .

ويمتاز جيش الهاجاناه البالغ عدده نحو خمسين ألف مقاتل بدقة مخابراته والإحاطة بكل صغيرة وكبيرة في فلسطين هذا فضلا عن مجموعة الصور الجوية الدقيقة التي التقطها لمختلف البقاع الفلسطينية ، وبذلك تمكن من عمل احصاء شامل لجميع السكان .

أما فرقة الصاعقة والمعروفة باسم (بلماخ) فتعتبر من أحسن الوحدات التي يتكون منها هذا الجيش وهي تتكون من نحو ألفي شاب وآنسة وكثيرا ما استعمانت بهم بريطانيا في أعمال الكومندو والمظليين في صحراء ليبيا والبلقان .

أما الزي الرسمي للهاجاناه مع اختلاف الأسلحة والرتب فهو الزي العادي للسكان غير العرب أعني الخاكي دون شارات تميز الرتب العسكرية أو نوع السلاح وغير الهاجاناه تكونت في فلسطين جمعيات إرهابية أخرى لا تقل خطراً عن الهاجاناه منها (أرجون) و (شتيرن) . أما (أرجون) فقد أسسها الإرهابي (جابوتينسكي) وكانت أشد العصابات الإرهابية تطرفاً فقد قررت قتل ثلاثة من العرب مقابل كل يهودي يقتل وقد خشي بن جوريون غضب الرأي العالمي العام ، إذ ما ذنب عربي يقتل لا لذنوب اقترفه اللهم إلا لأنه عربي ، إن مثل هذا الإجراء الانتقائي يصور اليهود في صورة إجرامية شنيعة ، فضلا عن أن مخالفة القانون تؤدي إلى مخالفة قانونية أخرى فاشاعة الفوضى . والواقع أن (جابوتينسكي) هذا وحزبه المتطرف الذي عرف باسم (ريفيسيونيست Revisionist) ارتكب كثيراً من الأعمال الوحشية كما أنه أول حزب اقترف جرائم القتل السياسي . ففي عام ١٩٣٣ أعلن هتلر عدم المساس باليهود إذا ما غادروا أوروبا فسافر رئيس إدارة السياسة الخارجية في الوكالة اليهودية ألا وهو (حاييم أرولسوروف Hayim Arlosoroff) إلى برلين لانتقاد حياة نحو مليون يهودي ثم عاد وحدث أنه كان يسير مرة مع زوجته في تل أبيب فاستوقفه شاب أجنبي

وطلب منه ثقاب كبريت وفي هذه الفترة أطلق عليه الرصاص فارداه قتيلا ولاذ القاتل بالفرار وهو أحد أعضاء حزب جابوتينسكى واسمه (ابراهام ستافيسكى .

لكن أطلق سراحه لعدم ثبوت الجريمة وشاعت المقادير أن يلقى القاتل حتفه بعد خمسة عشر عاما في نفس المكان الذى قتل فيه (أرلوسوروف) .

وهكذا نجد الاضطرابات تعم للبلاد وتسودها ويحاول بن جوريون بدهائه ومكره أخذ اعتراف من العرب الفلسطينيين بشرعية وجود اليهود في قلب العالم العربى والاعتراف لهم بإقامة وطن في فلسطين . ولعل أول محاولة قام بها بن جوريون كانت عام ١٩٣٦ ، وما كاد يستأنفها مرة ثانية حتى اندلعت نيران الثورة في يافا وأعلن العرب الاضراب العام وأوفدت بريطانيا لجنة (بيل) التى وضعت تقريراً في أربعمئة صفحة . ولسكى نقبين مدى الأجحاف بالعرب وحقوقهم في فلسطين وموقف انجلترا العدائى منهم من أن بن جوريون سافر لتوه إلى لندن ليحضر مناقشة هذا التقرير في مجلس العموم البريطانى ولما فرغ المجلس من مناقشته سئل بن جوريون عن رأيه فقال « ينجيل إلى أننى حاضر جلسات « مؤتمر صهيونى » .

اقترح القرار تقسيم فلسطين ، فانقسم اليهود على أنفسهم كما انقسموا من قبل حول مشروع أوغنده ، فمنهم من حبذه أمثال بن جوريون وعارضة آخرون مثل (كتسنلزون) والحاخامان الأمريكان (أسطفان فيز (Stephan Wise) و (ابا هيلر سيلفر (Aba Heller Silver) وجميع أعضاء الوفود الأمريكية والسيدة (جولدا مائيرسون) وكذلك العرب والانجليز بالرغم من أنهم هم الذين اقترحوه ، وكان أشد الناس معارضة له (جابوتينسكى) وحزبه وكذلك حزب بن جوريون إلا وهو (المباى) .

وبعد هذه الجولة أخذ حلم بن جوريون يقترب من الحقيقة واعتقد أن قيام دولة يهودية أصبح قاب قوسين أو أدنى ، وتوالت المؤتمرات وكلما أبصر السياسيون شبح الحرب العالمية الثانية يطل عليهم أكثر وأكثروا من الاجتماعات وعقد المؤتمرات وأدركت إنجلترا قبل غيرها أنها بين حجرى الرخى بين العرب وبلادهم التى يجرى فيها الذهب الاسود والصهيونية العالمية التى تحرك أمريكا كيف ومتى تشاء ، واخيرا قرارها إصدار الكتاب الأبيض الذى يحدد الهجرة اليهودية إلى الاراضى المقدسة .

ثم وقع ما لم يكن منه بد وأعلنت الحرب العالمية الثانية فقال بن جوريون : يجب أن نحارب مع إنجلترا كما لو أن الكتاب الأبيض لم يصدر ، ونحارب إنجلترا كما لو أن الحرب ليسب قائمة وسافر بن جوريون إلى لندن ليعاون حاييم فيزمان فى اتصالاته مع المسؤولين الانجليز لتعبئة جيش يهودى يخوض الحرب إلى جانب إنجلترا وذلك بعد أن حل شرشل محل (شميرلين) كما أبدى بن جوريون رغبة اليهود فى تجفيف مستنقعات الجليل وتوسيع مبناء تل أبيب .

توجه حاييم فيزمان ورفقته بن جوريون إلى وزارة المستعمرات العرض مشروعهما على اللورد لويد وزير المستعمرات وقتذاك فأجابهم : « إذا كنتم ترغبون فى مساعدة إنجلترا حقا فلماذا لا ينخرط اليهودى فى سلك الجيش البريطانى ؟ فأجابه بن جوريون : « لماذا لا يوجه هذا الاعتراض إلى فرنسا وبولنده وتشيكوسلوفاكيا ؟ يظهر أن الصعوبة الحقيقية هى فى وجودنا ، . وهنا ظهرت السياسة البريطانية الانتهازية واضحة جلية وكشفت سياسته المساومة عن وجهها إذ أدرك اللورد مدى حرص اليهود على الاعتراف بكيانهم كأمة لها جيشها ولها علمها ولها شعارها ، كما أدرك أيضا أن الاعتراف

بمطالب حايم فيزمان ودافيد بن جوريون سيرضى ولا شك الصهيونية العالمية . وبخاصة أولئك اليهود الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية فتلقف اللورد لويد الكرة وعرض على اليهوديين استعدادهم على الموافقة على مطالبها شريطة أن يبذلا نفوذهما لدى يهود نيويورك ومطالبتهم القيام بضغط على حكومة واشنطن لإخراجها من حيادها وأعلان الحرب على ألمانيا وحلفائها فقام بن جوريون لتوه وتوجه إلى نيويورك مطالباً اليهود بتنفيذ ما اتفق عليه مع لويد . والواقع أن سماح بريطانيا ليهود فلسطين بتعبئته فيلق يهودى يرتدى لباساً عسكرياً عليه نجمة داود ويرفرف عليه العلم الأزرق الأبيض وتصدح موسيقاه عدا الاناشيد العسكرية نشيد (هاتقواه) وهو النشيد القومى للدولة التى لم تظهر رسمياً بعد إنما هو خيانة من إنجلترا لصك الانتداب الذى فرض فى مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ وحنثت بوعودها التى قطعتها على نفسها للعرب .

وصل بن جوريون إلى نيويورك فى أوائل ١٩٤١ وألقى خطبة فى (هدساه) (جمعية النساء اليهوديات الأمريكيات) وظل فى أمريكا ثلاثة شهور دائماً على مواصلة المقابلات والاجتماعات بزعماء اليهود فى نيويورك وغيرها لتدبير خطة سليمة للزج بالولايات المتحدة فى اتون الحرب المستعرة لا شىء إلا لتحقيق قيام فكرة الوطن القومى اليهودى وسرعان ما انشطت الصهيونية وحاكت مؤامراتها ودبر طاورها الخامس فى اليابان والولايات المتحدة الأمريكية مادبر ، ولا سيما فبلاد الشمس المشرقة كانت طرفاً فى المحور الهتلرى النازى وتحطيمها كان واجباً مقدساً على اليهود انتقاماً للوحشية النازية التى عومل بها اليهود الألمان على يد هتلر وزبائنه فلم ينقض عام ١٩٤١ ألا ووقع حادث (بيرل هاربور) فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ وهذا الحادث كان كفيلاً باقحام الولايات المتحدة فى الحرب التى سعت إليها الصهيونية العالمية وإنجلترا التى تضرعت إلى اليهود لمعاونتها

لعلها إن المحور يعلم علم اليقين قوة أمريكا وجبروتها وإن دول المحور حريصة الحرص كله على عدم التحرش بها ولا سيما فالنازية تن من ألم الجراح التي أصابتها في الميدان الروسي وكان المتوقع أن تنقض اليابان على الاتحاد السوفيتي فتتقضى على مقاومته وبذلك يستطيع المحور أن يستولى على مواردها الطبيعية لمواصلة حرب طويلة الأمد ضد إنجلترا ومن قد يساندها . فحدث بيرل هاربور لم يخدم في الواقع قضية دول المحور بل أضر بها ضرراً بليغاً وانقذ بريطانيا والصهيونية العالمية من ضياع محقق .

أما بن جوربون فقد عاد إلى فلسطين لمواصلة استشاراته فوجد أنه عاموس الانجليزى الجنسية والضابط في الجيش البريطانى ، كما علم ان (جابوتينسكى) قد توفي وصحة (كتسينلزوم) معتلة . أما ابراهام شتيرن أحد مؤسسى جماعة (أرجون) فقد أبى إلا أن يكون جماعة أرهاية أخرى تحمل اسم شتيرن .

وبعد خمسة شهور من إقامة بن جوربون في فلسطين وإجراء الاتصالات الضرورية الخاصة بتنفيذ اتفاقية لويد بن جوربون ، رحل دافيد إلى القاهرة فلندن ونيويورك حيث وجد الفرصة سانحة لإعلان التطور الجديد الذى طرأ على قضية الدولة اليهودية وبخاصة بعد أن خلف اللورد موين اللورد لويد والذى أكد لبن جوربون التزامه بتنفيذ الاتفاق الذى تم بين بن جوربون وسلفه .

وفي نيويورك نزل بن جوربون في فندق (بلتيمور) الواقع في (ماديسون أفينو Madison Avenue) عند شارع رقم ٤٣ حيث دعيت اللجنة التمهيدية الصهيونية الأمريكية في مايو ١٩٤٢ أى بعد مضي خمسة شهور من حادث (بيرل هاربور) للاجتماع فحضر ستمائة مندوب يمثلون مختلف الولايات المتحدة وتناقش المجتمعون في شتى المواضيع مع اقتراض أن

أمريكا هي التي ستقoul إليها زعامة العالم وذلك لأن انجلترا ستخرج من هذه الحرب بالرغم من عدم هزيمتها ضعيفة كسيرة ، كما وجد المجتمعون الفرصة سانحة للتخلص من وعد بلفور ومشروع التقسيم وأن عارضه أمثال (يهوذا مجنيس) اليهودي الأمريكي والذي اسندت إليه إدارة الجامعة العبرية في القدس كما كان من أنصار قيام دولة مزدوجة الجنسية للعرب واليهود .

أما شخصية (يهودا ليب مجنيس) فمن أحسن الشخصيات اليهودية الصهيونية التي عرفها القرن العشرون حقاً فالأخلاق تكاد تكون مثالية ومثله العليا قد لا يتحلى بها غيره بين الصهيونيين هذا فضلاً عن ادراكه الإنساني للصهيونية والمبادئ الصهيونية . أما موقفه من خصومه ، وما أكثرهم ، فقد كان أيضاً موقف الرجل المؤمن بمثله العليا الذي لن يحيد عنه مهما كان السلاح الذي يستخدمه خصمه ضده وقد بلغ من خوف رجال الأمن على حياته أن عيّنوا حرساً يقوم حول منزله في (رجفيا) في القدس مخافة الاعتداء عليه . وكان فوق ذلك يسمو على الفوارق الجنسية والعقائدية فالجميع لديه سواء . لقد كان (مجنيس) رجل سلام وحب للسلام اضطره أن يحارب من أجل السلام لذلك كافح كفاحاً شديداً لأجل التفاهم مع العرب لأجل السلام بين اليهود وبين العرب لأنه يعتقد أن التفاهم بين الشعبين أو بتعبير آخر بين الطرفين هو الطريق الوحيد لتحقيق أهداف الصهيونية الحقيقية ، الصهيونية التي تنزع إلى استقرار اليهود وبعث الثقافة الإنسانية العالمية وإحياء التراث اليهودي الأدبي . وجميع هذه الأهداف لن تتحقق إلا إذا ساد السلام أرض السلام ومن هنا نفهم سر مقاومته سياسة التقسيم لأن التقسيم سيحول ضد هذا التفاهم أنه كان يطمح في قيام دولة مزدوجة الجنسية (binational)

ولم يكن الدكتور (يهودا ليب مجنيس Jehuda Leib Magnes)

هو الوحيد الذى يرى هذا الرأى فهناك (ارثور رويين Arthur Rupp) مؤسس جماعة السلام (بريث شالوم) و (حايم كالفرسكى Chayim Kalwarisky) خالق جماعة التفاهم اليهودى العربى ثم جماعة (احوود) التى خلقتها (مجنيس) فعلى منابر هذه الهيئات كان يرسل (مجنيس) صوته مدوياً كما اتخذ من قاعات الجامعة العبرية التى كان هو مديرها منابر لهذه الرسالة التى كرس لها حياته . كما استنكر وقاوم بشدة الأعمال الارهابية والارهابيين وكثيرا ما فاضت عبقريته بالمقالات والرسائل إلى الصحف الامريكية وبخاصة (نيويورك تيمس) و (فورين افافرز Foreign Affairs) والمجلات الشهرية العبرية . وتجلت كفاءته فى معارضته لميثاق بلتيمور ومحاربته وعاونته على النهوض برسائله أنه كان حاضرا فى درس اللاهوت اليهودى فى جامعة برلين وهيدلبرج فى المانيا فضلا عن أنه كان خطيبا مفوها يؤثر فى سامعيه لذلك ناصره جميع اليهود الأحرار كما كان عضوا بارزا فى (جوينت Joint) (وهى الجماعة الامريكية للقسم المتحد American Joint Distribution Comittee)

وقد شاركت (مجنيس) : هذا الرأى سيدة يهودية فاضلة ألا وهى (هنرييت سولد Henrietta Szold) والتى تعتبر وبحق عند اليهود بأنها (فلورينس نيتينجيل Florence Nightingal) فالسيدة (هنرييت) هى مؤسسة مستشفى (هدساه) فى القدس . وآخرون من أحرار اليهود .

ومن أكبر المناصرين لهذا الرأى اليهودى الاوكرانى (اشير جينزبرج) والمشهور باسم (أحد هاعم) أى (فرد من الشعب) وحزب (هبوعيل هصعير) أو (حزب العمال الفلسطينى) وقد اغتال أحد أعضاء حزب البعثيين زعيم هذا الحزب وهو (حايم أورلو سوروف) وذلك لأن حزب العمال هذا يرى وجوب التفاهم مع العرب وبخاصة الشعوب العربية المجاورة لفلسطين ، وقد شايح هذه الهيئة زعماء آخرون ولتحقيق هذه

الأهداف أنشأت هذه الهيئة صحيفة في اللغة الألمانية هي (دى اربيت)
أى (العمل) وقد اشتهرت بحملاتها الشديدة على متطرفي الصهيونيين
والذين يؤمنون بمبدأ استخدام القوة فوجئت مرة توجيها خطيراً إلى
المؤتمر الصهيوني الثاني عشر تحت عنوان (حرب أو تفاهم) وفي هذا
المقال نقراً وجهة نظر هذه الهيئة ، وقد أثبتت الأيام بعد نظرها .
فالصحيفة تتساءل : أقرر المؤتمر إعلان الحرب على العرب ؟ كثيرون
سيقولون ليس أمامنا اختيار ، فقد أعلن العرب الحرب علينا وليس أمامنا
إلا أن ندافع عن أنفسنا ، ولكن ويل لنا من أنفسنا أولاً ، ومن رأى
العالمى ثانياً إذا دار بخلدنا أن نمثل دور البريء الممتدى عليه ، لكن لماذا
ازدادت كراهية العرب لليهود في الزمن الأخير ، ولماذا بلغت الكراهية
منتهاها ؟ هل السبب هو الجمع بين هذا الوضع وبين الفكرة الصهيونية
الرامية إلى تأسيس دولة يهودية ؟

إننا نعلنها عالية مدوية ، لا نريد أن نفرض ' حكماً على العرب بل نريد
أن نعيش معهم كشعبين متآخين متساويين في الحقوق والواجبات في
فلسطين . . . هناك طريق واحد فقط هو التفاهم مع الشعب العربى ويمكن
هذا الطريق وعراً في وقتنا الحالى إلا أنه يجب علينا أن نسلكه .

ولعل الدافع القوى إلى معارضة ميثاق بليمور هو النظر البعيد إلى
إيجاد حل دائم لقضية بدأت مع الخليقة وما زالت منظورة أمام القضاة حتى
اليوم ، ومصدر عدم البت فيها ليس عدم الاختصاص بل مخالفتها للقانون
العام شكلاً وموضوعاً . فإذا نظرنا إلى فلسطين منذ القرن السادس الميلادى
وجدناها آهلة بالمسلمين ومن قبل ، بل قبل نزوح العبريين إليها كان العنصر
العربى من أكبر العناصر التى يتكون منها سكان تلك البلاد . هذا فضلاً
عن الإقليم الفلسطينى المسمى باسم (عرب) فكيف تجرؤ الصهيونية
وتحاول أن توجد وطناً قومياً في بلد هو وطن لآخرين ، تقوم بينهم
(م — ٣ إسرائيل عبر التاريخ)

وحدة الجنس ووحدة الثقافة ووحدة اللغة ووحدة التفكير ووحدة التربية بخلاف الحال في هذا الخليط الذى جاء به بن جوريون أداة الاستعمار هذا الخليط الذى يتكون من أبناء سبعين دولة لا استثنى من بينها اليابان . إن العنصر الأساسى لقيام أمة من الأمم ، أعنى عنصر البناء أو الخلود وهو عنصر الوحدة والتجانس والبيئة وهذه غير متوفرة فيها كما أنه لا شك فى أن لكل جنس من الأجناس التى يتكون منها هذا الخليط طابعه الخاص الذى يؤثر بدوره فى إبراز العنصر الإنسانى للأمة أو الدولة كما أن نظرة اليهودى الأوروبى إلى الدين تغاير ولا شك نظرة اليهودى الشرقى ، فما كانت بلاد الخزر مثلاً فى يوم من الأيام وطناً لموسى بن عمران أو خليفته ابن ميمون . فى الشرق وبتعبير أدق فى مصر نشأ ابن عمران صاحب التوراة ، وفى مصر ابن ميمون واضع « مثنى التوراة » فكيف تستطيع حكومة مهما أوتيت من قوة ومهما خلصت نية أفرادها أن توفق بين هذا الخليط ؟

إن الوطنية التى يريد بن جوريون غرسها فى فلسطين هى هذه الوطنية الشكلية الوطنية المادية التى تخلق جسم الأمة أو الدولة بينما الوطنية الحقيقية هى الوطنية الموضوعية التى تمتد هذا الجسم بالحياة أعنى الروح ولذى تؤدى الروح وظيفتها وتبعث الحياة يجب أن تكون سائر أعضاء الجسم ليست سليمة فقط بل أصيلة متحدة متعاونة وقد أثبت الطب الحديث أن الروح تفارق الجسد إذا أراد الطب استبدال كلية بكلية . فالوطنية الموضوعية هى باعثة الحياة فى الأمة والدولة هى خالقة الثقافة والقواعد الخلقية والمثل العليا والمبادئ الإنسانية والأخيرة هى التى تخلق بالأمة وتعز بها الحدود الجغرافية التى أوجدتها الوطنية الشكلية وتجعل منها أمة دولية ذات ثقافة عالمية ورسالة إنسانية سواء فى الآداب أو العقائد

تأوي المذاهب الاجتماعية فالوطنية في هذه الحالة ليست قومية (ناسيونال :
بل عالمية (ibernational) .

وبالرغم من هذه المعارضة القوية ضد بن جوريون وأنصاره من
البعثيين وغيرهم من المتطرفين أعلن دافيد في مؤتمر بلتيمور خلق الدولة
اليهودية معتمدا لا على المنطق والصالح العام بل على وعد اللورد (موين)
الذي خلف اللورد (لويد) في وزارة المستعمرات عقب وفاته . وبعد ذلك
أقر المجلس ميثاق بلتيمور وهو يلخص فيما يلي :-

١ - إلغاء الانتداب البريطاني .

٢ - إعلان فلسطين دولة يهودية عقب الحرب العالمية الثانية .

٣ - إهمال فكرة التفاهم مع العرب سواء كانوا سكان فلسطين
أو البلاد المجاورة .

ثم عاد بن جوريون إلى فلسطين لانتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ
قرارات هذا الميثاق فعاون في تأليف حزب جديد أطلق عليه اسم
(علياه حاداشاه) وهي تسمية لها مدلولان « التقدم الجديد » أو « الهجرة
الجديدة » ، وبرنامج هذا الحزب كما أورده (جورج لندور) في كتابه
« الصهيونية عبر ثلاثين عاما » ، تل أبيب ١٩٥٧ ص ٣٣ .

George Landauer : Der Zionismus im Wandel Dreier-
Jahrzehnte. Tell -Aviv 1957.

١ - حشد جميع القوى لقهر هتلر .

٢ - الاستعداد عقب الحرب وعند إعادة تنظيم العالم وبخاصة
الشرق العربي لإقامة الوطن القومي اليهودي ، وأخذ الأهبة لخوض غمار
حرب طاحنة عملا بميثاق بلتيمور وإعلان فلسطين وطنا قوميا لليهود .

٣ — لتحكم الأقلية اليهودية الأكثرية العربية .

٤ — نشن وحدنا أو بمساعدة العالم حربا شاملة لاعلى عرب فلسطين ، فقط بل على سائر الدول العربية .

والآن تجمعت شياطين الحرب ونشطت عناصر الدمار الصهيونية ، بعد أن خاضت الولايات المتحدة غارها ، للقضاء على النازية في الغرب والعروبة في الشرق فبعد فتح الجبهة الثانية بزمن قصير أعلن شرشل في مجلس العموم البريطانى : « إن الحكومة البريطانية قد استجابت لطلب الوكالة اليهودية وهو تجنيد فيلق يهودى يرسل إلى جبهة القتال ، »

لقد كسب بن جوريون معركة أخرى ، والآن يستطيع آلاف الشباب اليهودى الانخراط فى سلك الخدمة العسكرية وفى الفيلق اليهودى حاملين على لباسهم العسكرى نجمة داود ويرفرف عليهم العلم اليهودى الأزرق الأبيض .

وبينما شرشل يعلن هذا ويقرره إذ بنا نجد تجاربا عند رئيس أمريكا الراحل (ف . د . روزفلت) فقد انتهى مؤتمر (يلتا) وأبدى رغبته فى مقابلة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود وقد تمت المقابلة على ظهر المدمرة الأمريكية (كوينسى) . وفى ١٤ فبراير ١٩٤٥ وفى البحيرات المرة ، وقد دامت هذه المحادثات بين العاهلين نحو خمس ساعات عرضة فيها لكثير من المسائل التى تهم البلدين ، ومن بينها رغبة الرئيس روزفلت فى معرفة رأى جلالة الملك فى استيطان من تبقى من يهود قلب أوروبا والذين لا قوا أهوالا جساما على يد النازيين وعملائهم . وقد ضاعت أملاكهم وقتلوا وعذبوا ، والرئيس روزفلت يشعر شخصا بمسئولية كبرى تجاههم ، لذا قرر المساهمة فى حل هذه المشكلة .

فماذا يقترح الملك ؟

فأجابه ابن سعود في حزم وقوة : أعطهم ونسلمهم أصلح أراضى وأخر مساكن الألمان الذين اضطهدوهم .

فأجاب روزفلت : إن اليهود يحنون كثيراً إلى الإقامة في فلسطين ، ووافهم جيداً كيف أنهم يخشون العودة إلى ألمانيا والإقامة فيها حتى لأن يتعرضوا ثانية إلى وحشية الألمان وأذاهم .

فأجابه ابن سعود : لا شك عندي في أن اليهود على حق في عدم الثقة بالألمان . لكن من المؤكد أن الحلفاء سيقضون على النازية والنازيين إلى الأبد . وفي انتصار الحلفاء خير ضمان للمحافظة على ضحايا النازية ، وإذا كان الحلفاء لا يتوقعون استطاعة مراقبة سياسة ألمانيا في المستقبل ، فلماذا يخوضون غمار هذه الحرب الضروس ؟ فابن سعود ان يستطيع إدراك ترك عدوه في حالة تسمح له بإعادة الكرة عليه بعد هزيمته .

وبعد دقائق قليلة عاود روزفلت الهجوم ، وقال أنه يعتمد على الكرم العربي ، وعلى مساعدة الملك لحل مسألة الصهيونية .

فأجابه ابن سعود على الفور : دع العدو المستبد المضطهد يدفع . هكذا نحن العرب في حالة الحرب . المجرم يجب أن يدفع التعويضات لا البريء . فما هي الأضرار التي اقترفها العرب ضد يهود أوروبا ؟ أنهم الألمان المسيحيون الذين سرقوا بيوتهم ونهبوا أموالهم وزهقوا أرواحهم . دع الألمان يدفعون .

وعاد روزفلت مرة أخرى إلى الموضوع شاكياً بأن الملك لم يساعده البتة في حل مشكلته ، ففقد الملك بعض حلمه ولم يشرح وجهة نظره مرة أخرى عدا قوله في شيء من الاستهجان :

« أن المبالغة في إظهار هذا القلق من الألمان غير مفهومة لبدوى غير متعلم ، يقدره الأصدقاء أكثر من الأعداء ، وآخر ملاحظة أبدتها الملك خاصة بهذا الموضوع : « من عادة العرب أن تأوى القبائل المنتصرة بقايا ضحايا المعركة وكل قبيلة حسب عدد أفرادها وإمكانات الماء والطعام . والحلفاء يبلغون نحو خمسين دولة من بينها فلسطين الصغيرة الفقيرة ، وقد استوعبت أكثر من إمكانياتها من اللاجئين الأوربيين » .

ثم عاد ابن سعود وأكدر غيبته في صداقة روزفلت ومساعدته ، وقال أنه لا يرجو لبلاده إلا الاستقلال وهو يعتمد في ذلك على الله ، ويرجو غير الاستقلال صداقة روزفلت بطل الخريات الأربع كما أن الملك يعلم تمام العلم أن أمريكا ليست دولة استعمارية . فأكد روزفلت لابن سعود أنه عند حسن ظنه به وبأمريكا ، وأرسل له قبل وفاته بأسبوع خطاباً بتاريخ ٥ أبريل سنة ١٩٤٥ جاء فيه :

١ — أنه كرئيس لن يصنع شيئاً يسبب عداوة العرب .

٢ — أن حكومة الولايات المتحدة لن تحدث تغييراً في سياستها الموضوعة لفلسطين دون استشارة العرب واليهود .

وقد نشر نص هذا الخطاب في صحيفة نيويورك تيمس في عدد ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٥ .

وانتقل روزفلت إلى الدار الآخرة وخلفه (ترومان) فتذكر لهذا العهد الأمريكي وقال عبارته المشهورة في حضور سفراء الولايات المتحدة في مصر ولبنان وسوريا ، والمملكة العربية السعودية والقنصل العام في فلسطين .

وقد نشر هذا الحديث الذي دار بين العاهلين العربي والأمريكي

الكولونيل البحري (وايم ا . ادى) وهو الوحيد من الإحياء الذى يعرف
تماما مادار بين روزفلت وابن سعود ، إذ كان المترجم كما كان الوزير فوق
العادة للولايات المتحدة فى المملكة العربية السعودية (١٩٤٤ — ١٩٤٦)

William A. Eddy : F. D. R. meets Ibn Saud, New York 1954.

وفى عام ١٩٤٥ وقعت أحداث هامة جداً فقد مات روزفلت وانتحر
هتلر وجوبلز وقتل موسيلينى وانفجرت القنبلة الذرية الأولى والثانية
والثالثة وانتهت الحرب فى أوربا وقامت هيئة الأمم المتحدة واستسلمت
اليابان بدون قيد أو شرط وهزم النازيون شرشل .

وفى نفس العام أيضا تكونت جامعة الدول العربية فى شهر مارس
وتعداد هذه الأمم العربية لا يقل عن ثمانين مليون نسمة وهدفها الدفاع
عن المصالح العربية .

وشعر بن جوريون أن الخطر يحدق به من كل صوب فتوجه
إلى باريس حيث اشترك فى مؤتمر سرى لرؤساء (موساد) استعداد للمعركة
التي كانت مهمتها جمع شباب اليهود من مختلف البلاد الأوروبية وشمال
أفريقيا وإرسالهم إلى فلسطين ، وتحتاج هذه العملية إلى المال والعتاد
والسفن والأسلحة والذخيرة ، فسافر بن جوريون بعد استسلام ألمانيا
لمقابلة أيزنهاور إلى نيويورك حيث ألتقى بالزعيم الصهيونى الثرى
(رودلف ذونبورن Rudolf G. Sonneborn) ، ودار الحديث بينهما
حول جلاء بريطانيا واحتمال نشوب حرب فلسطين وبخاصة عند الشروع
فى تنفيذ ميثاق بلفيتمور . فدعا ذونبورن ، ثمانية عشر صهيونيا من كبار
رجال المال والأعمال فى الولايات المتحدة إلى داره ، وقر قرارهم على
المبادرة بإرسال الإمدادات إلى جيش الهاجاناه وتنسكرت هذه الهيئة
الصهيونية تحت اسم « معهد ذونبورن » وسرعان ما أخذت الأموال

تتدفق لشراء مختلف أنواع الأسلحة من سفن وطائرات ودبابات ومدافع وغيرها من عتاد الحرب وتخزينها في جهات مختلفة في دول شرق أوروبا وأمريكا انتظارا لساعة الصفر . واستكملت الهاجاناه استعدادها فانشأت محطة إرسال وإذاعة كما أخذ بن جوريون يوالى عقد الاجتماعات مع قواد المنظمات الإرهابية من هاجاناه وارجون وشستيرن مثل ، يعقوب دستروفسكى Yakob Dostrovsky ، رئيس أركان حرب الهاجانا وإسرائيل جليلي Israel Galili قائد الهاجانا وعضو حزب المابام الماليء للشيوعيين هذا الحزب الذى تكونت من أعضائه جماعة البلماخ Palmach أعنى الصاعقة ، كذلك ، يجمال يدين ابن العالم الأثرى ويجمال ألون ، وغيرهم . ولكى نتصور قوة هذا الجيش والدول التى عاونت على تكوينه يكفى أن أذكر أن الهاجانا كانت وقتذاك أكثر من خمسين ألف جندي ينتمون إلى ستين دولة ويرطنون مختلف اللغات وقليل جدا منهم من يعرف العبرية . أما تدريبهم فكان لا ينقطع وبخاصة فابن بن جوريون حرص على استحضار مختلف المراجع العسكرية فى اللغات المختلفة ونقلها إلى أشهر اللغات تداولا بين الهاجانا ففشر بذلك الثقافة العسكرية لا بين أفراد القوات المقتلة فقط بل بين مختلف أفراد الشعب . وتبين لدافيد بن جوريون عند القيام بهذه الترجمة أن العبرية فقيرة جداً فى الاصطلاحات العسكرية فألف لجنة من اللغويين فوضعوا معجماً عسكرياً يضم نحو ثلاث آلاف كلمة هذا عدا الاصطلاحات الخاصة بالمظليين والفرق المضادة للطائرات .

وتسبقت الأحداث إلى فلسطين وشعر العرب بالخطر الذى تتعرض له البلاد العربية فى أبريل ١٩٤٧ م عقدت هيئة الأمم المتحدة جلسة لمناقشة المشكلة الفلسطينية وخصوصاً لما اشتد الخلاف بين « ترومان » و « اتلى » وبين بن جوريون ، و« بيفان » وفى تلك الجلسة حدث ما لم يكن فى الحسبان وصدرت تصريحات تذكرنا بتلك التى جرت بين روزفلت

و ابن سعود فقد نهض اليهودى داندريه جروميكو، مندوب الاتحاد السوفيتى وقال أنه يناصر فكرة إيجاد حل فى فلسطين لليهود ، وهذا على سبيل التعويض لما أصابهم فى أوربا على يد النازية ، ودارت المناقشات وتمحس أنصار الصهيونية وماجوروها وشكلت لجان وتقرر انسحاب بريطانيا من فلسطين واستعجل بن جوريون البت فى تقرير مصير دولة اليهود ، والى قررت الأمم المتحدة تقسيمها بينهم وبين العرب وبين التدويل وأدرك بن جوريون أن قرار التقسيم هذا لن يحمى اليهود من الأخطار التى تنتظرهم فقرار الأمم المتحدة كان إشارة إلى قرب وقوع هذه الأحداث الخطيرة التى ستعم الشرق العربى . ويعطى دافيد بن جوريون شارة العمل للعصابات الإرهابية وجيش الهاجانا الذى أجلى السكان العرب من حيفا وهاجمت عصابة أرجون يافا وأفراد هذه العصابة هم الذين اقترفوا مذبحه دير يامسين حيث أبادوا جميع سكانها أطفالا وشيوخا نساء ورجالا واكتفى بن جوريون بإرسال اعتذار إلى الملك عبد الله .

وقد أحدثت هذه المذابح بلبلة فى الأمم المتحدة حتى أن أمريكا التى كانت تناصر فكرة التقسيم عادت فافترحت وضع فلسطين تحت انتداب هيئة الأمم المتحدة فرفضت سائر الدول هذا الاقتراح وقابل بن جوريون تذبذب الولايات المتحدة باعلان قيام الدولة اليهودية واتخذ من قرية (سارونا) التى كانت مستعمرة ألمانية لطائفة الداودية ، هذه الطائفة التى نجحت ميولها النازية إبان الحرب العالمية الثانية مما اضطر انجلترا إلى إجلائها عنها ولما استقر فيها بن جوريون أعاد إلى هذه القرية إسمها العبرى القديم (هاقريث) = القرية واتخذها مقراً لحكومته .

أما دافيد بن جوريون فقد أخذ يطوف بأحاء البلاد متفقدا المصانع الحربية ومدى أهمية جيش الهاجانا للدفاع عن البلاد وخوض غمار المعارك التى تنتظره تحقيقاً لميثاق بلتيمور وأخذت السفن المحملة بالأسلحة

والذخائر تلقى مراسيها في فلسطين . أما انجلترا فلم تكلف نفسها مؤونة تفتيش هذه السفن بالرغم من علمها بأنها محملة بشحنات الاسلحة التشيكوسلوفاكية (١) .

وفي أواخر مارس ١٩٤٨ أعلن بن جوريون انتهاء الانتداب ودعا مساء يوم الجمعة ١٤ مايو أى السبت ١٥ منه ، أعضاء مجلس الشورى الذين عقدوا اجتماعاً في المتحف بعد أن أزيلت من على حيطانه اللوحات الفنية ووضعت في صدره صورة (هرزل) . وفي هذا الاجتماع قامت جولدا مايرسون وأطلعت المجلس على نتائج زيارتها للملك عبد الله الذي كثيراً ما التقت به سرا من قبل وفي فلسطين .

أما هذه المرة فقد اضطرت إلى زيارته في عمان متسكرة في زي عربية ، وقالت أن الملك كان طيباً جداً رقيقاً إلا أنه قال في حالة عصية : ما وجه السرعة أيها اليهود في إعلان قيام دولتكم ؟ فأجابته جولدا : لقد انتظرنا ألفي سنة هل ترون أننا نتعجل ؟ أن عبد الله ضد فكرة التقسيم لأنه يريد الاستيلاء على كل فلسطين لنفسه بقوة الفيلق العربى : وانتهى الاجتماع بموافقة إجماعية على إعلان استقلال البلاد ، ثم دعا بن جوريون إلى اجتماع آخر من أربعة من القانونيين لوضع صيغة وثيقة إعلان الاستقلال إلا أن عضوا اعترض بقوله : كيف نعلن استقلال بلد لم توضع له حدود حتى اليوم ؟ أليس من الواجب تحديد وتعريف الدولة اليهودية أين توجد وما مساحتها وأين تبدأ وأين تنتهى ؟ إلا أن بن جوريون أسكته مستشهداً بإعلان استقلال الولايات المتحدة إذ لم ترد به حدود ، ثم دارت مناقشة حول اسم هذه الدولة فاقترح بعض الحاضرين (يهوذا) فرفض لأن

(١) لا عجب أن تنهض تشيكوسلوفاكيا لمساعدة الصهيونية فرئيس حزبها الشيوعى كان اليهودى Clemens Gottwald والذي تولى رئاسة البلاد في الفترة الممتدة بين ١٩٤٨ —

يهودا ينصرف إلى المنطقة المحيطة بالقدس ، وتقدم آخرون باقتراح آخر إلا وهو (صهيون) فقليل أنه عبارة عن جبل تقع في سفحه القدس . ورفض ، ثم اقترح آخرون (أرض إسرائيل) فرفض أيضاً لأنه يحدد هذه الدولة تحديدا لا يتفق وميثاق بلتيمور والمطامع الصهيونية في الأقطار العربية المجاورة وعرض بن جوريون اسم (إسرائيل) فوفق عليه .

وبعد انقضاء الاجتماع بساعتين فقط أعلن الرئيس ترومان اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل وتبعها الاتحاد السوفيتي ودول أخرى ، وسارع ترومان وأرسل (جيمس مكدونالد) سفيراً للولايات المتحدة وسبقه السفير السوفيتي (بافيل برشوف) وقدم أوراق اعتماده . وأحيط بن جوريون علماً باعتراف (ترومان) فتمام من نومه وارتدى بذلة فوق بيجامته صائحاً سأوجه حديثاً إذاعياً إلى الشعب الأمريكي . وفي تلك اللحظة توالى الأخبار بأن السلاح الجوي المصري أخذ يقذف مطار (Dow) فلم يكذب يفرغ بن جوريون من إذاعة حديثه حتى سارع إلى المطار ليرى مدى الخسارة التي لحقت به ولا سيما فان الطائرات المحملة بالقذائف أخذت تفقد إلى اليهود بعد إقامة جسر هوائي من اليونان إلى فلسطين .

وبعد نصف ساعة من الغارة الجوية المصرية شوهد سرب مصري آخر ينقض على المطار وكان به وقتذاك (ييجال يدين) وهيئة أركانه فانبطحو أرضاً حتى أفرغت الطائرات حمولتها . وبعد فترة وجيزة أقبل (ييجال يدين) وأخبر بن جوريون أن الجيش المصري قد عبر الحدود ، وأخذ يقذف المستعمرات اليهودية ، فأجابه بن جوريون : كان هذا متوقعا .

وفي هذا الوقت الذي تقذف فيه المدفعية المصرية مواقع العدو ولمس

يمض على الغارات الجوية المصرية سبعة وعشرون يوما تدخل (فولك برنادوت Folke Bernadotte) وفرض الهدنة ووقف إطلاق النار . ولم يمض يومان على إعلان الهدنة حتى وصلت إلى شواطئ فلسطين الباخرة (التالينا Altalena) وهي إحدى سفن الأسطول الأمريكي في (بروكلين Brooklyn) وقيل قد اشترتها الجمعية الأمريكية لفلسطين الحرة وهي جمعية تضم عددا كبيرا من الأعضاء المسيحيين إلى جانب الصهيونيين ، ولم يكن وصول السفينة إلى فلسطين موضع استغراب إذ أن الجميع كانوا يتوقعون وصولها بعد أن شحنت بالذخائر والأسلحة التي تزيد على خمسمائة طن من الميناء الفرنسي (بورت ده بوك Port de - Bone) بالقرب من مرسيليا وتقدر قيمة هذه الشحنة بنحو أربعة ملايين دولار .

أقلت هذه السفينة مراسيها في (كفر وتكين Kfar Witkin) على بعد ثمانية وثلاثين كيلو متر شمال تل أبيب . والآل نتساءل والهدنة قائمة أليس وصول مثل هذه الأسلحة خرقاً لاتفاقية وقف إطلاق النار ؟ أو ألم يكن تدخل (فولك برنادوت) وتقرير الهدنة مع سابق معرفته بأمر هذه السفينة منذ وصولها إلى فرنسا وشحنها بالأسلحة والذخائر ، ثم إبحارها إلى فلسطين ووصولها بعد إعلان الهدنة يومين فقط دليلاً قوياً على المؤامرة الدولية التي كانت مدبرة ضد العروبة والعرب ؟ وصلت السفينة تحت سمع (فولك برنادوت) وهيئة الأمم المتحدة ، وذرا للرماد في العيون أرسل أحد معاونيه من مراقبي هيئة الأمم المتحدة لمعاينة شحنة السفينة التي جاء . تقرير عنها من فرنسا قبل إبحارها فرفض اليهود السماح له بالاقتراب منها بينما نجد نائب بن جوريون في وزارة الدفاع إلا وهو (إسرائيل جاليلي) يتصل أكثر من مرة بالإرهابيين لإخطارهم

بوصول الأسلحة التي تسلمتها حكومة بن جوريون وتولت توزيعها على قواتها .

وفي أول بوليه ١٩٤٨ بدأت الحرب من جديد بعد أن أصبح لجيش بن جوريون أسطول جوى وصل من الولايات المتحدة مارا بمكسيكو عابرا المحيطات إلى تشيكوسلوفاكيا ومنها إلى اليونان وفلسطين^(١) : أما الطيارون فجلبهم من غير اليهود فقد كانوا أمريكيين وكنديين وأستراليين . وهل نعجب بعد هذا إذا رأينا أسراب الطائرات الأمريكية والأسلحة التشيكوسلوفاكية والجنود من أكثر من ستين دولة يقومون بدور هام في حرب فلسطين ؟ لكن يظهر أن جميع هذه المساعدات الحربية المختلفة لم تضمن لليهود ملاقات العرب . لذلك جاءت الهدنة الثانية .

وفي سبتمبر أدرك بن جوريون أن (فلك برنادوت) وجد نفسه بغتة في ميدان حرب عجيب لم تعد مصر فيه تواجه بن جوريون وشرأذمه فقط بل تطورت الأمور إلى حرب بين مصر ورعايا دول الكتلتين الشيوعية والديموقراطية فأسراب الطائرات أمريكية وغير أمريكية يقودها طيارون أمريكيون وكنديون وأستراليون والأسلحة والذخائر شيوعية من انتاج تشيكوسلوفاكيا وغيرها . أما الجنود فشيوعيون وديموقراطيون وحتى اليونان ساهمت علاوة على ذلك بجوها وأرضها ومياهها فجعلتها معبرا للجيش المعتدين وعتادهم وطائراتهم إلى الشرق العربي^(٢) بالرغم من كل ذلك الذي كان يتم تحت سمع مراقبي الأمم المتحدة وبصرهم فإن جيوش مصر ظلت متشبسة . مستميتة في مواقعها وحيدة في الميدان وأعجب (برنادوت) بهذه الشجاعة النادرة وقرر التقدم بمشروع لاحتلال

(١) Wolfgang Bretholz : Aufstand der Areber Muenchen (١) 19٥0 p. 201.

(٢) المرجع السابق .

السلام وفيه يقترح أجلاء هذا الخليط من الجيوش الأجنبية عن النقب والرملة والقدس الجديدة . أما حيفا فتبقى ميناء حرة كما أن مطار اللد يصير مطارا دوليا ويطالب بن جوريون باعادة جميع اللاجئين إلى ديارهم فتقرر قتل الوسيط الدولي وقدمت جماعة شتيرن قتل برنادوت ومرافقه الفرنسي في ١٧ سبتمبر ، وقد أحدث هذا استياء عاما في جميع الاوساط الدولية حتى بين أولئك الذين كانوا يناصرون الصهيونية بالمال والعتاد والرجال لكن بالرغم من ذلك فقد اعترفت الأمم المتحدة في أكتوبر ١٩٤٨ باحقية بن جوريون في النقب وفيه يربض خمسة عشر ألف جندي مصري يحتفظون في الصحراء بثلاث مناطق فيها غزه وبشر شبع فخلق هذا الوضع صعوبة كبرى أمام بن جوريون لأن الطريق الوحيد الموصل بين المستعمرات اليهودية في جنوب النقب هو احد هذه الطرق التي في قبضة المصريين وهذا الوضع كان يصادف مصر عند تموينها لقواتها في بيت لحم لان الطريق بين الشرق والغرب كان في يد هذا الخليط من الجيوش فتدخلت هيئة الهدنة التابعة للأمم المتحدة لعمل تسوية بين الطرفين المتحاربين أعنى مصر وسائر القوات الأجنبية وهذه اتفاقية عجيبة حقا تقضى بأن يسمح كل طرف للآخر بأن تمر قافلته ست ساعات شمالا وجنوبا ولمصر شرقا وغربا .

ثم غدر بن جوريون ونقض الاتفاق بالرغم من احتجاج وزير خارجيته وقتذاك (شاريت) وهجم على النقب وتحصنت فرقة مصرية في القرية العربية الواقعة شمال النقب الا وهى الفالوجة وانقطعت سبل التموين عنها فالفالوجة أصبحت محاطة بالعدو من كل صوب وهو يرفض السماح بتموينها ولم يبق أمام مصر إلا أحد أمرين إما أن يموت المصريون جوعا أو تسمح الحكومة المصرية لجنودها بشق طريقهم بالقوة . وقررت مصر الهجوم واستخدام

القوة ولسان حال جنودها اتنا أبناء أمة قديمة كالا بدية وطنها العالم العربي وسرها العقيدة ومقدراتها الكفاح وسعادتها في التضحية . عدوها الاستعباد وعلمها الجهاد .

ولم يكديصل خبر هذا القرار إلى مسامع بن جوريون حتى سارع مع كل من (يجال يدين) و (يجال الون) إلى التشاور لاتخاذ الموقف وادركوا إن الدائرة ستدور عليهم وابقنت كل من انجلترا وأمريكا إن هذه المعركة الجديدة قد تقضى على الأخضر واليابس في فلسطين وغيرها لذلك حالتا دون وقوع المعركة وتمت الهدنة . لكن هذه الدولة التي ظهرت فجأة إلى الوجود أثارت كثيرا من الشكوك حول كيانها أي في الحالة المرجوة التي تحقق رغبات الصهيونية العالمية ؟ الجواب ولا شك بالنفى فبن جوريون لم يتعلم من التاريخ واططاء الآخرين . فالدولة الجديدة قامت بين دوى المدافع وصيليل السيوف ومع من هذه الحرب ؟ مع الدول العربية التي بيتت لها الصهيونية في ميثاق بلمتيمور ، وتساندها الدول استعمارية هذه الحرب . أن دولة بن جوريون تقوم على محاربة الدول العربية أو الجنس العربي كله فهي إذن في حالة حرب دائمة بخلاف الدول الأخرى التي تعنى قبل كل شيء باستقرار الأمن في الداخل والخارج ، ورعاية حسن الجوار مع الشعوب التي تحيط بها فقيام دولة بن جوريون معناه في اللغة الحديثة مدافع وطائرات وليس زراعة أو صناعة أو سلاما . إن قيام هذه الدولة أوضح لنا مدلول لفظ صهيونية ، انها الوحشية والقتل والسلب والنهب . إن بن جوريون عرف الصهيونية التعريف الحقيقي لها فهي الوحشية وايواء المشردين وتشريد الأمنين المستقرين إنها الظلم إنها مذبحه دير ياسين انها قتل (برنادوت) . لقد اقتترف بن جوريون ما اقتترف في دير ياسين وغيرها آملا أن ينسى التاريخ هذه المذابح الوحشية ، وآملا أن يعفو التاريخ عما اقترفته بن جوريون فكافأ أولئك السفاكين فحشرهم

فى زمرة الأبطال الأحرار ، وقرر لهم مرتبات مدى الحياة . إن التاريخ لم يعرف فى جميع عصوره إن المحافظة على أرواح هذا العدد القليل من اليهود يتطلب مثل هذا العدد من المدافع والدبابات والطائرات والمدركات ، فضلا عن أن هذا الجيش لا تسليحه وتتفق عليه حكومة بن جوربون بل دول أخرى متخبطة فى سياستها تجاه العرب والإنسانيه ؟ الا تدرى هذه الدول أن أموالها إنما تتفق على أنقاض وطن عربى هل تعتقد هذه الدول أن الحياة اليهودية لا تزدهر وتينع الا فى خرائب وأنقاض فلسطين . ان هذا التعريف للحرية جديد علينا وعلى التاريخ كما أنه سيجر اشنع الولايات على اليهود أنفسهم . أن اليهود فى مختلف أرجاء العالم قلقون لاخوفا من اضطهاد عنصري جديد مصدره الاسامية بل خلط الشعوب بين اليهود المقيمين بينهم وبين الجرائم التى تقتربها الدولة البنجورونية .

المجتمع الإسرائيلي

لا نجد شعباً من شعوب العالم معلوماً ومجهولاً كالشعب اليهودي فالإنسان لن ينساه ولن يحبه وذلك بسبب الكتب السماوية أولاً والكثرة المطلقة من الكتب التي نشرت حول هذا الشعب وتاريخه ثانياً ، وقد حاول كثيرون من العلماء التوفيق بين رأى أولئك وهؤلاء إلا أن هذه الأمانة لم تتحقق وظل الأمر كما هو عليه اليوم .

وإذا أردنا أن ننصف التاريخ حقاً ونبين الأسباب التي دفعت الوحي في مختلف العصور ، ومؤرخي هذا الشعب إلى الانتهاء إلى هذه النتائج المتضاربة تحتم علينا مراعاة الأصول المتبعة التي تليها علينا الأمانة العلمية ، أعني أن يتوخى المؤرخ الإنصاف فيعرض كما عرض الوحي تاريخ هذا الشعب بحسناته وسيئاته فعرض تاريخ المجتمع الإسرائيلي من هذه الزاوية سينتهى بالباحث ولاشك إلى إدراك المكانة التاريخية الحقيقية للإسرائيليين ، وهذا يتطلب الرجوع إلى حدثين هامين في تاريخ هذا الشعب .

والحدث الأول عندما حطمت روما في القرن الأول الميلادي الدولة اليهودية ، والحدث الثاني تشريد هذا الشعب . وترتب على هذين الحدثين أن أصبح الشعب اليهودي لا يحيا حياته الخاصة التي اعتادها وفطر عليها منذ قرون بل يتضور في حياتين : حياته ، وحياة البيئة الغريبة التي يعيش فيها وتحيط به . فالمجتمع الإسرائيلي خلق أحداثه الخاصة الداخلية وتحمل كارها الأحداث الخارجية فتعرض الإسرائيلي لقوى غريبة عنه لم يكن مستعداً لإدراكها . وأهم هذه القوى « المسيحية » التي جعلت من الإسرائيليين هدفاً من أهداف التاريخ حتى يومنا هذا .

وبالرغم من هذا الوضع نجد الإسرائيليين يحاولون جاهدين الخلق

والإعجاز والظهور بمظهر الأمة الكاملة أعنى بلوغ الإيجابية والتغلب على السلبية ، ولتحقيق هذا الهدف سلكوا طرقاً تغاير ولا شك ما سلكته الشعوب الأخرى فجميع المقدمات والأحداث المرئية والمشاهدة والتي تكون المواقف الحاسمة في تاريخ الشعوب مفقودة عند الإسرائيليين : فلا حروب، ولا فتوحات، ولا استعمار، ولا سيادة، ولا ثورات. إن الحرب عند الإسرائيليين اتخذ الأسباب والحيلة ضد القتل أو الضرب حتى الموت ، والفتوحات كسب العيش وسبل الحياة . أما الاستعمار فتكوين جماعة منهم في وطن أجنبي جديد . حكام الإسرائيليين هم العلماء والفنانون والحاخاميون، والثورات تندلع بينهم في المجالات العقلية والعلمية .

وظلت الحياة الإسرائيلية تسير على هذا المنوال حتى منحت الدول الأوربية اليهود المساواة فترتب على هذا التطور الجديد ضياع الحافز الإيجابي للإسرائيليين فقد اختفى أمام هذا الاتجاه الجديد . فالإنتاج العقلي الإسرائيلي كان مقيداً وتابعا للكيان الإسرائيلي بمعنى أنه كلما كانت الحياة الإسرائيلية مقيدة انكششت الحياة العقلية وتوارت واكتفى الإسرائيليون بالحياة الداخلية لا الخارجية أعنى الانصراف إلى الدين والشعور الديني ، وبقدر اتساع مجال الحياة الإسرائيلية يتسع مجال الحياة العقلية لكن إذا انتهت الحياة من عوامل التهديد ظهر النشاط الثقافي الدنيوي غير متأثر بالعقيدة أو الشعور الديني .

هكذا كان وضع الشعب الإسرائيلي عقب رفع الوصاية عنه وتحرره وأصبح الإسرائيلي حراً غير مشغول بمسألة حياته وعادت إليه بعض الحقوق التي تمتع بها كاملة تحت راية الإسلام وتم التبادل بين الوصي والقاصر لكن هذا التبادل لم يكن في العالم المسيحي إلا ظاهرياً فقط وكانت المساواة بين المسيحيين واليهود مساواة صورية فدفع هذا الوضع إلى خلق حالة عدم استقرار جديدة فكثرت تزيف التاريخ واتسعت هوة الخلاف وسعت

الشعوب المسيحية جاهدة إلى مقاومة الخطر الإسرائيلي كما تفنن الإسرائيليون في التشفي والانتقام من المسيحية وأتباعها وإذا ما قابلنا بين وضع اليهودية في أحضان المسيحية ووضعها من قبل في حمي الاسلام وجدنا المسلمين هم الذين حرروا اليهود والعقل اليهودي من اضطهاد الوثنية أولاً ثم المسيحية ثانياً وتمكن اليهود سواء في شرق العالم الاسلامي أو غربه من وضع اللبنة الأولى في صرح النهضة اليهودية الحديثة كما ظهر اليهود كدعاة رأي عالمي وهكذا أخذ التاريخ اليهودي يتطور حتى بلغ بالاسرائيليين المرتبة التي بلغوها اليوم .

والنهضة التي نعنيها تعتمد قبل كل شيء على الاختلاط بين الشعوب والتعاون والتبادل الثقافي واختلاط الشعوب هو العامل الأساسي في هذه النهضة وذلك لأن حياة العزلة والانفصال كما هو حال المجتمع الاسرائيلي اليوم في الوطن العربي ، تنتهي ولا شك إلى البغضاء والحروب والزوال ، وهكذا نجد المجتمع الاسرائيلي يسترد مقومات حياته البدوية الأولى أعني حرية الفكرة وحرية الكلمة وحرية التنقل التي ناصرها الاسلام ودعا إليها .

والآن نقسم هل يستطيع المؤرخ أن يكون محايداً ؟ هذا ما أشك فيه وذلك لأن أحداث التاريخ تتطلب من المؤرخ أن يحياها ويعيش فيها ويتأثر بها وإلا فهو جامع وثائق وأخبار فقط لذلك وراء كل موقف من المواقف التاريخية يجب أن يقف المؤرخ بقلبه ويعيش فيه متحملاً بالشرف والحقيقة وهنا يتجلى لنا شعور المؤرخ بالمسئولية أمام نفسه أولاً وأمام شعبه ثانياً وأمام العالم ثالثاً . والواقع أن الحقيقة المطلقة إنما تنشأ في إطار إدراك الحقائق التاريخية إدراكاً شخصياً وبخاصة نخلق شعب ما وتكوينه عملية تتم بطرق خفية عجيبة جداً فمن مجموعات وعشائر وقبائل وأفراد لا هم لهم إلا التفكير في أنفسهم تتكون مع مضي الزمن هيئات متحدة وجماعات متألفة متفقة في الطباع والأفكار ، في الحياة والموت ، السعادة والشقاء ،

ومن ثم تتنوع العواطف والأفهام والأفكار فتشكل مجتمعة البيئة .
تشكيلات متنوعة وإن نستطيع تعليل هذه الظواهر بأسباب هي الطقس
والطعام والضرورات الاقتصادية . هذه أسباب مؤثرة حقا في خالق البيئة
والمجتمع إلا أنها ليست كل شيء . إن المجتمعات البشرية تنمو ونمو
عضوياً كما ينمو الإنسان الذي هو جزء من الطبيعة فالمؤثر الهام في هذا
النمو وذلك التكوين ، الروح وكنهها وكذلك العقل والفكرة هذه هي
القوى الحقيقية التي لا ندركها وهي التي تسرى سريان السكرباء فتعمل
جاهدة في التطورات التاريخية . إن الأفكار لا تشاهد إنما تتجلى فقط وقد
يتقبلها الفرد أو يرفضها حسب قدرته الشعورية العقائدية . وهذه المظاهر
وتلك العوامل تتجلى لنا واضحة منذ أبعد العصور في المجتمع الاسرائيلي
وفي صورة متبلورة . وذلك لأن الوطن عقيدة وليس أرضاً ، وما العقيدة
إلا الحرية والكرامة الانسانية وحرية التنقل في أرض الله ومن هنا ندرك
لماذا نزع الاسرائيليون من مصر بزعامه موسى لما أراد الفرعون تحديد إقامتهم
وهم البدو الرحل أبناء الصحراء وعشاق الحرية وإذا كان العهد القديم صورة
حية لمعنى الوطن والقومية ففي تراثنا العربي القديم وكتاب الله العظيم أصدق
الشواهد لتصوير الدعائم الأولى لقيام المجتمع الحر وبدون إدراك هذه
الدعائم ان يستطيع مؤرخ إدراك كنهه المجتمع الذي يدرسه ليجنب حكمه
التردى في الأخطاء وإضاءة السبيل أمامهم لتحقيق رسالته الانسانية وهل
أصدق من قوله تعالى : إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها ، فإليك ماوهم جهنم وساءت مصيرا (النساء ٩٧) .

* * *

في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد نجد في بعض أصقاع الشرق
الأدنى مجموعات من هذا الشعب السامي والذي يرجح أن موطنها الأصلي .

سهو شبه جزيرة العرب تنتقل شالا إلى بلاد ما بين النهرين ومن ثم تستقر في جنرب بابل ، وكانت هذه القبائل خليطا من البدو والفلاحين يجرى في دماهم عدم الاستقرار وحب الحل والترحال آملين في إيجاد وطن يستقرون فيه لذلك نجدهم يتجولون ويتجولون بين قطبي الثقافة في ذلك الحين أعنى بابل ومصر ذارعين البلاد الرابطة بينهما ، أعنى تلك التي عرفت فيما بعد باسم فلسطين ، طولا وعرضا وهى القنطرة الطبيعية بين أفريقيا وآسيا . واستتبع هذا التجول استقرار الجماعة تلو الجماعة في بعض أجزاء فلسطين وما جاورها ومن ثم تتعرض فلسطين للغزو البابلي حينما والمصرى حيناً آخر لأن الأهمية التجارية والاستراتيجية لهذا المعبر بين الأمتين العظيمتين والقارتين الكبيرتين لم تغب عن كل من مصر أو بابل .

ففي حوالى عام ٢٥٠٠ ق . م . استولت عليها بابل ثم جاءت مصر واستولت عليها وإلى هذه الفترة تشير رسائل تل العمارنة التى عثر عليها عام ١٨٨٧ وهى هذه الرسائل التى تبودلت بين الفرعونين أمينوفيس الثالث والرابع اللذين عاشا فيما بين ١٤١٠ - ١٣٦٠ من ناحية ، وبين أمراء وملوك الشرق الأدنى من ناحية أخرى . وفى هذه الرسائل نقرأ أن (ادبها) والى القدس أرسل إلى فرعون مصر يخبره أن قبائل وعشائر أخذت تنزح من الصحراء إلى فلسطين وأن هذه القبائل تهدد الأمن وتسبب كثيرا من الفوضى والاضطراب نظرا لأعمال السلب والنهب التى تقوم بها . وإذا واصلنا قراءة هذه الرسائل وجدنا (ادبها) يطلق على هذه القبائل اسم (خبرى) أى (عبرى) حسب التسمية المعروفة لنا الآن ، إذ أن حرف (خ) يقابله الحرف (ع) كما أثبت ذلك رجال اللغات السامية بدراستهم المستفيضة لهذه الرسائل . أما لفظ (عبرى) فهو بدل (عبر) بمعنى شاطئ ، أو ناحية ، والمقصود هنا شاطئ الأردن لا الفرات كما ظن قديما .

أما متى انفصلت هذه القبائل التي عرفت باسم العبريين عن الأمم، فلا نستطيع تحديد هذا الزمن إلا أننا من القصص التي جاءتنا ومن لفظ العبريين. وأساطير الآباء الأولين نستطيع أن نقرر أن العبريين كانوا يقيمون قبل نزوحهم إلى فلسطين في جنوب وادي الفرات ثم صعدوا إلى ما بين النهرين واقتفوا أثر من سبقوهم من المهاجرين الساميين الآخرين فأنجموا إلى سوريا ومن ثم إلى كنعان على حدود البوادي ولما اشتد بهم الجوع هبطوا مصر. ثم نجد هؤلاء العبريين يستقرون في جزء من حدود كنعان لكن الاستقرار يتعارض مع الترحال وليس هذا فقط بل هناك فرق بين الأفكار وطرق الحياة لذلك انقسمت القبائل العبرية فيما بينها حسب طرق حياتها انقسام الأمرة السامية إلى أكاديين وأراميين وكنعانيين وعرب جنوبيين ومصريين وحشبش وعرب شماليين لقد انقسم العبريون إلى « بنى إسرائيل » وآخرين. ثم تذهب مسألة التطور والانقسام بعيداً في المسكان، أعنى في بلاد كنعان. فنجد « بنى إسرائيل » المقيمين في كنعان ينقسمون إلى اثني عشر سبطاً وهؤلاء الأسباط وإن اتفقوا أصلاً ولغة وعادات إلا أنهم يختلفون فيما بينهم في سبل الحياة والمصير. فهناك قسم منهم ظل مقيماً على حدود كنعان، وآخر نزل البوادي، وثالث عضه الجوع بنابه فنزح إلى مصر حيث الحياة رغدة والأمن مستقر.

وفي مصر أتاحت الفرصة لبنى إسرائيل للاندماج في سامي مصر والأقطار الأخرى وذلك لأن بنى إسرائيل لم يقيموا في مصر بمعزل بعيدين عن الآخرين، فأرض جوشن التي نزلوا بها هي هذا الجزء من الدلتا الواقع بين فرع دمياط والصحراء وهو الإقليم الذي استوطنته قبائل سامية عديدة لخصوبته وكثرة مراعيه. ولما قررت مصر الاتساع شرقاً حتى بابل رأت من ضروريات السياسة الجديدة إقرار البدو نشراً للأمن والاستقرار فشق هذا الوضع الجديد على بنى إسرائيل الذين نزلوا وادي جوشن بدوا يروحون ويغدون وهم بحكم هذا الضرب من الحياة تغلب عليهم النزعة.

الفردية وينفرون من الاشتراكية الجماعية لذلك تمردوا مفضلين البداوة والترحال على الحضارة والاستقرار فمن هذا العرض لوضع بنى اسرائيل في مصر تبيين ثلاثة عناصر هامة جدا أثرت في خلق الشعب اليهودي :

١ - عاش الشعب اليهودي قرابة قرن في عزلة مستمرة ، وهذه العزلة أخذت تسلبه إلى ثنائية وثلاثة حتى عصرنا الحالي . إن هذه العزلة أصبحت شعارا لهذا الشعب وعلامة مميزة له بين الشعوب .

٢ - ومن هذه العزلة ظهرت فكرة الاختيار وان بنى اسرائيل هم شعب الله المختار .

٣ - وأصبحت فكرة الاختيار مع مرور الزمن توحى إلى الاسرائيليين أن يخلق تلقائياً القدرة والكفاءة وما اليهما من الخصائص التي تميزه على أفراد الشعوب الأخرى التي يعيش في كنفها وبتعبير آخر الحيوية الجبارة للكفاح حبا في البقاء .

فالعناصر الثلاثة ، العزلة ، و ، الاختيار ، و ، التجمع ، إلى جانب العقيدة الدينية هي مقومات الأمة الاسرائيلية التي تلازمها حتى اليوم .

موسى

وفي وسط الأحداث التاريخية لبنى اسرائيل تظهر شخصية موسى واضحة جليلة فمن هو موسى واذا يريد ؟ تجمع الأخبار التي وصلتنا عنه إنه كان لين الطبع دمث الأخلاق مهذبا ، وبتعبير آخر طيبا ، والطيبة من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الشخص الحر المحب للعدل . وذلك لأن الاستعباد والظلم صنوان ، فموسى هو الرجل ، المصرى اسمه ، عرف القصر الفرعونى فى ممفيس كما تأثر ولا شك بالعقيدة المصرية القديمة وإدراكها للعالم والالوهية ، وكما تأثر موسى بهذه العقائد كذلك بنو اسرائيل وذلك لأن موسى لم يخلق ديناً فالدين لا يخلقه فرد كما أن الثورة مهما كان لونها ليست من عمل زعيم من الزعماء وكل ما فى الأمر أن العقائد الدينية

والثورة على الأوضاع كانت مكبوتة واقعة تحت ضغط الظروف ، فجاء البطل فطم هذه القيود فانطلقت الروح الشعبية من هذا القمم محطمة الأوضاع البالية مباشرة بفجر عهد جديد . فموسى هو مظهر هذه القوى الشعبية وفيه تتجلى مقوماتها . لقد كان موسى زعيما حقيقيا ولو أن المصادر تطلق عليه لفظ (نبي) وهذا أيضاً صحيح لأنه في تفكيره وعمله كان ينظر إلى المستقبل ويعد الشعب له . فبفضله بلغ بنو اسرائيل مرحلة الرغبة في الاستقرار ، والتخلص من طبيعة البداوة ، والحل والترحال وعندئذ فقط يبدأ عصر الخلق الثقافي ، لذلك أدرك الخطر الذي يهدد بنى اسرائيل إذا ما ظلوا مقيمين في (جوشن) يقيمون حياة البدو فانتزعهم من هذا المكان وحسب إليهم الرحيل فوعدهم بأنهم سيستولون على وطن آخر أعنى أرض كنعان التى يستوطنها العرب وبعض العبريين إلا أن هذه الأرض قد غصت بسكانها فكل هجرة جديدة إليها يجب أن تشق طريقها بالقوة أعنى حرباً ضد أقارب بنى اسرائيل جنساً وثقافة فجميعهم ساميون ، وقد طالبهم موسى بهذا القتال وعلل رغبته هذه بشريعة الآباء الأولين ، ولو أن كنعان قد تطورت حياتها وتقاليدها عما كانت عليه أيام أولئك الآباء والأجداد . فنجد موسى يفكر فكرة أخرى متصلة بالدعوة لآله جديد يغاير سائر المعبودات التى عبدها بنو اسرائيل من قبل .

وكان من الصعب على الشعب إدراك الفكرة الجديدة التى ينادى بها موسى لكن ثقة بنى اسرائيل في زعيمهم اضطرتهم إلى الايمان بدعوته فتبعوه إلى سيناء المتاخمة لاقليم جوشن وهناك في واد من الأودية المرتفعة الغنية بمختلف أماكن العبادة أفهم موسى بنى اسرائيل أن رسالة جديدة جاءتته تتصل بحدث دينى عظيم ، وهو عقد حلف أو عهده مع الله .

فمن هو هذا الآله ؟ وكيف فهمه بنو اسرائيل ؟ الواقع أنهم لم يفهموه ولم يدركوه لأن بنى اسرائيل لم يخلقوا من أنفسهم لأنفسهم إلهاً

بل شاهدوه على المرتفعات وفي أعماق الوديان ، فقد توهّموه في سيناء حيث فرضت عليهم التعاليم الدينية والخلقية أعنى (الوصايا العشر) و (كتاب العشر) وهذه الوصايا وذلك العهد يتفقان تماما مع ما جاءنا في شريعة كل من مصر وبابل أعنى كتاب الأموات وشريعة حمورابي . والذي حدث أن بنى اسرائيل تركوا هذه التعاليم التي أخذوها عن الشعبين الساميين العريقين ثم مع مضي الزمن حوروها بعض التحوير . فبينما نجد في كتاب الأموات مثلا كيف تدافع الروح عن نفسها أمام الآلهة أو زيريس قائلة : أنا لم أقتل ، إذ بالوصايا تستخدم صيغة الأمر : لا تقتل ، ، لا تزن ، ، لا تسرق ، . . . لجميع هذه الوصايا وتلك الأوامر بدائية إلا أنها لم تلبث إلا أن تطورت مبتدأة بفكرة التوحيد التي خرج بها الاسرائيليون من مصر ومن ثم أكدها موسى في سيناء ، وذلك لأن الله لم يختار شعب بنى اسرائيل بل الشعب نفسه هو الذي اختار هذا الإله .

وفي صحراء سيناء أيضاً واصل موسى نشاطه ، وقد قصد الصحراء لأنها أصحح مكان لرياضة بنى اسرائيل على الحياة الروحية وبخاصة حيث مدينة : قادش ، أى : مقدسة ، فهي مركز قديم للعقائد المعينية التي كانت سائدة في شمال الجزيرة وبخاصة في هذا الصقع حيث طرق القوافل التجارية التي كانت تروح وتغدو بين جنوب الجزيرة وشمالها ، ومن ثم تتفرع إلى شرقية تتجه إلى بابل وما إليها وغربية عابرة سيناء إلى وادي النيل وقد أقام بنو اسرائيل ، كما تحدثنا التوراة ، هناك أربعين عاما فتزايدوا بالتناسل أولا وانضمم بعض القبائل الاسرائيلية الأخرى إليهم ثانيا فأصبحنا أمام شعب خليط من مجموعة من القبائل التي لا تنتمي إلى قبائل بنى اسرائيل ، وظل هذا الخليط من الناس يتجول في الاقليم الممتد من قادش إلى ايلات قرابة نصف قرن ولما أحس موسى أن الفرصة

موانية للاستقرار في وطن ما وليكن كنعان اتخذ له شعاراً كنعان هي أرض الميعاد ، لذا طالب أنصاره بوجوب غزوها والاستيلاء عليها . وهكذا نجد بني اسرائيل يتقدمون في الحياة وشعارهم كنعان التي لم يشاهدها أحد منهم من قبل وهم بالرغم من ذلك يدعون أنها وطنهم ، وهنا فقط تنشأ عند بني اسرائيل فكرة « الوطن » ، والوطن هنا بلاد لم ينشأ فيها شعب ولم يتوارثها أبناء وأحفاد كالأوطان الأخرى بل الوطن عند بني اسرائيل عبارة عن فكرة لا استيطان ، إن الوطن هنا نشأ عن فكرة تقول أن وعد الله لهم يتحقق باستيطان كنعان وهنا نجد الأرض ممزجة بالعقيدة ولا تنفصل واحدة عن الأخرى ، فالرابطة قوية جداً بين الوطن والعقيدة والعادة أن الشعب ينمو ويتزايد ويتطور مع وطنه غالباً فالشعب يعيش ويتطور عن طريق وطنه وليكن هنا نجد شعباً يظهر إلى الوجود أولاً ثم يتجه روحياً إلى إقليم بعينه كوطن له ثانياً ، وهنا نرى بني اسرائيل يقفزون قفزة إلى وطن غريب عليهم فعند بني اسرائيل الفكرة الوطنية أولاً ثم الوطن ثانياً بخلاف نظرية التطور الاجتماعي في حياة جميع شعوب العالم والقوميات المختلفة لذلك نجد الإقليمية والطقس يلعبان دوراً ثانوياً جداً في حياة بني اسرائيل فنجد الاسرائيلي يعيش في أي بلد وتحت كل سماء دون أن يفقد شخصيته أو غيرها فهو ان يفنى في البلد الذي يأويه .

أن الوطن الذي يطمع فيه الاسرائيلي هو وطن روحى وقد حاول موسى بما لديه من وسائل قليلة بلوغه فتقدم من جهة الشمال فاعترضته بعض القبائل الأجنبية التي اضطرتته إلى الالتفاف جنوباً فنجح بعد كفاح مرير في الوصول إلى سهل شرق الأردن إلا أن قبيلة (يهوذا) تخلفت ونجحت في دخول كنعان من جهة الجنوب وبلغت مكاناً قريباً من اورشليم التي كانت وظلت في يد اليوسيين . ومع قبيلة (يهوذا) سارت أيضاً قبيلة

(شمعون) أما باقى الأسباط فقد ظلوا فى شرق الأردن وأن أصبح الطريق أمامهم مفتوحا لدخول كنعان . لكن وقع انقسام بين مختلف الأسباط فوجدوا ورويين وبعض سبط منسى يقررون البقاء فى شرق الأردن ، ثم مات موسى ولم ير عبور الأردن وخلفه فى القيادة يشوع بن نون فانتقل إلى الأردن وقضى على الحلف القائم بين العموريين والكنعانيين الشماليين وبذلك نجح فى تحقيق بعض النصر .

وهكذا نجد الأسباط تنزل فى ثلاثة أقاليم : إقليم يهوذا فى أقصى الجنوب وتفصل بينه وبين بقية الأسباط قبائل أجنبية . والإقليم الثانى هو شرق الأردن وهو إقليم مخلق يحده نهر الأردن ويفصل بينه وبين الإقليمين الآخرين . أما الإقليم الثالث . فى وسط كنعان وتنزل فيه بقية الأسباط . أما القسم الساحلى الشمالى فكان ينزل فيه الفينيقيون وفى الشاطئ الجنوبى الفلسطينيون وقد نزحوا من جزر بحر إيجه .

ويلاحظ أن أهم شىء فى هذا الغزو لا مقاومة السكان الأصليين بل التنافس القوى بين الأسباط وتكالب كل سبط على الاستقرار فى مكان بعينه ، وقد استتبع هذا التنافس طبعاً تفرق الأسباط واشتتتاً إذ كان كل سبط لا يهتم إلا بنفسه فالاستيطان لم يكن جماعياً بل فردياً وهنا تجلت وبرزت الأنانية الفردية .

والشئ الجدير بالذكر أن سبط (لئى = لاوى) لم يحصل على أرض بعينها ليعقيم فيها كما أنه لم يبع التبعية لسبط آخر كما صنع سبط (شمعون) الذى خضع لسبط يهوذا لذلك منحت الأسباط أفراد سبط (لئى) حق الإقامة بينها وكان هؤلاء اللاويون يقومون بوظيفة الكهنة ومعنى هذا الاعتراف بأن وظيفة الكاهن وظيفه عامة تهم الجميع أنى يقيمون ، وإذا حدث وشن سبط أو أكثر حرباً دفاعاً عن أملاكه أو رغبة فى التوسع

لم ينظر لهذه الحرب على أنها حرب سياسية يشعلها سبب ضد آخر بل تعتبر الهمة أعنى « حرب يهود » ، والتمسك بهذه الفكرة خلق اللاهوتية الإسرائيلية .

وكل غزو ترتب عليه إقامة المنتصر في الأرض المفتوحة وتتبع هذه الإقامة أو الاحتلال حرب ثقافية قد تنتهى بهزيمة المنتصر عسكريا ونصر المهزومين وهذا ما حدث فعلا بعد استيلاء الاسرائيليين على البلاد فقد اضطروا إلى الانسحاب من المعركة الثقافية وفضلوا حياة العزلة على الاختلاط والامتزاج الثقافي بالرغم من قلة عددهم إذ كانت البلاد عامرة بالفينيقيين والفلسطينيين والآراميين والآدوميين والموآبيين والعماقة والآمونييين والعرب وغيرهم فهؤلاء جميعهم كانوا يحيطون بالاسرائيليين ويقطنون بينهم .

فلسطين

لفظ « فلسطين » هو الصيغة اليونانية للفظ « فلاشت » ، الوارد في العهد القديم^(١) . ومعنى هذا اللفظ « أرض الفلسطينيين » ، وهى الجزء المطل جنوبا على البحر ولو أن اليونان منذ عهد هيرودوت كانوا يطلقونه أيضا على الجزء الداخلى للبلاد . وفى هذا المعنى استخدمه الكتاب المسيحيون .

وليس لفظ « فلسطين » هو أقدم أسم أطلق على هذا الاقليم فقد احتفظت لنا الكتابات المسمارية باسم آخر إلا وهو (أمور) كما نجد فى العبرية « أمورى » ، وهو يطلق على فلسطين وكنعان والبقاع . وتطلق رسائل تل العمارنة على فلسطين الحالية ووسط سوريا لفظ (كينخى) أو (كينخنى) كما أطلق قدماء المصريين لفظ (كنعان) على الشرق الأدنى بما فى ذلك

(١) سفر الخروج ص ١٥ ي ١٤ وأشعيا ص ١٤ ي ٣١، ٢٩ والزمير ٦٠ ي ١٠ .

كنعان وعبروا عن جنوب فلسطين بلفظ (خرو) وشمالها (روتو) .
أما لفظ كنعان كما هو وارد في العهد القديم فيشير إلى هذا الجزء
من فلسطين الواقع غرب الأردن بما في ذلك الجزء الساحلي . أما حدود
هذه البلاد فقد اختلفت الآراء حولها فشمالا حتى حماة^(١) . وحماة المعنية
هناهي حماة الكبرى^(٢) . أعني الاقليم الواقع شمال نهاية لبنان . لكن هناك
رأى آخر يقول إن حماة المقصودة هي الجنوبية وهي المشهورة باسم
(حماة صوباه) الوارد ذكرها في أخبار الأيام الثاني^(٣) . ويعتقد أنها
تقع جنوب جبل حرمون وهو جزء من جبل لبنان ويقع شمال شرق
فلسطين . وعلى كل حال فالجزء المأهول ببني اسرائيل يمتد من (دان)
حتى (بئر شبع)^(٤) . أما حدود كنعان الجنوبية فتبلغ ما بعد (بئر شبع)
حتى فادش وراوى مصرى وهو الاقليم الشمالى من البلاد العربية وأحيانا
يفسر خطأ على أنه مصر^(٥) واختلاف الروايات حول الحد الجنوبي
يرجع إلى عدم وجود حدود معينة .

أما الجزء الذى نزل به بنو اسرائيل فى شرق الاردن فيطلق عليه عادة
فى القديم اسم دجلعاد ، وهو لفظ يطلق على جبل جلعاد أو كما يسمى
اليوم جبل جلعود وهو الممتد بين نهري ديبوك ، (فى العهد القديم واليوم
د الزرقاء) واليرموك^(٦) . ومن ثم يطلق هذا اللفظ أيضا على كل
شرق الاردن^(٧) .

-
- (١) راجع عاموس من ٦ ي ١٤ والقضاة من ٣ ي ٣ والملوك الأول من ٨ ي ٦٥
وحزقيال من ٤٧ ي ٢٠ ويشوع من ١٣ ي ٥ والعدد ٣٤ ي ٨ .
(٢) عاموس من ٦ ي ٢ .
(٣) من ٨ ي ٣ .
(٤) صمويل الثاني من ٢٤ ي ٢ و ١٥ وكذلك الملوك الأول من ٥ ي ٥ .
(٥) سفر العدد من ٣٤ ي ٣ . . . وحزقيال من ٤٧ ي ١٩ .
(٦) راجع التثنية من ٣ ي ١٠ ويشوع من ١٣ ي ١١ والملوك الثاني من ١٠ ي ٣٣ .
(٧) تسكونين من ٢٧ ي ٢٥ ويشوع من ٢٢ ي ٩ وصمويل الثاني من ١١ ي ٩ . . .

أما فلسطين فتتكون الثلث الجنوبي لهذا الإقليم العظيم الذي كان يسمى منذ عصور قديمة جداً «سوريا» وتحد شمالاً بنخط يقع شمال صور جنوب سفوح لبنان وحرمون ممتداً إلى خرائب تل القاضى وأبعد من هذا نجد المجرى الأسفل لنهر الليطاني أو كما يسمى أيضاً نهر القاسمى .

وجنوباً يفصل وادى غزة بين جبال سيناء وفلسطين ، وقد يطلق على وادى غزة الممتد جنوب غزة اسم وادى سبع ، المار بئر سبع ومن ثم يمتد حتى النهاية الجنوبية للبحر الميت . وعلى الجانب الآخر من هذا الخط نجد وادى الحصا والذي يكون الحدود الطبيعية .

أما الحد الغربى فالبحر الأبيض المتوسط . كما أن الحدود الشرقية غير واضحة المعالم وقد تسير على امتداد الاراضى التى يستغلها البدو لرعى الماشية .

أما مساحة هذا الاقليم فتبلغ حوالى ٢٣٠ كم طولاً بينما يكون غرب الأردن فى الجنوب حوالى ١٢٠ كم وشمالاً يبلغ عرضه ما بين ٣٥ و ٤٠ كم فالمساحة نحو ١٥ ٧٠٠ كم مربع . أما مساحة شرق الأردن فتبلغ حوالى ١٢٠٠٠ كم مربع بما فى ذلك اقليم حوران . ولم يحدث أن استقر أو امتلك الإسرائيليون هذا الجزء الساحلى فى جميع تاريخهم .

أما موقع فلسطين فهو القنطرة التى تربط بين آسيا وأفريقيا حيث تطل القارتان على البحر الأبيض المتوسط أو على أوروبا . ففلسطين من هذه الناحية على جانب عظيم من الأهمية لكيان هذه الشعوب وبخاصة تلك التى انحدرت من أرومة واحدة متفقة جنساً وعقيدة وثقافة ولغة ، ففى فجر التاريخ آخت بين قطبين من أقطاب الحضارة القديمة أعنى بابل ومصر بين قطبين من أقطاب الأسرة العربية قدما للإنسانية فى البابلية الآشورية والهيروغليفية خير ما انتجته القرينة العربية قبل الإسلام فاللغتان

عربيتان بكل ما للكلمة عربية من معاني فالهبر وغيلفيه لم يستطع لغوبوها في قرنتنا الحال ففهمها إلا على ضوء اللغة العربية التي حفظها لنا القرآن الكريم . والتبادل الثقافي بين فرعى هذه الدوحة العربية الكبرى كان يتم عن طريق هذا الممر الذي يخرج من مصر مخترقا سيناء وفلسطين محاذيا الشاطئ متجها شمالا حتى جنوب الكرمل وهناك يتشعب إلى شعبة تتجه شمالا في محاذاة الشاطئ إلى فينيقيا ، وهناك بالقرب من مصب نهر الكلب شمال بيروت يتخطى الطريق الصخور الناتئة حيث خلفت لنا القوافل الثقافية التجارية التي كانت تقطع هذا الطريق ذهابا وإيابا كثيرا من المكتابات المصرية والآشورية واللاتينية .

أما الشعبة الثانية فكانت تتخطى الكرمل متجهة شرقا حيث مرج « يزرعثل » جنوب الجليل والمعروف اليوم باسم (عمق) ومن ثم تتجه إلى بحيرة طبرية ووادي الأردن فبحيرة الحولة لتتجه مخترقة البقاع فحماة فشمال سوريا ومن ثم تتسلق مرتفعات شرق الأردن لترتبط دمشق بالبحر الأبيض^(١).

ومن ايلات على البحر الأحمر كان يخرج طريق يسير محاذيا لشرق الأردن حتى يبلغ دمشق وعند معان يلتقي به الطريق القادم من جنوب الجزيرة العربية . كما كان هناك طريق يخرج من البحر الأحمر مخترقا إقليم (عربيه) إلى حبرون كما خرج طريق من شمال شرقي الدلتا مخترقا النقب إلى حبرون أيضا .

وعن طريق هذه الشرايين التجارية والثقافية وصلت الحضارة والثقافة إلى فلسطين الفقيرة مساحة وثراء ، وهذا ما يجعل لنا أن فلسطين عبر التاريخ لم تنجح في خلق تاريخ خاص بها فهي مصرية حيننا وبابلية حيننا آخر ولم تكن يوما من الأيام فلسطينية .

(١) راجع سفر أرميا س ٨ ي ٢٣ .

هذه فلسطين من ناحية موقعها الجغرافي ومكاتها من الناحية السياسية كقنطرة تربط بين أفريقيا وآسيا من ناحية وبين الشرق والغرب من ناحية أخرى، أما إذا نظرنا إليها من حيث التضاريس الأرضية وأثرها في حياة البلاد اقتصاديا وسياسيا وجدنا سوريا عامة تعرضت قبل فجر التاريخ لكثير من التصدعات الأرضية العنيفة التي شقت هضبتها الجيرية شمالا وجنوبا إلى شقين عظيمين، ويبدأ هذا الكسر من المنطقة الواقعة شمال انطاكية القديمة مكونا وادى نهر العاصى ومن ثم المنخفض الواقع بين لبنان والبقاع ثم يغور بعيدا مكونا وادى نهر الاردن ويصل أبعد عمق له في البحر الميت . ثم يسير هذا الكسر بعيدا في نفس الاتجاه مخترقا إقليم عربية حتى يبلغ خليج العقبة في البحر الأحمر وهكذا نجد فلسطين تنقسم إلى أربع مناطق متباينة تباينا تاما من حيث طبيعة أرضها وهذه المناطق هي : السهل الساحلى ، غرب الأردن الجبلى ، وادى الأردن ، وأخيرا شرق الأردن .

أما السهل الساحلى فقد ظهر في عصور متأخرة وذلك لأن مياه البحر كانت أعلى من منسوبها الحالى إذ أن منسوب المياه كان يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ متراً فوق المنسوب المعروف لنا اليوم فقد كانت المياه تكاد تبلغ قمة الجبل ومن ثم أخذت تنحسر تدريجيا فظهر هذا السهل الساحلى وما زلنا نشاهد اثار هذه التعرية في جهات مثل صور وعكا وغزة .

غرب الأردن الجبلى يكون خطأ يكاد يكون مستقيما ممتداً من الجنوب إلى الشمال وهو يربط بين التيه في شبه جزيرة سيناء وبين لبنان .

وادى الأردن يمتاز الاردن بمسقطه القوى فنبعته يقع على ارتفاع ٥٢٠ متراً فوق سطح البحر وبحيرة الحوله على ارتفاع مترين بينما بحيرة طبرية على عمق ٢٠٨ أمتار تحت سطح البحر والبحر الميت ٣١٨١ متراً

تحت سطح البحر ، فسقط مياه الأردن يبلغ نحو ٩١٤ مترا منها ٥٢٠ مترا فوق سطح البحر ويبلغ طول النهر من منبعه إلى مصبه ٢٢٠ كيلو مترا . ويخرج نهر الأردن من ثلاثة منابع أبعدھا نهر الحصباني في غرب جبل حرمون خارج فلسطين وعلى ارتفاع ٥٢٠ مترا من سطح البحر .

أما المنبع الثاني فهو نهر بنياس بالقرب من بنياس (قيسرية فيليب) وعلى ارتفاع ٣٣٠ مترا فوق سطح البحر .

والمنبع الثالث هو « اللدان » ويستمد مياهه من نبعين في سفح « تل القاضي » وهذا المنبع يقع على ارتفاع ١٥٤ مترا فوق سطح البحر ويعتبر المصدر الرئيسي للأردن ، وعلى بعد ٨ كيلو مترات من تل القاضي جنوبا (على ارتفاع ٤٣ مترا فوق سطح البحر) يلتقي الحصباني مع نهرى المنبعين الآخرين وهنا يبلغ اتساع نهر الأردن ١٤ مترا .

أما مياه الأردن فتتمر شمال البحر الميت في بحيرتين ، والأراضي التي يخترقها حتى بحيرة الحولة خصبة جدا بالرغم من وجود بعض المستنقعات في الوسط . أما بحيرة الحولة ذاتها فمثلثة الشكل يبلغ طولها نحو ٨ و ٥ كيلو مترات وأقصى عرض لها نحو ٢ و ٥ كيلو مترات .

وجنوب بحيرة الحولة يجري النهر في أرض خصبة ثم يأخذ مجراه في الانخفاض حتى يصل بحيرة طبرية الواقعة على عمق ٢٠٨ أمتار تحت سطح البحر أما عمق مياهها فيتراوح بين ٥٠ و ٧٠ مترا وأقصى عرض لهذه البحيرة ٥ و ٩ كيلو مترات كما أن طولها يبلغ ٢١ كيلو مترا وساحة سطح البحيرة ١٧٠ كيلو مترا مربعا ويلاحظ أن الجبل يقوم شرق البحيرة عليها مباشرة بينما في الغرب ينفرج عن شاطئها مسافة يقدر عرضها بنحو ١٥٥ كيلومتر وطولها ٥ كيلومترات وتعرف هذه المنطقة اليوم باسم « الغوير » . والبحيرة غنية بالأسماك ومن بينها أنواع لا توجد إلا في نهر النيل أو في المياه المدارية الأخرى كما تشتهر المنطقة المحيطة بها بالخصوبة .

أما معظم الراوفا التي تمتد الاردن ببعض المياه فهي عبارة عن نهيرات لا ترى الماء إلا شتاء وأشهر هذه النهيرات : شريعة المنادرة وفي التلود يسمى اليرموك ويكاد يساوي الاردن في كمية المياه التي يأتي بها ثم نجد أيضاً نهر الجالود ثم نهر الزرقاء ويطلق عليه العهد القديم نهر (ييوك) ثم وادي فرعه وأخيراً وادي الكلت الذي يجري في حقول أربحا وهي تعتبر من الأراضي التي يصب فيها الأردن .

أما أكثر الجهات غوراً في حوض الأردن فالبحر الميت ويطلق عليه العرب أيضاً بحر لوط وهو يحتوي على كثير من المعادن وبخاصة الملح والكلور والكثرة ملوحته لا تعيش فيه أسماك وان عثر فيه أخيراً على بعض الميكروبات .

شرق الأردن عبارة عن هضبة تتحدر عمودية من جهة الغرب في وادي الأردن أما من الناحية الشرقية فتنتهي تدريجياً في الصحراء دون إدراك حدود فاصلة ، أما من الناحية الجنوبية فعبارة عن سهل وتخترق هذه الهضبة ثلاثة وديان تتجه من الشرق إلى الغرب وادي الكرك ووادي الحبيب ووادي زرقاء معين . . أما الاقليم الواقع بين وادي الزرقاء والمجيب فيسمى اليوم « البلقاء » . أما الجزء من الهضبة الواقع شمال اليرموك فيسمى « حوران » .

فهذه التضاريس الأرضية التي تتكون منها فلسطين فرضت عليها سياسة خاصة خضعت لها في مختلف العصور فالتبائل النازلة في شرق الأردن لم تخضع سياسياً في عصر من عصور قيام الدولة الاسرائيلية لليهود ونفس الظاهرة نجدها أيضاً في غرب الأردن كذلك الحال إذا ما قابلنا بين شمال فلسطين وجنوبها فنجد أقدم العصور كان اقليم الجليل يتمتع بنوع من الاستقلال وفي المناطق الأخرى من البلاد نجد جماعات تتكون ولا تربط بينها روابط قومية كما لا تخضع لسلطان سياسي يوحد بينها وهكذا نجد سكان المناطق المختلفة يحيون حياة مستقلة وكل طائفة

تتولى الدفاع عن مصالحها الخاصة والتاريخ يمدنا بكثير من الأدلة التي تؤكد هذا .

الطقس

لا تعرف فلسطين الفصول الأربعة بل تنقسم السنة إلى فصلين متباينين . صيف لا يعرف الغيث وشتاء مطير وأكثر شهور السنة بردا فبراير حيث تبلغ درجة الحرارة حوالي ٨ درجات وأحر شهر هو أغسطس إذ تبلغ درجة الحرارة ٣٤ درجة وذلك في مدينة القدس وتتجمع في فلسطين حرارة النهار وبرودة الليل والرياح الشمالية الباردة والجنوبية الحارة . أما الحاصلات الزراعية والفواكه وما إليها فنجد منها التين والزيتون والعنب والتفاح والجوز ومن الحبوب الحنطة والشعير والذرة والثوم والبصل والقشاء والبطيخ ، أما الحيوانات المستأنسة فالبقر والضأن والابل ، والمعز والخيل والحمير وفيها من الطيور الدجاج والطيور المستأنسة الأخرى كما نجد فيها الزواحف والحشرات .

سكان فلسطين وثقافتهم في عصر ما قبل التاريخ

ان الثقافة الاسرائيلية لم يأت بها الاسرائيليون من الصحراء بل استمدوها من أرض كنعان أعنى من الحضارة الكنعانية والفضل في الاهتمام إلى هذه النتيجة يرجع إلى الكتابات والاثار المصرية والبابلية التي وصلتنا والتي تؤرخ بصفة خاصة الفترة السابقة لنزوح الاسرائيليين إلى فلسطين مباشرة .

ففي العصر (الأيولي) أعنى عصر تدفق الأمطار يعتقد أن هضبة شرق الأردن هي أول مكان كان أهلا بالسكان ثم في العصر (الباليولي) نجد

أوائل القوم الذين نزلوا غرب الأردن واستوطنوه . وفي منتصف
العصر (النيوليتي) (حوالى ٥٠٠٠ ق . م .) نستطيع أن نقرر فى شىء
من اليقين إزدهار حضارة كل من مصر وبابل وحوالى عام ٢٥٠٠ أخذت
ترسل كل من الحضارتين أضواءها إلى كنعان كما نتيين هذا من كثير من
الاثار المصرية التى عثر عليها بخاصة فى (جيزر) .

سكان فلسطين قبل نزوح الإسرائيليين إليها

إذا استثنينا الفلسطينيين والحثثين فسكان البلاد قبل نزوح
الاسرائيليين إليها كانوا من الساميين . وأقدم شعب سامى نزح إلى فلسطين
هم الكنعانيون وقد ذكروا أحيانا باسم الفينيقيين ونجد غيرهم الاراميين
ثم العرب . وفى العصر الرومانى نجد الكتاب الرومانيين يطلقون على
الاقليم الشمالى الشرقى لفلسطين اسم د بلاد العرب (١) ، وقد امتدت
الهجرة العربية حتى شملت جزءا كبيرا جدا من سوريا وقد جاءنا ذكر
أحد الأمراء العرب واسمه (جندب) بمناسبة الحديث عن معركة دقرقر
التي وقعت عام ٨٥٤ ق . م . وظل العرب مقيمين فى سوريا وفلسطين
حتى جاء الاسلام فى القرن السابع الميلادى وبسط سلطان العرب
على جميع أنحاء الجزيرة وحررها من نير الحكم الأجنبى .

نزوح الإسرائيليين إلى فلسطين

إن استيطان الاسرائيليين لفلسطين لم يتم عن طريق غزو حربى
وانتصار عسكري على السكان الأصليين بل ، إذا استثنينا بعض المعارك
البسيطة حول بعض القرى ، عن طريق التسلل التدريجى والاندماج

(١) غلاطية ١ ص ١٧ .

في السكان الأصليين . ورسائل تل العمارنة تلقى ضوءاً قوياً على هذا الاستيطان فقد حدث أن الأمراء الكنعانيين استدعوا هؤلاء الخبيري لخدمتهم ومن ثم أصبح التخلص منهم أمراً شاقاً وبخاصة فإن قبائل الخبيري أخذت تتوافد على البلاد وتتكاثر كما أقبل الكنعانيون على الاسرائيليين فاستوعبهم عن طريق المصاهرة والاختلاط . أما الجيل الذي انحدر من هذا التزاوج فهو الجيل الاسرائيلي الحقيقي أعني الخليط من الخبيري والكنعانيين أو ان شئنا أطلقنا على هذا الجيل لفظ الكنعاني ، هذا من ناحية الدم والجنس . وإذا نظرنا إلى هذا الجيل الجديد ثقافياً فقد كانت ثقافته كنعانية كما تذكر التوراة هذه الحقيقة وتعترف بها^(١) . فالزراعة وحياة المدن والصناعة والفنون والتجارة وفنون القتال تلقنها الاسرائيليون عن الكنعانيين كذلك الأماكن الكنعانية المقدسة لم تلبث إلا وانتقلت إلى الاسرائيليين كما تحول د بعل ، الكنعانيون إلى (يهوه) الاسرائيليين .

أما هجرة الاسرائيليين إلى كنعان فقد تمت في عصر كانت فيه سوريا تقريباً مستقلة كما أن السيادة المصرية على تلك البلاد كانت آخذة في التقلص وهذا فقط هو الذي مكن الاسرائيليين من البقاء . أما الرغبة في اقتباس الثقافة الكنعانية المصرية البابلية فكانت أمنية سادة الاسرائيليين . لا الشعب ذاته كما نشاهد هذا الاتجاه في قصر سليمان وأمثاله وذلك لأن الشعب لم يبلغ المستوى الرفيع الذي يدفعه إلى الرغبة في الاستزادة من الثقافة وطلب العلم . ولكي ندرك رجحان كفة الثقافة المصرية يكفي أن نعرف السيادة المصرية ممثلة في وصول فرعون مصر إلى (جيزر) وتدخل (شيشونك) عند تقسيم الدولة .

لكن ليس معنى هذا أن العلاقات الثقافية بين الاسرائيليين وصور كانت مقطوعة ففي عصر سليمان نجده يستعين بعمال فينيقيين لبناء برجه

كما استعان بعدد من العمال الفنيين الفينيقيين في الصناعات البرنزية . والحقيقة الجديرة بالملاحظة أن البطون الاسرائيلية الشمالية مثل يساكر وزبولون . ونفتالي كانت أكثر اتصالاً بالفينيقيين منها بالقبائل الاسرائيلية^(١) .

وقد ظلت هذه العلاقات قائمة وتزداد مع مضي الزمن قوة حتى عصور متأخرة وبخاصة أيام الدولة الشمالية أعني اسرائيل ولعل في اقتران الملك (اهاب) باميرة من صور ما يشير إلى مدى التبعية القائمة بين اسرائيل وفينيقيا وقد آثرت اسرائيل هذه التبعية حتى لا تبتلعها دمشق وذهبت هذه العلاقات بعيداً حتى أن (اهاب) الاسرائيلي قدس الله صور (ملكرت) تقديسه لبعل . ثم انتصر (تجميتبازر) الاشوري عام ٧٣٢ ق . م . على سوريا فما كان من الملك (أحاز) إلا أن توجه للقاء (تجميتبازر) وشاهد في دمشق مذبحها فرغب (أحاز) في تشييد نظيره في اورشليم^(٢) . كما أخذ عن دمشق المزولة البابلية الأصل^(٣) ووجدت اللغة الارامية . طريقها إلى العبرية^(٤) .

ولما استولت آشور على سوريا على يد تجميتبازر عام ٧٣٢ ق . م . وتبعت دولة يهوذا سوريا أخذ تقديس الاجرام السماوية الاشوري ينتقل أيام منسى إلى معبد اورشليم وهكذا نجد التعاليم الدينية البابلية الاشورية تعود ثانية قوية عنيفة إلى هذه المنطقة فتخاق أثراً قوياً في سكانها وتتسع مدارك القوم وهكذا نجد الاسرائيليين يدخلون عالماً جديداً عالم الثقافة والحضارة الشرقية القديمة ومن ثم أخذت تقاليد الاسرائيليين وعاداتهم القديمة تختفى تدريجياً أمام الغزو الثقافي الجديد كما أخذ أثرياء

(١) نكوي ٤٩ ي ٣ .

(٢) الملوك الثاني ١٦ ي ١٠ .

(٣) الملوك الثاني ٢٠ ي ٩ - ١١ .

(٤) الملوك الثاني ١٨ ي ٢٦ .

الاسرائيليين يقلدون الملوك في حياتهم الخاصة وهكذا نشأت الطبقات في المجتمع الاسرائيلي وأصبحنا نجد أنفسنا أمام أغنياء وفقراء وطبقات عليا وأخرى دنيا وقد أخذ الاسرائيليون عن البابليين إبان السبي وبعده كثيراً من مقومات الحضارة مثل المقاييس والنقود والتوقيت وغيرها .

ثم دالت دولة الآشوريين وجاءت فارس فانتقلت هذه الولايات الآشورية اليها ودخلت الأنظمة الفارسية إلى الاسرائيليين فأرخوا بسنن حكم ملوك الفرس كما استخدموا العملة الفارسية وشقت بعض المفردات الفارسية طريقها إلى الاسرائيليين .

ثم إورث الاسكندر الشرق الأدنى فدخل في منطقة نفوذ الثقافة الهلينية فأصبحنا نجد نظام الحكم والقضاء والإدارة والمنافع العامة والعلوم والفنون والتجارة والصناعة وهكذا فرضت الثقافة الهلينية نفسها على هذه البلاد المفتوحة .

الطعام والمسكن والملبس

الطعام

إن طعام الاسرائيليين الأولين كان بسيطاً ومتواضعاً وهو يتكون من الخبز والفاكهة والخضر . أما اللحم فقد كان قاصراً على الأعياد للغنى والفقير .

أما الحنطة فكانت تحمص أو تقلى ثم تفرك وتؤكل (فريك)^(١) وكان هذا (القلى) هو الطعام الذى يحمله معهم المسافرين في أسفارهم^(٢) .

(١) اللاويون ٢٣ ي ١٤ وروث ٢ ي ١٤ .

(٢) صموئيل الأول ١٧ ي ١٧ وس ٢٥ ي ١٨ وصموئيل الثاني ١٧ ي ٢٨ .

أما الخبز فيصنع من دقيق القمح ونادراً الشعير . وإعداد الرغيف لا يختلف كثيراً عن أعداده اليوم أعني يطحن القمح بالرحى يومياً ثم يعجن ويخبز .

أما طحن الحبوب فكان يتم إما بالمهراس أو الطاحون أو المدق ومع الخبز كانوا يأكلون الفاكهة والخضر والزيتون المخلل . أما الفاكهة فكانت تؤكل طازجة أو مجففة وبخاصة العنب والتين والتمر فكانوا يجففونها في هيئة أقراص . وأحب البقول إلى الاسرائيليين العدس والبقول ثم البصل والثوم وكثيراً ما كانوا يأكلون الخبز مع البطيخ أو القثاء .

كذلك اللبن كان يكون طعاماً هاماً للشعب سواء كان حليماً أو مصنوعاً لاستخراج الجبن والزبد منه ، أما اللحم فقد كان قديماً نادراً لذلك كان أكل اللحم قاصراً على أيام الأعياد أو المناسبات السعيدة أو لتكريم الضيوف الأعزاء^(١) وكان القدامى عامة يعتبرون كل نحر قرباناً وذلك لأن كل دم يسيل من الحيوان محرم على الإنسان لأنه من نصيب المعبود .

أما موائد الملوك فلم تخل يوماً من اللحم ثم جاء الأعيان وقلدوهم^(٢) . وأحب الحيوانات إلى القوم الضأن والماعز^(٣) لكن يجب ألا نفهم من هذا أن القوم كانوا يجهلون القيمة الغذائية للعجول والثيران^(٤) .

إعداد اللحم للطعام كان قديماً جداً يطبخ^(٥) لكن خروف الفصح

(١) تسكوين ١٨ ي ٧ وصموئيل الثاني ١٢ ي ٤ .

(٢) عاموس ٦ ي ٤ .

(٣) صموئيل الأول ١٦ ي ٢٠ وس ٢٥ ي ١١ و ١٨ وصموئيل الثاني ١٢ ي ٤ .

(٤) صموئيل الأول ١٤ ي ٢٢ وس ٢٨ ي ٢٤ وأشعيا ١ ي ١١ والتكوين ١٨

ي ٧ .

(٥) الخروج ٢٣ ي ١٩ ولاويون ٦ ي ٢١ .

كان يشوى ثم أخذت قكرة الشواء تنتشر بين القوم . ويذنها نجد العرب يطبخون الحنظل في اللبن إذ بالعبريين يحرمونه^(١) .

والاسرائيليون كسائر الشرقيين مغرمون جدا بأكل الحلوى وبخاصة أنواع الفطائر والكعك مثل كعك العيد^(٢) وكعك الزبيب^(٣) وكعكة العيد والعسل^(٤) وكعكة الزيت (لقمة القاضي^(٥)) وهناك كعكة أخرى من الفواكه والعسل واللبن والجبن . ويستخدم الاسرائيليون لاعداد هذا النوع من الكعك عادة الزيت^(٦) ولتحليلته يستخدمون الدبس وهو مستخرج من النحل البري^(٧) كذلك هناك عسل البلح .

واعتاد الاسرائيليون أكل السمك ولو أنه كان طعام الفقراء^(٨) . لكن بعد السبي أصبح طعام جميع الطبقات .

وغير السمك نجد الجراد الذي كان أيضا طعام الفقراء^(٩) . وهو طعام البدر حتى يومنا هذا وهم يأكلونه مشويا أو مطبوخا .

أما التوابل فاهمها الملح^(١٠) والملح كالحبز^(١١) أعني يقوم مقام العبد^(١٢)

(١) خروج ٢٣ ي ١٩ .

(٢) تكوين ١٨ ي ٦ .

(٣) صموئيل الثاني ٦ ي ١٩ .

(٤) خروج ١٦ ي ٣١ .

(٥) عدد ١١ ي ٨ وخروج ٢٩ ي ٢ .

(٦) لاويون ٢ ي ١ — ٧ وس ٦ ي ١٤ وس ٧ ي ١٢ .

(٧) تثنية ٣٢ ي ١٣ وصموئيل الأول ١٤ ي ٢٥ — ٢٦ وانجيل متى ٣ ي ٤

ومرقس ١ ي ٦ .

(٨) العدد ١١ ي ٤ — ٥ وأرميا ١٦ ي ١٦ .

(٩) لاويون ١١ ي ٢٢ ومتى ٣ ي ٤ ومرقس ١ ي ٦ .

(١٠) أيوب ٦ ي ٦ .

(١١) عزرا ٤ ي ١٤ .

(١٢) عدد ١٨ ي ١٩ وأخبار الأيام الثاني ١٣ ي ٥ وقارن لاين ٢ ي ١٣ .

وغير المملح نجد الكزبرة^(١) وكذلك الكمون^(٢) والكمون الأسود^(٣) والنعناع^(٤) والخردل^(٥) .

أما الفراخ والبيض^(٦) فيرجح أن اليهود جاءوا بهذا الطعام من بابل منذ عصر السبي . كما أخذ اليهود عادة أكل السمك المملح من مصر وشربوا الجعة المصرية وغيرها من المشروبات أما النقل وبخاصة الجوز فقد جاءوا به من فارس .

وأعداد الطعام كان قسمة بين الرجال والنساء فالمرأة هي التي تطحن وتخبز كما تعد الخضر والزبد والجبن وما إليها^(٧) أما ذبح الماشية والطيور وشواتها فن عمل الرجال^(٨) وأحياناً نجد الرجل يقوم بأعمال إعداد الخضر^(٩) . وقد عرف الاسرائيليون في المدن الكبرى المخبز^(١٠) .

والمطبخ الاسرائيلي في غاية البساطة ففيه أولاً الرحي والقادوس لاحتضار الماء من النبع وكان هذا عادة من عمل النساء^(١١) كذلك كان يحفظ الاسرائيلي الزيت في القواديس^(١٢) أما السوائل الأخرى كاللبن واللبن

(١) خروج ١٦ ي ٢١ وعدد ١١ ي ٧ .

(٢) أشعيا ٢٨ ي ٢٥ .

(٣) أشعيا ٢٨ ي ٢٥ وأنجيل متى ٢٣ ي ٢٣ :

(٤) متى ٢٣ ي ٢٣ ولوقا ١١ ي ٤٢ .

(٥) متى ١٣ ي ٣١ — ٣٢ وص ١٧ ي ٣٠ .

(٦) لوقا ١١ ي ١٢ .

(٧) صموئيل الأول ٨ ي ١٣ ونكوين ١٨ ي ٦ .

(٨) نكوين ١٨ ي ٧ وصموئيل الأول ٩ ي ٢٣ وص ٢ ي ١٣ — ١٥ .

(٩) نكوين ٢٥ ي ٢٩ .

(١٠) هو شمع ٧ ي ٤ .

(١١) نكوين ٢٤ ي ٤١ .

(١٢) الملوك الأول ١٧ ي ١١ .

فكانت تحفظ في القرب^(١). أما الحبوب والبقول ففي صوامع كبيرة كما حافظوا على الفواكه والسكر والفطائر في سلال مختلفة^(٢).

أما قدور طبخ الطعام فكانت من الطين مثل الطواجن أو البرنز^(٣) اطحى الخضر^(٤) واللحم^(٥) أما أواني الشرب فكانت كثيرة كما استخدم الاسرائيلي (شوكة = مزايج) لنشل اللحم من القدر فقط ولا تستخدم في الطعام^(٦) وكذلك السكين = (ما كلت) للذبح وتقطيع اللحم عند الطبخ فقط^(٧).

أما المشروبات فأهمها الماء ولما استقر الاسرائيليون في أرض كنعان أخذوا يتعرفون إلى النبيذ^(٨) وكان الاسرائيليون مواعين بالنبيذ حتى أننا عثرنا على كثير من أماكن تحضيره كما أن العهد القديم كثير ما يشيد بالنبيذ وشربه^(٩) والنبيذ ضرورة من ضروريات الاحتفالات والأعياد^(١٠) ويحدثنا العهد القديم عن كثير من حالات السكر^(١١) والاسرائيلي ذواق للنبيذ فقد كان يشربه صرفا ولم يمزجه بالماء إلا في العصر اليوناني الروماني وهذا النوع من النبيذ لم يكن محببا إلى الاسرائيليين الذين يفضلون شرب النبيذ الممزوج ببعض التوابل وأنواع العطارة^(١٢) وبخاصة

(١) تكوين ٢١ ي ١٥ ...

(٢) أرميا ٢٤ ي ٢ وتكوين ٤٠ ي ١٧ وثنىة ٢٦ ي ٢ .

(٣) الملوك الثانى ٤ ي ٣٨ وأرميا ١ ي ١٣ .

(٤) الملوك الثانى ٤ ي ٣٨ ...

(٥) خروج ١٦ ي ٣ وميخا ٣ ي ٣ ...

(٦) صموئيل الاول ٢ ي ١٣ .

(٧) تكوين ٢٢ ي ٦ و ١٠ .

(٨) هوشم ٢ ي ١٠ و ١١ و ١٧ وثنىة ٦ ي ١١ وس ٨ ي ٨ -

(٩) مزمور ١٠٤ ي ١٥ .

(١٠) صموئيل الاول ١ ي ٩ و ١٣ .

(١١) أشعيا ٥ ي ٢٢ وهوشم ٧ ي ٥ وأرميا ٢٣ ي ٩ .

(١٢) نشيد الاشيد ٨ ي ٢ .

المر (١) ومن أنواع الأنبذة الأخرى المحببة إليهم ذلك المعزوج بالعسل
وبنسبة أربعة نبيذ وواحد من عسل .

وإلى جانب النبيذ الطبيعي شرب الاسرائيلي المسكرات الأخرى (٢)
فقى نشيد الأناشيد (٣) نقرا ذكرا لنبيذ مزوج بعصير الرمان هذا إلى
جانب شراب العرق المأخوذ من مصر عن طريق تخمير التمر .

الكساء

لا يقدم لنا العهد القديم وصفا للملابس الاسرائيليين وكل معلوماتنا
عن الكساء مستمدة من الآثار والبقايا التي ما زالت مستخدمة في الشرق
حتى يومنا هذا .

وأقدم كساء للانسان المتزر (٤) أو المنطقة ، وهي عبارة عن كساء
للحقوقين وقد تصنع من الكتان (٥) أو من الجلد (٦) . وفي مصر القديمة
نجد هذه المنطقة وفي أشكال مختلفة ويمتاز بدو الصحراء أحيانا باستخدامها
أو باضافة حرام اليها وهذا اللباس مازال إلى الآن مستخدما عند المسلمين
في الاحرام ويطلق العهد القديم عليه عبارة لباس المحاربين الاشوريين (٧) .

(١) مرقس ١٥ ي ٢٣ .

(٢) تثية ٢٦ ي ٦ وصموئيل الاول ١ ي ١٥ ولاويون ١٠ ي ٩ وأشعيا
٢٨ ي ٧ .

(٣) ٨ ي ٢ .

(٤) تكوين ٣ ي ٧ .

(٥) أرميا ١٣ ي ١ .

(٦) الملوك الثاني ١ ي ٨ — ٩ .

(٧) أشعيا ٥ ي ٢٧ و حزقيال ٢٣ ي ١٢ .

واحتفظ الاسرائيليون بهذا اللباس في الطقوس الدينية^(١) ثم انتقل إلى حالات الحزن إذ يتمنطق به الرجل والمرأة وهو مصنوع عادة من شعر الماعز أو وبر الجمال^(٢) وغالبا ما تستخدم هذه المنطقة عند الاسرائيليين لباسا مستقلا^(٣) وحينما يستخدم الاسرائيلي المنطقة كساء تحت العباءة^(٤).

وغير المنطقة والحرام نجد فيما بعد « القميص » وقد حل محل المنطقة وهو كساء للجسد مقفل عند الرقبة وله كمان وطول السكم تقريبا ربع طول الذراع أما طول القميص فيصل حتى فوق الركبتين ونادرا ما يبلغ القدمين وينتهي القميص عادة بأهداب ويحزم الفرد فوقه عند حقويه حزاما. لكن مع مرور الزمن نجد القميص يبلغ القدمين حتى أن الانسان يضطر إلى رفعه بالحزام عند العمل أو السرعة في المشي^(٥) وفي عصور متأخرة أصبح من المستحب لبس الأثواب الطويلة التي تلبس الأرض سواء كانت الأثواب للرجال أو النساء^(٦).

وعن الكنعانيين أيضا أخذ الاسرائيليون اللباس الملاصق للجسد وكانوا يلبسونه تحت الثوب وهو عادة من القماش الرقيق ويعرف في العبرية باسم (سدين)^(٧).

(١) الملوك الثاني ١ ي ٨ وأشعيا ٢٠ ي ١ وأرميا ١٣ ي ١ وصموئيل الأول ١٩ ي ٢٤ .

(٢) أيوب ١٦ ي ١٥ .

(٣) الملوك الأول ٢٠ ي ٣١ وس ٢١ ي ٢٧ وأشعيا ٣ ي ٢٤ وس ٣٢ ي ١١ .

(٤) الملوك الثاني ٦ ي ٣٠ .

(٥) الملوك الثاني ٤ ي ٢٩ وس ٩ ي ١ وخروج ١٢ ي ١١ .

(٦) أشعيا ٦ ي ١ وس ٤٧ ي ٢ وأرميا ١٣ ي ٢ ونحميا ٣ ي ٥ .

(٧) أشعيا ٣ ي ٢٣ .

أما أقدم ثوب خارجي استخدمه البدوي السامي فكان عبارة عن كساء يبلغ أسفل الركبتين وهو يستر إحدى الكتفين ويكشف الذراعين والفرق بين كساء المرأة وكساء الرجل الخارجي أن كساء المرأة أطول من كساء الرجل ويطلق الاسرائيليون عادة على الكساء الخارجي (سمله) وهو الذي تطور إلى العباءة وهي متسعة عند الصدر (عب) إذ كان يضع يده فيه أو يحمل فيه بعض المواد على أن يكون مستخدماً حزامه وهذه العادة موجودة حتى يومنا هذا عند البدو^(١) لكن هذا الثوب معوق في العمل لذلك كان يخلع^(٢) بالرغم من أنه مفيد جداً ومن ضروريات الوقار والاحترام^(٣) وما زال البدو حتى يومنا هذا ينظرون إلى الشخص الذي لا يضع العباءة وكأنه لا يرتدي شيئاً^(٤).

ومع مضي الزمن تأخذ ملابس الكنعانيين الملونة بأفئدة الاسرائيليين فاقتبسوها عنهم^(٥) والصورة التي جاءتنا عن زهاء الملابس وجمالها في قصر سليمان تشير إلى تطور الكساء في المجتمع الاسرائيلي^(٦). ومن الملابس التي أخذها الاسرائيليون في تلك الفترة عن الكنعانيين لاشك تلك العباءة المعروفة باسم (معيل) وهي من قماش رقيق جداً^(٧) وقد ارتداها الوجوه والملوك عوضاً عن الشملة المنسوجة من خيوط خشنة^(٨).

(١) خروج ٤ ي ٦ ومزمور ٧٤ ي ١١ والملوك الثاني ٤ ي ٣٩ ولوقا ٦ ي ٣٨ .

(٢) متى ٢٤ ي ١٨ .

(٣) خروج ٢٢ ي ٢٥ وثنائية ٢٤ ي ١٢ .

(٤) سموئيل الأول ١٩ ي ٢٤ وعاموس ٢ ي ١٦ وأشعيا ٢٠ ي ٢ — .

وأيوب ٢٢ ي ٦ وس ٢٤ ي ٧ و ١٠ .

(٥) سموئيل الثاني ١ ي ٢٤ .

(٦) الملوك الأول ١٠ ي ٥ .

(٧) سموئيل الأول ١٥ ي ٢٧ وأيوب ١ ي ٢٠ وس ٢ ي ١٢ وعزرا ٩ ي ٣ .

(٨) سموئيل الأول ٢ ي ١٨ و ٠٠ وس ١٨ ي ٤ وس ٢٤ ي ٥ و ١٤ وس ٢٨

أما العباءة الثانية التي أخذها الاسرائيليون عن الكنعانيين فتلك
المعروفة باسم (أديرت)^(١) وهي تقوم مقام المعطف إذ أنها كانت تلبس
فوق الشملة^(٢).

ملابس السيدات

أهم ملابس السيدات لا شك (المكتونت) القميص والشملة . وكان
يحرم على النساء التشبه بالرجال في الملبس والعكس أيضاً^(٣) فالفرق بين
ملابس الجنسين كان بصفة خاصة في الحجاب وغطاء الرأس وغيرهما .
فالمرأة ترتدى المعطف وهو ولا شك يتصل بالقميص ولو أنه أطول
منه كما اشتهرت بحجب تعدد الألوان . كذلك الكساء الرجالي المعروف باسم
(سدين) تلبسه المرأة أيضاً^(٤) . أما الملابس الخارجية للمرأة فعبارة عن
الشملة والطرحة وكانت تستخدم أيضاً لحمل الأشياء^(٥) ومن المعاطف
عرفت المرأة (فتيجيل)^(٦) . والمعطف^(٧) .

أما الحجاب وهو الذى يميز أصلاً بين الرجل والمرأة فمن مستلزمات
الآلهة (عشرت) فهو شعارها وذلك لأنها كانت عندما تنتقل إلى العالم
السفلى تتجرد من جميع ملابسها طيلة بقائها فى العالم السفلى وذلك لأن
الموت يخيم فى ذلك الوقت على الأرض وتموت جميع النباتات لأن عشترت

(١) يشوع ٧ ي ٢١ وميخا ٢ ي ٨ .

(٢) ميخا ٢ ي ٨ .

(٣) نثية ٢٢ ي ٥ .

(٤) أشعيا ٣ ي ٢٥ والامثال ٣١ ي ١٤ .

(٥) أشعيا ٣ ي ٣٢ وروث ٣ ي ١٥ .

(٦) أشعيا ٣ ي ٢٤ .

(٧) أشعيا ٣ ي ٢٢ .

تجلب الموت وكل فرد يعرض حجاب عشترت للهواء موتا يموت، ولما تترك العالم السفلى ترتدى ثيابها وتضع حجابها وتوجه إلى حبيبها (تاموز = أدونيس) .

والعلاقة قوية بين استخدام الحجاب وبين هذا العنصر الاسطوري في حجاب عشترت فمثلا نجد العروس تتوجه إلى عريسها متحجبة^(١) كذلك نجد روث تتوجه إلى بو عز متحجبة^(٢) و (تamar) الزانية تضع حجابا^(٣) والنساء يسرن محجبات^(٤) فالحجاب من ملابس السيدات إلا أنه لا يستخدم دائما كغطاء للوجه بل أحيانا أيضا كشال حول الرقبة وذلك بتغطية الرأس به ومن ثم يتدلى حتى الحقوين .

ثم مع الزمن تتطور الملابس تطورا يدل على رقة الذوق وحب الأناقة وخاصة بعد أن اتصلت العلاقات التجارية بين شعوب الشرق الأدنى فاستورد الاسرائيليون أقمشة من فينيقيا ومصر وبابل وبخاصة من الأخيرة التي اشتهرت مصانعها بإنتاج الأقمشة الملونة والمزخرفة والتي تتحلى برسوم الشخصوس^(٥) . وهكذا نجد الاسرائيلي لا يقنع بالمنطقة بل بالثياب الجميلة^(٦) .

والمرأة الاسرائيلية لم تتخلف عن الرجل في الملبس والتجمل كما نقبين هذا من^(٧) .

(١) تكوين ٣٤ ي ٤٧ .

(٢) روث ٣ ي ٤-٣ .

(٣) تكوين ٣٨ ي ١٤ - ١٥ .

(٤) تسكون ١٢ ي ١٤ وس ٢٤ ي ١٥ .

(٥) حزقيال ٢٧ ي ٧ و ١٦ و ٢٤ و ٠٠٠ و إشوع ٢ ي ٢١ .

(٦) الملوك الثاني ٥ ي ٥ وأرميا ٤ ي ٣٠ والمرائي ٤ ي ٥ وأيوب ٢٧ ي ١٦

والملاك الثاني ١٠ ي ٢٢ وأشعيا ٣ ي ٦ .

(٧) أشعيا ٣ ي ١٨ - ٢٣ .

وفىما يتصل بغطاء الرأس فلم يصلنا فى العهد القديم ما يشير اليه لكن فى الآثار التى جاءنا بعضها نقبين أن الاسرائيليين كانوا يغطون رؤوسهم بالغطاء الآشورى التقليدى . ووصلتنا تماثيل تشير إلى أن السوريين كانوا يربطون شعر الرأس بشريط حوله وهذه العادة مازالت موجودة عند بعض الأفراد فى بلاد العرب^(١) .

وبينما نجد الفلاح الاسرائيلى يحتفظ بالغطاء البسيط إذ بنا نجد وجهاء الاسرائيليين والاسرائيليات يغطون رؤوسهم بما يشبه العمامة وهذا الغطاء يطلقون عليه أسماء متعددة منها الصنيف^(٢) وهو خاص برئيس الحاخاميين . أما الكاهن فكان يغطى رأسه بال (مجبعة)^(٣) وقد تسمى أيضا (فقر)^(٤) كما استخدمت ال (فُر) كغطاء يزين رأس العريس فى الزفاف^(٥) .

لباس القدم : استخدم قدماء المصريين الحنف ، وفى فلسطين نجد فقراء الاسرائيليين يسرون حفاة بالرغم من وجوده^(٦) ويعرف هذا الحنف باسم (نفعليم) وكان يصنع من الجلد أو الخشب ويربط فى الرجل بسير^(٧) وكان الاسرائيلى يخلع نعليه إذا ما دخل الغرفة أو المعبد^(٨) أما رجال الدين فيؤدون طقوسهم حفاة كما جرت العادة أن الفرد يسير حافيا فى أيام الحزن^(٩) .

(١) الملوك الأول ٢٠ ي ٣١ .

(٢) خروج ١٨ ي ٤ .

(٣) خروج ٢٨ ي ٤٠ .

(٤) حزقيال ٤٤ ي ١٨ وحزقيال ٢٤ ي ١٧ و٢٣ وأشعيا ٢ ي ٢٠ :

(٥) أشعيا ٦١ ي ١٠ .

(٦) مزمور ٢ ي ٦ وس ٨ ي ٦ وقارن التثنية ٢٥ ي ١٠ :

(٧) تسكوين ١٤ ي ٢٣ وأشعيا ٥ ي ٢٧ .

(٨) خروج ٣ ي ٥ وس ١٢ ي ١١ ويشوع ٥ ي ١٥ .

(٩) صموئيل الثانى ١٥ ي ٣٠ وحزقيال ٢٤ ي ١٧ و٢٣ .

(م — ٦ اسرائيل عبر التاريخ)

التبرج والعناية بالجسد

من الأشياء التي هي من حاجيات الرجل ولو أنها ليست للزينة العصا والخاتم^(١) فالعصا (مطه) ضرورية للهش بها على الغنم وكسلاح وبخاصة في الاسفار^(٢).

أما الخاتم (حاتم) أو (طباعت) فقديم جداً عند الاسرائيليين^(٣) والخاتم يستخدم حتى اليوم عرضاً عن التوقيع. واعتاد الاسرائيلي قديماً حمل الخاتم في حبل حول عنقه^(٤). أما قدماء المصريين فيلبسونه في أصابعهم^(٥) وفيما بعد نجد الاسرائيليين يضعونه الخاتم في أصبع من أصابع اليد اليمنى^(٦) والخاتم في مصر على شكل الجعران.

وغير العصا والخاتم نجد الصلة قوية جداً بين الحلى والطلاسم فالمعادن والأحجار الكريمة أو الشبهة بالكريمة تتصل أصلاً ببعض المعبودات ومن هنا اكتسبت قوتها السحرية فالشرقي قديماً وحديثاً يعتقد في الحسد فكل ما يحمله من طلاسم يتعلق بالحسد والوقاية منه وهذا يعلل لنا السبب في أن الشرقي يحمل منذ عصور قديمة جداً كثيراً من أدوات التبرج وقد أشار العهد القديم إلى هذه الظاهرة^(٧) حيث نجد ذكراً لقطعة من حلى النساء مستخدمة كطلاسم. ولم يكن استخدام هذه الطلاسم قاصراً على الادميين بل تعداهم إلى الحيوانات كما هو مشاهد حتى اليوم. والأحجار الكريمة يطلق عليها الاسرائيليون الاولون أسم الأحجار

(١) تكوين ٣٨ ي ١٨.

(٢) خروج ١٢ ي ١١ والملك الثاني ٤ ي ٢٩.

(٣) تكوين ٣٨ ي ١٨.

(٤) تكوين ٣٨ ي ١٨.

(٥) تكوين ٤١ ي ٤٢.

(٦) أرميا ٢٢ ي ٢٤.

(٧) أشعيا ٣ ي ٢٠.

المقدسة^(١) . ويلاحظ أن معظم أدوات الزينة من حلى وطلاسم أخذها الاسرائيليون عن المصريين أو البابليين وذلك لأنها في مجموعها أجنبية الصنع . ومن أدوات الزينة الحلقات (نيزم^(٢)) وهناك نوع آخر يسمى (عاجيلي حبول^(٣)) وقد استخدم الأطفال ذكورا وأنثا الحلقات^(٤) وكذلك ما يعرف باسم (نظيفوت^(٥)) .

واستخدم الاسرائيليون أيضا الحلى في الانف^(٦) .

أما الجهة والشعر فقد زينتهما الاسرائيلية بعصابة تعرف باسم (شيث^(٧)) وحول الرقبة زينت بالعقود المتنوعة .

وفي اليدين لبست الاسرائيلية الأساور^(٨) (صيديم) .

كما زينت القدمين بالخلاخيل^(٩) (عكسيم) وأحيانا كانت تحمل الخلاخيل بسلسلة لتحديد خطوة المرأة فتشبه في هذه الحالة الحبال وفي العبرية (صعديوت^(١٠))

العناية بالجسد

كان الاسرائيلي يهتم بالغسل في الأنهار والبحيرات^(١١) . وكان

(١) للرائى ٤ ي ٣ .

(٢) تكوين ٣٥ ي ٤ وأيوب ٤٢ ي ١ .

(٣) عدد ٣١ ي ٥٠ .

(٤) خروج ٣٢ ي ٢ .

(٥) أشعيا ٣ ي ١٩ .

(٦) تكوين ٢٤ ي ٢٢ وأشعيا ٣ ي ٢١ والأمثال ١١ ي ٢٢ .

(٧) أشعيا ٣ ي ١٨ .

(٨) تكوين ٢٤ ي ٢٢ .

(٩) أشعيا ٣ ي ١٨ .

(١٠) أشعيا ٣ ي ٢٠ .

(١١) الملوك الثاني ٥ ي ١٠ .

وما زال يتطلب الاستحمام والغسل قبل دخول المعبد^(١) وجرت العادة أن الإنسان يغتسل قبل تناول الطعام وكان يقدم الماء للضيف لغسل قدميه عند مقدمه^(٢) .

ويتصل بالغسل التدليك بالزيت لتطرية الجسد . وكان الاسرائيليون يدهنون أجسامهم بالزيت في الأفراح وعند الزواج وفي الولائم^(٣) لكن عند الحزن لا يدهن^(٤) .

وكان الاسرائيليون يدهنون بالزيت شعر الرأس واللحية^(٥) ثم يمسحون بعد ذلك دهن جميع الجسد^(٦) . ومن علامات التكريم دهن قدمي^(٧) الشخص .

أما مادة الدهان فكانت عادة زيت الزيتون^(٨) (شيمن) ولم يكتف الاسرائيلي بزيت الزيتون بل أضاف اليه بعض أصناف العطارة الذكية وصنع منها معاجين عطرية^(٩) . أما عملية صناعة المعاجين فكانت من اختصاص الاماء^(١٠) أو مركب^(١١) المعاجين (روقيع) . ولعل أرقى معجون هو النارديني^(١٢) .

(١) تسكوين ١٨ ي ٤ وس ١٩ ي ٢ و ...

(٢) تسكوين ١٨ ي ٤ وانجيل لوقا ٧ ي ٤٤ .

(٣) عاموس ٦ ي ٦ ولوقا ٧ ي ٤٦ .

(٤) صموئيل الثاني ١٤ ي ٢ .

(٥) مزمور ١٣٣ ي ٢ .

(٦) حزقيال ١٦ ي ٩ .

(٧) لوقا ٧ ي ٤٦ ويوحنا ١٢ ي ٣

(٨) مزمور ٩٢ ي ١١ ونثية ٢٨ ي ٤٠ وميخا ٦ ي ١٥ .

(٩) الملوك الأول ١٠ ي ١٠ وحزقيال ٢٧ ي ٢٧ وقارن الخروج ٣٠ ي ٢٢ .

(١٠) صموئيل الأول ٨ ي ١٣ .

(١١) خروج ٣٠ ي ٣٥ ونحميا ٣ ي ٨ .

(١٢) نشيد الأناشيد ١٢ ي ١٢ وانجيل مرقس ٢٤ ي ٣ .

أما فيما يتعلق بالشعر وتزيينه فالشرقي القديم عادة كان يهتم بغزارة شعر الرأس وطول اللحية أما في مصر الفرعونية فكان الكهنة يخلقون شعر الرأس وربما الأعيان أيضاً^(١) كذلك الحال عند البابليين أما الاسرائيليون فمن المرجح أنهم كانوا يخلقون الشعر عند الحزن^(٢) ولأسباب دينية^(٣) حرمة التوراة^(٤) أما الكهنة فكانوا يطالبون بعدم حلق الشعر حلقاً نهائياً أو تركه ينمو طويلاً جداً^(٥) أما الذين يندرون فيجب ألا يمس المقص شعرهم^(٦) لكن بعد تقديسهم يقص شعرهم ويلقى به في نار القرايين^(٧) ويذكر لنا العهد القديم إن من بين الاسرائيليين من اشتهروا بطول شعرهم مثل ابشالوم^(٨) وشمسون^(٩).

أما الاسرائيليات فاعتبرن الشعر الطويل من علامات الجمال^(١٠) والصلح من أقبح ما يصيب الاسرائيلية^(١١) كما أن كشف شعر رأس الاسرائيلية يعتبر إهانة وإذلالاً^(١٢) أما العناية بتصفيف الشعر والتفنن في هذا التصفيف فكان شغل الاسرائيلية الشاغل^(١٣).

وبلغت عناية الاسرائيلية بتصفيف شعرها درجة جعلت بعض

(١) تكوين ٤١ ي ١٤ .

(٢) عاموس ٨ ي ١٠ وميخا ١ ي ١٦ وأشعيا ٣ ي ٢٤ وأرميا ١٦ ي ٦ .

وحزقيال ٧ ي ١٨ .

(٣) تثنية ١٤ ي ١ .

(٤) لاويون ١٩ ي ٢٦ .

(٥) حزقيال ٤٤ ي ٢٠ .

(٦) صموئيل الأول ١ ي ١١ .

(٧) العدد ٦ ي ١٨ .

(٨) صموئيل الثاني ١٤ ي ٢٦ .

(٩) لقضاة ١٦ ي ١٣ .

(١٠) نشيد الأناشيد ٤ ي ١ وس ٧ ي ٦ .

(١١) أشعيا ٣ ي ٢٤ .

(١٢) العدد ٥ ي ١٨ وقارن أيضاً لوقا ٧ ي ٣٨ و ٤٤ .

(١٣) الملوك الثاني ٩ ي ٣٠ .

الأنبياء يهاجمونها ويرمونها بأقبح الأسباب^(١) ويذكر المؤرخ اليهودي يوسفوس أن الاسرائيلية كانت تستخدم التبر في تسريح شعرها لكي يكسبه لونا براقا جميلا^(٢).

وفيما يتعلق باللاحية فالاسرائيلي كان يعنى بلحيته وويل لمن يقصها^(٣) وقص اللحية كان يقع لأسرى الحرب فقط^(٤) وكان الإسرائيلي يحلق ذقنه في حالة الحزن أو عند الإذلال^(٥).

وكانت الإسرائيلية تعنى عناية شديدة بوسائل التجميل فمن معاجين إلى مساحيق من الأثمد واللازورد والسكحل^(٦) (فوك). أما المروء فكان عادة من أجود أنواع الخشب أو السن أو الذهب. حتى الوشم استخدمه الاسرائيلي والاسرائيلية أحيانا ولو أن بعض رجال الدين حاربوه^(٧).

(١) أشعيا ٣ ي ٢٤ .

(٢) راجع يوسفوس : التاريخ اليهودي القديم الكتاب الثامن الفصل السابع .
الفصل الثالثة .

(٣) صموئيل الثاني ١٠ ي ٤ - ٥ .

(٤) أشعيا ٧ ي ٢٠ وفي مصر حتى اليوم يهدد الرجل بحلق ذقنه إذا فشل في مهمة ما .

(٥) أشعيا ١٥ ي ٢ وارميا ٤١ ي ٥ وس ٤٨ ي ٣٧ .

(٦) الملوك الثاني ٩ ي ٣٠ وارميا ٤ ي ٣٠ وحزقيال ٢٣ ي ٤٠ وأيوب ٤٢ :

ي ١٤ .

(٧) لاويون ١٩ ي ٢٨ .

المسكن

إن مسكن البدوى فى جميع العصور هو الخيمة (أو هل) أو (بيت) وتذكر القصص الإسرائيلية أن أباء الشعب الأولين كانوا يقيمون حياة الخيام^(١). وما زال الاسرائيليون يستخدمون حتى اليوم تعبيرات ترجع إلى تلك الحياة مثل (نسوع) بمعنى «تحرك واصلا» و«تد الخيمة» وكذلك (هانخ لا وهله) أى «عاد أو رجع لخيمته»، ولو أنه لا يفكر اليوم فيها أو فى الحياة فيها^(٢).

ومن التعبيرات المشهورة «إلى خيامك يا اسرائيل»^(٣)، وكثيراً ما نجد استخدام لفظ (أو هل = خيمة) فى الاستعارة والتشبيه^(٤) وكانت الخيام تصنع أحياناً من شعر الماعز^(٥) حيث يشبه الخيمة بخيام قيدر. وهذا يذكرنا بالتسمية العربية «بيت الوبر وبيت الشعر»، والخيمة تنقسم عادة إلى قسمين قسم خاص بالرجال وآخر بالحریم ويطلق عليه «حدر»^(٦)، سكن الأغنياء من الاسرائيليين كانوا يخصصون للحریم خيمة خاصة بهم^(٧). وخيام القبيلة تنتشر عادة فى شكل مجموعات غير منسقة. لكن فى حالة تهديد القبيلة بغزو تتجمع الخيام معاً وغالباً ما تقام على شكل هلال. وتمتاز خيمة شيخ القبيلة عادة بكبرها فقط.

(١) تسكون ١٣ ي ٣ وس ١٨ ي ١ وس ٢٦ ي ٢٥ وس ٣٢ ي ١٩ :
(٢) يشوع ٢٢ ي ٤ والقضاة ٧ ي ٨ وس ١٩ ي ١ والملك الأول ١٢ ي ١٦ :
(٣) صموئيل الثانى ٢٠ ي ١ والملك الأول ١٢ ي ١٦ .
(٤) أشعيا ٣٣ ي ٢٠ وس ٣٨ ي ١٢ وأرميا ١٠ ي ٢٠ وعزرا ٩ ي ٨ وأيوب ٤ ي ٢١ .

(٥) نشيد الأناشيد ١ ي ٥ .

(٦) النشيد ١ ي ٤ وس ٣ ي ٤ والقضاة ١٥ ي ١ .

(٧) تسكون ٢٤ ي ٦٧ وس ٣١ ي ٣٣ .

أما أثاث الخيمة فبسيط جداً فهي تحتوي عادة على عدد من الفراء المفروشة وبعض الوسائد وأحياناً بعض الأبراش . والموقد عبارة عن حفرة في الأرض أو حجرين أو أكثر . أما المائدة فقطعة مستديرة من الجلد (شلحان) مبسوطة على الأرض . كما أن تموين القوم كان يحفظ في جلود الضأن أو الماعز^(١) وهناك أيضاً الرحي وبعض الأطباق الخشبية أو المعدنية . أما رحل الجمل فاهم محتويات الخيمة . وغير الخيام نجد أيضاً المظال (سكوت) وهي أماكن للراحة فقط ، للقطعان والرعاة^(٢) .

وغير الخيام سكن الاسرائيليون أيضاً الكهوف ومن ثم اتخذوا منها ملجأ يفرعون إليها خوفاً من العدو^(٣) .

البيت وأثاثه

عن الكنعانيين أخذ الاسرائيليون فكرة البيت وبنائه ومن السهل حتى اليوم مشاهدة أثر البيئة في تشييد المنازل فالإنسان في فلسطين ليس في حاجة إلى ما يقيه البرد القارص الطويل الأمد بل إلى سقف يحفظه من الشمس وضربانها طوال العام وأحياناً يحفظه من بعض الأمطار التي قد تزور البلاد وفي فصل الشتاء القصير . فالبيت يجب أن يكفل لسكانه جواً مقبولا ملطفاً للحرارة مع سهولة التهوية لذلك كانت فلسطين منذ القدم بلداً للأبنية السميكة ذات القباب القوية لتحفظ للبيت جوه الداخلي البعيد عن حرارة الشمس القاتلة كما نجد أيضاً الأكواخ الطينية التي تكفي

(١) القضاة ٤ ي ١٩ .

(٢) تكوين ٣٣ ي ١٧ وأشعيا ١ ي ٨ .

(٣) القضاة ٦ ي ٢ وس ١٥ ي ٨ وصموئيل الأول ١٣ ي ٦ وس ١٤ ي ١١

وس ٢٤ ي ٤ .

لحماية سكانها من الأمطار . ولما كان الجو هناك يسمح للقوم بالجلوس فيه وتمضية معظم الوقت ، لم يفكر الاسرائيلي في إعداد بيته بسائر وسائل الراحة . إن الاسرائيلي يريد من البيت مأوى له ليلا وذلك لأنه يمضى معظم نهاره في الحقل أو العمل أو الشارع أو السوق . والطبيعة الفلسطينية كريمة بمواد البناء إلا أنها فقيرة في الخشب مما اضطر سليمان عند تشييد مبانيه إلى استيراده من لبنان^(١) .

لذلك كان الاسرائيليون يتجنبون الخشب كثيرا في مبانيهم ويعتمدون على الطين فقط أو الطوب بنوعيه أعنى الأخضر والمحروق وفي المناطق الجبلية يعتمدون على الاحجار وبخاصة الجيرية منها . أما المنازل فصغيرة لا يتجاوز قطاع البيت أربعة أمتار . والمشيدة من الاحجار فغالبا مانبيض من الداخل وذلك لأن الاسرائيليين عرفوا الجير منذ عصور بعيدة جدا^(٢) وكانوا يبيضون به الحيطان^(٣) ولو أن معظم البيوت كانت تطل حيطانها بالطين فقط^(٤) . . وكثيرا ما استخدم الملك الاحجار المنحوتة في بناء المعبد والبيت^(٥) .

وفي العصور المتأخرة لما أخذ الأغنياء في تقليد الملك تعرضوا لكثير من النقد^(٦) .

والحقيقة الجديرة بالذكر أن الاسرائيليين كانوا يقدمون القرابين البشرية عند الشروع في بناء مبنى من المباني فكانوا يأتون بالطفل الحي

(١) الملوك الأول ٥ ي ٢٠ .

(٢) عاموس ٢ ي ١ وأشعيا ٣٣ ي ١٢ .

(٣) حزقيال ١٣ ي ١٠ والثنية ٢٧ ي ٤ .

(٤) لاويون ١٤ ي ٤١ .

(٥) الملوك الأول ٧ ي ٩ .

(٦) عاموس ٥ ي ١١ ولارن أيضا أشعيا ٩ ي ٩ .

ويضعونه في أناء كبير من الفخار ويدفنونه في أساس المبنى قربانا وهكذا نفهم الآية الواردة في الملوك الأول^(١) وهذه العادة وما زالت إلى اليوم حية ، مع الاستعاضة عن الإنسان بجيوان ينحر عند وضع الأساس ، في مصر مثلاً .

أما سقف البيت فكان عبارة عن جذوع الشجر والاغصان التي تمدد على الحيطان ومن ثم تغطي بطبقة من الطين سميكة أما المنازل المصنوعة من الحجر فكانت تسقف عن طريق القباب . وكان بيت الاسرائيلي العادي يتكون من غرفة واحدة بينما بيت الغنى من أكثر من غرفة وكان عادة يشيد على سطح البيت مظلة يأوى إليها إذا ما التمس النسيم كما كان يستقبل فيها اخلص الاصدقاء ويعقد فيها الاجتماعات أو يأوى إليها أيام الحزن إذا ما التمس الهدوء والراحة^(٢) . ويطلق على هذه المظلة فوق السطح (عليا) ويمتاز بيت الغنى بأنه به عند مدخله غرفة استقبال. بينما في الداخل غرف الحريم وغرف النوم^(٣) كذلك يمتاز هذا البيت أيضاً باحتوائه على غرف للشتاء وأخرى للصيف^(٤) ومثل هذه البيوت كانت تحتاج إلى بوابين أو بوابات^(٥) . والكثرة المطلقة من البيوت كانت من طابق واحد أما المعابد والقصور فكانت لها أبواب ولكل باب مصرعان أو أكثر^(٦) .

(١) الملوك الأول ١٦ ي ٣٤ .

(٢) صموئيل الثاني ١٩ ي ١ .

(٣) صموئيل الثاني ٤ ي ٧ فارن للوك الأول ١٥ .

(٤) عاموس ٣ ي ١٥ وأرميا ٣٦ ي ٢٢ .

(٥) صموئيل الثاني ٤ ي ٦ وفارن يوحنا ١٨ ي ١٦ .

(٦) الملوك الأول ٦ ي ٣٤ وس ٧ ي ٥٠ .

وفي سائر البيوت نجد الباب عاديا قليل الارتفاع^(١) وهو من خشب أولوح من الحجر يدور على عقب (صيراه) مثبت في ثقب (فوئوت) ويقفل الباب بواسطة مرتاج (بريح) ويفتح من الخارج بواسطة مفتاح (مفتيح) . أما من الخلف فيغلق ويقفل بواسطة مترس^(٢) هذا مع العلم بأن المرتاج والمفتاح يشبهان ما قد نشاهده أحيانا في الزيف المصري وكان هذا المفتاح من السكر بحيث ينطق عليه فعلا التعبير الوارد في اشعيا^(٣) (مفتاح البيت يحمله فرد على كتفه) أما قائما الباب فهما دعامتا (مصبوت) البيت وهما يقابلان العمودين المقدسين بباب المعبد وهما عصاة باب (مزوزة) معبودة البيت وهناك يضع الإنسان الطلاس لطرده الشياطين^(٤) أيام عبادة يهوه وقد حلت محلها بعد ذلك بعض آيات التوراة^(٥) والإنسان يدهن المزوزة بدم عيد الفصح^(٦) ، وتحت عتبة الباب يدفن قربان الأساس^(٧) .

أرضية البيت : تدك وتغطي عادة بطبقة من الطين . أما النوافذ (حلونوت) فقليلة جدا وهي تطل على فناء البيت وعلى الشارع أيضا لذلك نجدها مصنوعة بقطع خشبية^(٨) .

-
- (١) الأمثال ١٧ ي ١٩ .
(٢) أمثال ٢٦ ي ١٤ والملوك الأول ٧ ي ٥٠ .
(٣) اشعيا ٢٢ ي ٢٢ .
(٤) اشعيا ٥٧ ي ٨ .
(٥) تثنية ٦ ي ٩ .
(٦) خروج ١٢ ي ٧ .
(٧) صموئيل الأول ٥ ي ٥ .
(٨) قضاة ٥ ي ٢٨ والملوك الأول ٦ ي ٤ والأمثال ٧ ي ٦ .

وفضلاً عن الحجارة المنحوتة التي استخدمها الأغنياء في بناء بيوتهم . فإنهم كانوا يدهنونها من الداخل بالمغرة^(١) (لون قرمزي) (ششر) كما استعاضوا عن خشب الجيز الذي كانت تصنع منه العامة الأبواب والنوافذ بخشب الزيتون^(٢) أو خشب الارز الذي كانوا يبطنون به أيضاً الحيطان^(٣) . وذهب الثراء بعيداً فكان الأغنياء يطعمون هذا الخشب والأبواب والشبابيك بالسن^(٤) كما بالغوا في الزخرفة حتى غطوا الخشب بصفايح من الذهب^(٥) وأحياناً ببعض الرسوم الأخرى^(٦) .

أما أرضية البيت فكانت تغطي بألواح من خشب الارز^(٧) هذا إلى جانب السجاد الثمين .

أما الأثاث فيتكون عادة من أربع قطع أساسية^(٨) السرير والمائدة والكرسى والفنار . أما السرير كما نفهمه اليوم فلم يعرفه الاسرائيلي اللهم إلا نفر قليل جداً فالاسرائيلي العادي كان يلتف بعباءته ويفترش الأرض أو على قطعة من الفراش^(٩) . أما السرير (مطا) أو (عرش) فكان يستخدمه الأغنياء وهو عبارة عن أريكة للجلوس عليها أو النوم^(١٠) . أما المائدة

(١) لون قرمزي . أرميا ٢٢ ي ١٤ .

(٢) للوك الأول ١٠ ي ٢٧ وأشعيا ٩ ي ٩ والملك الأول ٦ ي ٣١ .

(٣) حجاى ١ ي ٤ وأرميا ٢٢ ي ١٤ .

(٤) الملك الأول ٢٢ ي ٣٩ وهاموس ٣ ي ١٥ .

(٥) للوك الأول ٦ ي ٢٠ .

(٦) للوك الأول ٦ ي ١٨ و ٢٩ .

(٧) الملك الأول ٦ ي ١٥ .

(٨) للوك الثاني ٤ ي ١٠ .

(٩) خروج ٢٢ ي ٢٥ وتثنية ٢٤ ي ١٣ .

(١٠) صموئيل الأول ٢٨ ي ٢٣ .

فكان القوم يجلسون حولها على الأرض أو على فرش مبسوطة^(١) .

وفي عصور متأخرة كان الاسرائيلي الغني يتناول طعامه مضطجعا^(٢) ، كما استخدم السرير للمريض يلفظ عليه نفسه الأخير^(٣) .

ثم بعد ذلك نجد الديوان مع السرير^(٤) وكان من الخشب يقوم على أربع قوائم وعليه غطاء . أما الأغنياء فكانوا يطعمون الخشب بالسن^(٥) كما صنعوه من خشب الصنوبر وكانت للسرير ركيزة مغطاة بصفيحة من الذهب كما أن قوائمه مكسوة بالفضة^(٦) والوسائد وغيرها من أجود الاقمشة فضلا عن السجاد والأغطية المطرزة المصنوعة من الكتان المصرى^(٧) .

أما مائدة الطعام فقد تطورت بعد أن كانت في ارتفاع الذين يجلسون أرضاً يتناولون طعامهم ارتفعت لتصبح في متناول أيدي الذين يأكلون وهم جلوس على الكراسى أو مضطجعين على الأسرة^(٨) .

والكرسى (كسا) كان قديماً بدون ركيزة أو مسند ومن ثم تطور وأصبح تقليداً لعرش الملك^(٩) .

(١) حزقيال ٢٣ ي ٤١ وسموئيل الاول ٢٠ ي ٢٥ .

(٢) عاموس ٦ ي ٤ . ١

(٣) تسكوين ٤٧ ي ٣١ وس ٤٩ ي ٣٣ وسموئيل الأول ١٩ ي ١٣ . . .
والملوك الثاني ١ ي ٦ .

(٤) أيوب ٧ ي ١٣ والمزامير ٦ ي ٦ ومزمور ١٣٢ ي ٣ والنشيد ١ ي ١٦ .

(٥) عاموس ٦ ي ٤ .

(٦) النشيد ٣ ي ١٠ .

(٧) حزقيال ١٣ ي ١٨ والأمثال ٧ ي ١٦ والنشيد ٣ ي ١٠ .

(٨) سموئيل الأول ٢٠ ي ٥ والقضاة ١ ي ٧ .

(٩) الملوك الأول ١٠ ي ١٨ .

المنار (نير) كان عبارة عن طبق من الفخار له جزء من حافته يشبه
الشفتين يوضع فيه الفتيل . وهناك من الأنواع ما يشتمل على أكثر من
فتيل قد تبلغ السبعة وهي التي يطلقون عليها (منارة)^(١) وكان المصباح يظل
منيراً دائماً وإذا ما أرادوا التعبير عن شخص قد توفي أو حلت به مصيبة
يقبل خبأ مصباحه^(٢) .

وهذه العادة تذكرنا بالقول المأثور — ربنا ما يطفيله شمعة — .
وإلى جانب ما ذكر من أثاث البيت يجب ألا يفوتنا أن نشير إلى
الموقد^(٣) (ا ح) الذي يستخدم شتاء للتدفئة .

القرى والمدن

لا شك في أن أهم مدن عرفها الاسرائيليون كنعانية وأقدم مدينة
تذكرها المصادر الاسرائيلية هي مدينة « هنوخ »^(٤) وقد سميت بهذا
الاسم لأن مؤسسها هو ، كما تقول الاسطورة ، « هنوخ » بن قابيل .
وأشهر هذه المدن الكنعانية ، أورشليم ، واريحا ، وزيشيم ، وحبرون
وبيتليل وغيرها .

وعندما نزل الاسرائيليون غرب الاردن كانت هذه المدن قد بلغت
مكانة عظيمة فهي مسورة حصينة تدخل الرعب في قلوب الاسرائيليين .

(١) الملوك الثاني ٤ ي ١٠ .

(٢) الملوك الأول ١١ ي ٣٦ وأرميا ٢٥ ي ١٠ وأيوب ١٨ ي ٦ .

(٣) أرميا ٣٦ ي ٢٢ .

(٤) تسكوين ٤ ي ١٧ .

أما القرى المفتوحة المحيطة بهذه المدن فكانت تدفع لأمراء المدن أتاوة . ومن حسن الحظ أنه وصلتنا في الكتابات المصرية القديمة بعض تقارير النصر التي أحرزها تحتمس الثالث حيث يذكر لنا ١١٨ مدينة كما نجد أيام رمسيس الثاني كذلك عدداً كبيراً من هذه المدن في رسائل تل العمارنة مثل عكا ، وعسقلون ، ويروت ، وبيبلوس وغزة ، وأورشليم .

وغير هذه المدن الكنعانية نجد أخرى إسرائيلية الأصل وقد حصنها الملوك الإسرائيليون^(١) وأخرى شيدها ملوك مثل العاصمة سميريا التي أمر بتشيدتها عمري^(٢) .

ولا يفوتنا ونحن في صدد الحديث عن المدن وإنشائها أن نذكر أسرة هيرودوس التي شيدت بعض المدن مثل قيصرية وطبرية .

وليس معنى هذا أن هذه المدن قامت من العدم بل أنها مدن قديمة أعيد تخطيطها ويفرق العهد القديم بين المدن المسورة وغير المسورة^(٣) .

وهناك إسرائيليون يسكنون في العراق^(٤) . ويعتبر الإسرائيلي المدينة أما للقرى المجاورة لها . ففي المدينة القضاء الذي يقيم العدالة ويقتص من الظالم للظالم لذلك يدفع سكان المدن المفتوحة والقرى أتاوة للمدينة التي تقيم الحق بينهم وتحميهم وراء أسوارها إذا ما غار عليهم مغير . وهذا للفرق بين القرية

(١) يشوع ١٩ ي ٥٠ .

(٢) الملوك الأول ١٦ ي ٢٤ .

(٣) لاويون ٢٥ ي ٣٠ - ٣١ .

(٤) حزقيال ٣٨ ي ١١ .

والمدينة ظل قائما حتى أبان ظهور المسيحية . وفي المشنا نجد التفرقة واضحة بين (عير) أى « مدينة » و (كرخ) و (كفر) علما بأنه من المرجح أن الفرق بين « كرخ » و « عير » ينصرف إلى عدد السكان فقط .

أما تخطيط المدن فكان يراعى فيه أولا توفر المياه وقد وصلتنا أسماء بعض المدن التى تشير صراحة إلى مراعاة هذا المبدأ مثل (عين جدى) و (عين شمس) . كذلك كان يراعى الموقع الحصين ويفضل على غيره مثل « حبرون » والناصره وأورشليم وسماريا ويزرعثل كما نجد مدنا تدل على المناعة مثل (رامة) و (مصباه) . وإلى جانب ما ذكرنا نجد أسماء بدلا من المدينة أو المكان مثل (مجدل = برج) و (عيمق = وادى) و (هار = جبل) و (بئر = بئر) و (جنيم = حديقة) و (بيت لحم = بيت الخبز) .

وهناك نوع ثالث من أسماء المدن أو القرى المشتمة من أسماء السكان مثلا (شمرون) من (شمر) و (حبرون) من (حبر)^(١) .

أما النوع الرابع فالمركب أو الدال على أسماء معبودات مثل « شمش » و « رمون » و « ايل » و « بعل » وغيرها . وهناك أسماء مدن لا يمكن فهمها وذلك لأن معلوماتنا اللغوية لا تكفى فهى ألفاظ ترجع إلى عصور بعيدة جداً فضلا عن التطور العظيم الذى طرأ عليها مع توالى العصور لذلك يجب أن نحتاط من الاشتقاقات الشعبية التى كثيرا ما نقرأ عنها أو ندها الأفواه مثال ذلك « أورشليم » .

أما تنظيم المدينة فنكاد ندركه من بعض الحفائر التى تمت فى فلسطين فالبيوت صغيرة متراصة تتكون من طابق واحد وهى أما من الطين أو الحجر العادى وعادة فى سفح تل أو عبارة عن كهوف فى سفح التل .

(١) أنباء الأيام الأول ٨ ي ١٧ .

أما في داخل المدينة فالشوارع ضيقة جدا ملتوية ولا توجد بها
ميادين . وعند مدخلها يوجد السوق حيث تقام المحكمة^(١) . وتعقد العقود^(٢)
وتعلن التشريعات والأوامر^(٣) .

وهناك عند مدخل المدينة كانت تتدفق جموع السكان للتشاور
والتسلية^(٤) . كذلك الاغراب كانوا ينامون هناك أو يجدون كريما يرعاهم
ويأخذهم إلى داره^(٥) .

وأمتاز الشرق منذ القدم بأن كل أصحاب حرفة أو مهنة يقطنون
في منطقة خاصة بهم ففي أورشليم مثلا كانت توجد حارة الخبازين^(٦) .
ووادى النجارين^(٧) . وبوابة الصيادين أو السمك وغيرهم^(٨) . كما كان هناك
شارع الصاغة والعطارين^(٩) .

الأسرة

الأسرة الاسرائيلية وحدة سياسية صغيرة كما أنها تكون جماعة دينية
ينوب فيها ربها عنها أمام الله أو معبود القبيلة فالوالد هو السكاهن الذي ينظم
العلاقات بين أفراد أسرته والاله كما نقيين هذا من طقوس عيد الفصح^(١٠) .

(١) سموئيل الثاني ١٥ ي ٢ .

(٢) تسكوين ٢٣ ي ١٠ وروث ٤ ي ١ .

(٣) الملوك الأول ٢٢ ي ١٠ ونحميا ٨ ي ١ و ٣ .

(٤) تسكوين ١٩ ي ١ ومزمور ٦٩ ي ١٣ .

(٥) تسكوين ١٩ ي ٢ — ٣ والقضاة ١٩ ي ١٥ .

(٦) أرميا ٣٧ ي ٢١ .

(٧) أخبار الأيام الأول ٤ ي ١٤ ونحميا ١١ ي ٣٥ .

(٨) أشعيا ٧ ي ٣ وس ٣٦ ي ٢ .

(٩) نحميا ٣ ي ٣٢ .

(١٠) خروج ١٢ ي ٣ .

والملاحظة الجديرة بالاعتبار اطلاق لفظ « أب » ، على الكاهن^(١) .

وفي العصور التاريخية نجد الأسرة تجتمع بأكملها في أعياد القرايين^(٢) ، وحتى العيد كانوا يصبحون منها إذا ما شاركوا في طقوسها^(٣) .

والأسرة الاسرائيلية أسرة أبوية أعنى ربها وسيدها هو الوالد لا الوالدة فالوالد هو الذى كان يقرر قيام القرابة أو التبعية أو حق الوراثة كما أننا نكتين من العهد القديم أن الأسرة الاسرائيلية عرفت أيضا نظام الأم إذ نجد نساء مثل « ليا » ، كانت أما لقبائل رويين وشمعون وليفي ويهوذا وزبولون وايساخر وابنتها « دينا » ، من يعقوب . وغير « ليا » ، نجد « راحيل » ، وهى أم « يوسف » ، و « بنيامين » ، ومنهما انحدرت بطون كثيرة . كذلك نجد (بلها) أم قبيلتي « دان » ، و « نفتالى » ، و « زلفا » ، أم « قبيلتي » ، جاد ، و « أشير » . ثم « هاجر » ، أم الاسماعيليين (العرب الشماليين) وغيرهن . كما نعلل أباحة زواج الأخت وأمرأة الأب وأمرأة الابن^(٤) بعدم الاعتراف بصحة النسب إلى الاب مع الجزم بصحة نسبته إلى الأم .

وقد ظل الاعتراف بإثبات صحة النسب عن طريق الأم قويا تردده الاسفار المقدسة^(٥) . كحق الأم في التبني^(٦) ، ومنح الأسم وكذلك الميراث حسب نسبها^(٧) كما جرت العادة أن الأخ لا الأب هو الذى

(١) القضاة ١٧ ي ١٠ .

(٢) صموئيل الأول ٢٠ ي ٢٩ .

(٣) تكوين ٢٤ ي ١٢ .

(٤) حزقيال ٢٢ ي ١٠ - ١١ .

(٥) تكوين ٤٢ ي ٣٨ و ٤٣ ي ٢٩ و ٤٤ ي ٢٠ .

(٦) تكوين ٣٠ ي ٣ .

(٧) تكوين ٢١ ي ١٠ .

يزوج ابنته فكل هذه الظواهر وغيرها دليل على أن الأسرة الاسرائيلية سمرت بطور سيادة الأم وهيمنتها عليها . ومن هنا نفهم معنى المثل الوارد في سفر التكوين^(١) .

والأسرة الاسرائيلية في مختلف عصورها قديما وحديثا أسرة تقوم على تعدد الزوجات وهي في هذه الظاهرة تختلف عن الأسرة البابلية التي كانت منذ عصر حمورابي (حوالي ٢٢٥٠ ق . م) . لا تعترف به . ولو أن شريعة حمورابي تبيح في حالات قليلة جدا تعدد الزوجات وحتى في هذه الحالات لا تساوى الشريعة البابلية بين سيدة البيت والأخرى بخلاف الحال في الأسرة الاسرائيلية حيث تتساوى جميع الزوجات ، وعددهن يتفاوت بقلة وكثرة حسب ثروة الزوج ومكانته ولو أن علماء التلمود يحددون للرجل أربع زوجات فقط وللملك ثمان عشرة زوجة كما أن قانون الملوك يمنحهم من المبالغة في اقتناء الزوجات^(٢) . وقد استغل الاسرائيلي هذا الحق بمبالغ فيه^(٣) . أما الرجل الفقير فكان يقنع بأمراتين .

ولا شك في أن هذا الوضع في الأسرة الاسرائيلية سبب كثيرا من المشاكل فالمنافسة شديدة جدا بين الزوجة التي تلد والعاقرة^(٤) .

وفي عصور متأخرة نجد الشريعة الاسرائيلية تسن قانونا يحمي الزوجة المكروهة^(٥) .

(١) تكوين ٢ ي ٢٤ .

(٢) تثنية ١٧ ي ١٧ .

(٣) القضاة ٨ ي ٣٠ وس ٩ ي ٢ وصموئيل الثاني ٥ ي ١٣ .

(٤) صموئيل الأول ١ ي ٦ ... وتكوين ١٦ ي ٤ وس ٣٠ .

(٥) تثنية ٢١ ي ١٥ — ١٧ .

كذلك حرم الجمع بين الاختين كما جرت العادة من قبل تجنباً للغيرة . ولم يقنع الاسرائيلي بزواجه بل كان حراً في علاقاته الجنسية الخارجية . أما إذا اضطرر مع زوجة آخر فهذا يعتبر هذا التصرف عدواناً على حقوق زواجه الشرعية . وبينما نجد الاسرائيلي يتمتع بحقوق كثيرة فيما يتصل بالناحية الجنسية إذ بالشرعية تقسو كثيراً على المرأة^(١) فالمرأة الزانية ترحم^(٢) .

النكاح

النكاح يتم بدفع العريس المهر لعروسه أو بدفع جزء منه . فالزواج الاسرائيلي زواج شراء . وارتكاب الفاحشة مع العروس يعاقب عليه القانون كما لو أنه ارتكب مع زوجة رجل آخر^(٣) .

أما اغراء العذراء فيعتبر وكأنه اضرار بملكية والد الفتاة^(٤) يعرض عنه بما يقابل مهر الفتاة لو زوجت . أما المهر فلم يرد في الشريعة الاسرائيلية ما يحدده ولكن يظهر أنه لم يختلف عما جاء في شريعة حمورابي . وفي حالات كثيرة نجد العريس يؤدي خدمة لوالد العروس نظير المهر هكذا فعل يعقوب وموسى وغيرهما وكان الرجل يعبر إذا ما استغل مهر ابنته لنفسه^(٥) .

أما اختيار العروس فكان من عمل والد العريس أو رئيس العائلة^(٦) . وكان يستحب أن يختار الابن عروسه^(٧) . وموافقة الفتاة لم تكن

(١) تثنية ٢٢ ي ٢١ .

(٢) تثنية ٢٢ ي ٢٢ وحزقيال ١٦ ي ٤٠ وانجيل يوحنا ٨ ي ٥ .

(٣) تثنية ٢٢ ي ٢٣ .

(٤) خروج ٢٢ ي ١٥ .

(٥) تكوين ٣١ ي ١٥ .

(٦) تكوين ٢٤ ي ٢ ... وس ٣٨ ي ٦ .

(٧) تكوين ٢٦ ي ٣٤ - ٣٥ وس ٢٧ ي ٤٦ .

ضرورية ، وفيما يتصل بتقدير المهر فهذا من عمل أعضاء الاسرتين^(١) .
كما أنه كان يحدث أحيانا أن الوالدين يسألان الفتاة رأيها في عريسها^(٢) .
كما حدث أن (عيساو) خالف أهله واقزن بنساء أجنبيات عن قبيلته^(٣) والواقع
أن اللقاء بين الشاب والفتاة لم يكن صعبا كما هو الحال في بعض
الأوساط الشرقية^(٤) . فعند النبع كثيرا ما التقى الجنسان وقدم كل الآخر
مساعده كما تبادل الرأي في كثير من المسائل التي تهم الطرفين^(٥) .

وهذه الاجتماعات لم تكن بريئة دائما^(٦) . بالرغم من حماية القانون
للأخلاق^(٧) .

وكانت العادة عند الاسرائيليين أن الزواج يتم بين أفراد القبيلة
الواحدة ، وهذا النكاح أفضل بكثير من ذلك الذي يتم بين عشيرتين
مختلفتين^(٨) . لذلك كثيرا ما تم النكاح بين الأقارب فمثلا موسى ولد لقريين
كذلك الحال مع اسحق وريبيكة ويعقوب وراحيل . . .

مفردات الزفاف : لم تصلنا معلومات هامة حول حفلات الزفاف
ولعل السبب في هذا أن عقد القران كان عملا مدنيا خالصا لذلك كان الزفاف
أيضا مدنيا لا صلة للدين به . وكل ما في الأمر هو انتقال العروس إلى
دار الزوجية حيث تنتقل من أسرتها إلى أسرة الزوج فكانت تتحلى

(١) تكوين ٢٤ ي ٥٠ وس ٢٤ ي ١٢ .

(٢) تكوين ٢٤ ي ٥٨ وصموئيل الأول ١٨ ي ٢٠ .

(٣) تكوين ٢٦ ي ٣٤ - ٣٥ .

(٤) القضاة ١٤ ي ١ ... وصموئيل الأول ٩ ي ١١ .

(٥) تكوين ٢٤ ي ١٥ وس ٢٩ ي ١٠ .

(٦) خروج ٢ ي ١٦ .

(٧) خروج ٢٢ ي ١٥ وثنية ٢٢ ي ٢٣ .

(٨) تكوين ٢٩ ي ١٩ والقضاة ١٤ ي ٣ .

بجلى الزفاف^(١) ويرافقها أقارب العريس وأهله^(٢) إذ كانت العادة أن العريس يتوجه إلى دار العروس ويرافقها مساء إلى داره وخلفهما جمهور المهنتين يهللون ويصيحون ويحيون العروس في زينتها^(٣) كما ترافق العروس صويحباتها^(٤) ويسير الموكب حتى بيت الزوجية^(٥) ومن حسن الحظ أنه وصلتنا مجموعة من أغاني الزفاف في نشيد الأناشيد . وحتى أن تصل العروس إلى دار الزوجية كانت تحتفظ بالحجاب^(٦) وفي دار العريس كانت الحفلة الكبرى حيث تستمر حوالى سبعة أيام أو أربعة عشر يوما^(٧) وقد يحدث أن الرجل يتزوج في بيت العروس كما فعل يعقوب^(٨) وكذلك شمشون^(٩) كما أن حفلة الزفاف تتم في بيت العروس لا العريس^(١٠) وكما هو الحال اليوم في الشرق كذلك قديما كان المرء حريصا على البكارة^(١١) . ولما كان الرجل هو المشتري المرأة ودافع ثمنها أصبح من حقه التخلص منها عن طريق الطلاق وذلك بقوله : ليست زوجتى ولست زوجها^(١٢) . وهنا تتفق الاسرائيلية مع البابلية، وكذلك الطلاق في الإسلام، كما جرت العادة أن يحرر الزوج خطابا بهذا إلى زوجته التي يريد أن يطلقها^(١٣) . ولما كان

-
- (١) أشعيا ٦١ ي ١١ .
 (٢) القضاة ١٤ ي ١١ ومتى ٩ ي ١٩ .
 (٣) أشعيا ٤٩ ي ١٨ وأرميا ٢ ي ٣٢ .
 (٤) مزمور ٤٥ ي ١٥ .
 (٥) أرميا ٧ ي ٣٤ وس ١٦ ي ٩ .
 (٦) تسكوين ٢٩ ي ٢٥ .
 (٧) تسكوين ٢٩ ي ٢٧ والقضاة ١٤ ي ١٢ .
 (٨) تسكوين ٣١ ي ٣٦١ .
 (٩) تسكوين ١٤ ي ١٠ .
 (١٠) تسكوين ٢٩ ي ٢٢ والقضاة ١٤ ي ١٠ .
 (١١) نذية ٢٢ ي ١٣ .
 (١٢) هو شيم ٢ ي ٤ .
 (١٣) أشعيا ٥٠ ي ١ وأرميا ٣ ي ٨ .

الزوج يتنازل عن المهر الذى دفعه فإن صدور الطلاق منه إنما هو تنازل عن حق له وهذا التنازل ليس فيه إهانة للزوجة أو أهلها والمرأة تعود ثانية إلى أهلها وقد تتزوج مرة أخرى وفى هذا الاجراء لا سبة ولا عار ولا إهانة تلحق بالزوجة . ومن ثم نجد الشريعة الاسرائيلية تحرم على الرجل الذى طلق امرأته أن يستردها ثانية^(١) أما المرأة فلم يكن من حقها طلب الطلاق من الرجل إلا فى حالة بغضها الشديد له مما يضطره إلى طردها . ومحدثنا التاريخ أن « سالومى » ابنة (هيرودس) أرسلت وثيقة طلاق إلى زوجها (كوستاباروس Kostabarus) لكن مثل هذه الحالة تعتبر غريبة وليست إسراييلية . ومن الجدير بالملاحظة أن شريعة حمورابى كانت تبيح للزوجة تطليق زوجها إذا ما اعتدى على حقوقها الزوجية أو لم يقيم بها .

أن الرجل هو بعل المرأة أى رب الأسرة وهى ملك الرجل الذى اشتراها ومن حق الرجل أن يطلقها فى أى وقت أو يقتن بغيرها بينما المرأة لا تستطيع أن تهجر بيت الزوجية وهى مطالبة بالاخلاص للرجل وليس لها حق وراثته .

وبالرغم من ذلك فمساكنة المرأة الاسرائيلية تختلف عن مساكنة الأمة وذلك لأن حق الرجل لا ينصرف إلى المرأة ذاتها ، إلى شخصية المرأة بل حقه ينصرف إلى حيازتها لى تضع له أطفالا كما أن الرجل لا يستطيع أن يبيع امرأته كما يبيع امته مثلا أو ابنته ، وليس للرجل الحق فى بيع امته أو سبية الحرب إذا ما اتخذها سرية له^(٢) . إلا أن المرأة ملزمة بالذهاب مع زوجها والعمل معه كعبدى سدادا لدين ، وذلك لمدة

(١) ثنية ٢٤ ي ١ - ٤ .

(٢) ثنية ٢١ ي ١٤ .

ست سنوات^(١) كذلك للمرأة الاسرائيلية الحق فى الملكية وملكية أشياء خاصة . وهى تأتى إلى بيت الزوجية ومعها المنحة التى قد تمنحها لها أمرتها^(٢) لكن ليس من حقها أن تتنازل عما جاءت به من ملابس أو حلى إلى أقاربها لأنها تكون جزءا من الاتفاق وذلك لأن جزءا من المهر قد يستخدم لشراء هذه الأشياء وكذلك فمعظم ما قد تأتى به العروس إلى بيت الزوجية عبارة عن أمة أو اماء^(٣) . وهذا لا يعتبر هدية ينال منها الزوج أو الأسرة عامة نصيبا حسب الشريعة الرومانية بل تظل ملكا خاصا بالزوجة . كما أن الجوارى بعيدات عن سلطان الزوج^(٤) وهن خاضعات لسيادة الزوجة .

والمرأة الاسرائيلية لم يكن مركزها سيئا كما نتصوره فكونها ملك للرجل^(٥) ليس نقيصة وذلك لأنها قبل الزواج كانت ملكا لأبيها وكان له الحق فى بيعها فتصبح أمة . والطاعة العمياء لسيد البيت كانت مفروضة أيضا على الأطفال وأخيرا فلها فى أهلها وأقاربها درع يقبها العاديات .

وعلى كل حال فمكانة المرأة من الشعب كانت قاسية حقا وذلك لأنها كانت تقوم بأشق الأعمال وأتعبها فى البيت وخارجه فهى التى تجلب الماء إلى البيت وهى التى تطحن الحبوب وتخبز الخبز وسائر أعمال المنزل وعلاوة على ذلك كانت تقوم بأعمال الحقل وترعى الماشية .

(١) خروج ٢٢ ي ٢ - ٣ ولأويون ٢٥ ي ٣٩ و ٤٧ .

(٢) يشوع ١٥ ي ١٦ والقضاة ١ ي ١٢ .

(٣) تسكوين ١٦ ي ١ - ٢ وس ٢٤ ي ٥٩ وس ٢٩ ي ٢٤ .

(٤) تسكوين ١٦ ي ٢٦ وس ٣٠ ي ٤ و ٩ .

(٥) تسكوين ١٦ ي ٦ - ٧ .

الارملة

كان مركزها سيئا جدا فهي تورث مع سائر أمتعة المتوفى ونجد أحيانا مثل (روين) الذى أراد أن يرث والده ابان حياته^(١) كذلك أبشالوم التأثير يريد أن يعبر لشعبه على أنه وريث والده وخليفته باستيلائه على حريمه^(٢) كما نجد (ابنير) يغتصب سرية شاول وهى « رصفه » وهى فى الواقع من حق أيشبوشث^(٣) كذلك نجد أدونيا يطالب يد « ايشج » فيحصل على جزء من ميراث داود^(٤) . فالبرغم من تحريم التثنية الزواج من امرأة الأب فإن كثيرين الذين تزوجوا من نساء آبائهم^(٥) . وعلى كل فالأرملة كانت مضطربة بعد وفاة بعلمها لأنها لا تعرف عما إذا كان أحد الورثة سيعولها أم لا ولو أنه كان من حقها العودة إلى أهلها إذا كان والدها حيا ولا يمانع فيها ، كذلك كان لها الحق فى الزواج ثانية^(٦) . علما بأن جميع هذه التشريعات تكاد تكون مقتبسة من شريعة حمورابى .

الأطفال

الأطفال منحة من الله لذلك نجد أن أمنية الاسرائيلية الأطفال^(٧) وبالرفاء والبنين خير دعوة عند الزفاف^(٨) وعدم الحبل عقوبة من الله^(٩) . والمرأة تبلغ المسكنة المرموقة فى الأسرة عندما تنجب أطفالا^(١٠) والرجل

(١) تسكوين ٣٥ ى ٢٢ .

(٢) صموئيل الثانى ١٦ ى ٢٠ .

(٣) صموئيل الثانى ٣ ى ٧ .

(٤) الملوك الأول ٢ ى ٢٢ .

(٥) حزقيال ٢٢ ى ١٠ .

(٦) تثنية ١٠ ى ١٨ وس ٢٤ ى ١٧ ولارن أرميا ٧ ى ٦ .

(٧) تسكوين ٣٠ ى ١ .

(٨) تسكوين ٢٤ ى ٦٠ .

(٩) صموئيل الأول ١ ى ٥ .

(١٠) تسكوين ١٦ ى ٤ صموئيل الأول ١ ى ٦ - ٧ .

أن يتزوج امرأة ثانية إذا لم تنجب له زوجته أطفالا وكانت أحيانا تقدم له جارياتها فأطفالها سينسبون إليها وبذلك تتخلص من عار العقم . وإذا حدث وتوفي رجل دون أن ينجب تقدم أحد أقاربه وتزوج أرملته لأن هذه العمل يعتبر مقدسا وإذا أنجب منها أطفالا نسب الابن الأول للمتوفى^(١) .

أما مشكلة الأطفال الشرعيين وغير الشرعيين فلا نكاد نجد لها في الشرق قديما أو حديثا طالما نظام تعدد الزوجات قائم ، وذلك لأن جميع الأطفال هم أبناء سيد البيت أو الوالد وجميعهم لهم الحق في الميراث^(٢) فشرعية الطفل تتوقف على الوالد لا على الأم فالوالدة مهما كانت لا دخل لها في شرعية الطفل وعدم شرعيته .

والمجتمع الإسرائيلي يفرق بين الولد والبنت وذلك بحكم الواقع فالولد يحافظ على جنس الأب بينما البنت بحكم الزواج تنتقل إلى أسرة أخرى فالولد هو الذى يحافظ على تقاليد الأسرة وعاداتها وعقيدتها بينما البنت غير قادرة على القيام بها والفتى لا يباع بينما الفتاة تباع عند الزواج ومن هنا نقبين تمييز الولد في الميراث فالولد فقط هو الذى يرث والده وليست الأرملة أو البنت . وبين الأولاد يمتاز البكر عن الآخرين فهو يرث ضعف الآخر من أخوته^(٣) كما منحه المجتمع تمثيل الأسرة في المسائل الخاصة والعامة^(٤) وذلك باعتبار أنه الابن الذى يلى الوالد مباشرة في رئاسة الأسرة فكان الابن البكر يتمتع بمكانة ممتازة بين أفراد الأسرة حتى أبان

(١) تكوين ٢٨ ي ١٣ ...

(٢) تكوين ٢١ ي ١٠ .

(٣) تثنية ٢١ ي ١٧ .

(٤) تكوين ٢٤ ي ٥٠ .

حياة والده^(١) كما يرجح أنه كان المستول عن أخوته بعد وفاة والده وبخاصة النساء منهم ولعل هذا التكريم لابن البكر يتصل بالعقيدة الدينية وطقوسها^(٢).

وضع الأطفال في المجتمع الاسرائيلي كان يتطلب المولدات^(٣). أما الجارية فكانت تضع مولودها في حجر سيدتها حتى ينسب الطفل إليها^(٤). وبمجرد أن يرى الوليد النور يوضع في ماء به ملح ويدلك بالماء ويغسل جسده شأن الاسرائيليين في هذه العادة شأن البدو حتى يومنا هذا ثم بعد ذلك يلف الوليد في القماش^(٥) أما تربيته فكانت تتولاها عادة الأم^(٦) وفي حالات نادرة تستعين الأم بمرية وأن اعتاد الاغنياء الاسرائيليون الاستعانة بالمربيات^(٧). أما الفطام فكان يحتفل به احتفالا مناسبا^(٨).

أما تسمية الوليد فكانت تتم عقب ولادته مباشرة وكانت الأم غالبا ماتختار الاسم^(٩) كذلك كان الوالد أحيانا هو الذي يختار الاسم^(١٠) وفي عصور متأخرة كان الوليد بعد تسميته بأسبوع يخزن وهذه الظاهرة كانت شائعة حتى في العهد المسيحي^(١١).

(١) تكوين ٣٧ ي ٢٢ .

(٢) خروج ٢٢ ي ٢٨ - ٢٩ .

(٣) تكوين ٣٥ ي ١٧ وس ٣٨ ي ٢٨ .

(٤) تكوين ٣٠ ي ٣ .

(٥) حزقيال ١٦ ي ٤ .

(٦) تكوين ٢١ ي ٧ وسوئيل الأول ١ ي ٢١ .

(٧) سوئيل الثاني ٤ ي ٤ وللوك الثاني ١١ ي ٢ .

(٨) سوئيل الأول ١ ي ٢٤ وتكوين ٢١ ي ٨ .

(٩) تكوين ٤ ي ١ وس ١٩ ي ٣٧ .

(١٠) تكوين ١٦ ي ١٥ .

(١١) لوقا ١ ي ٥٧ .

والأسماء العبرية هي أسماء أشخاص وليست أسماء بطون أو قبائل . وأن اشترك أكثر من واحد في اسم فرق بين المشتركين بذكر اسم الوالد^(١) أما دلالة الاسم فقد لا نفهمها الآن كما لا يفهمها كثيرون ومن هنا نشأت حولها القصص والأساطير لتعليقها مثلاً أبناء يعقوب^(٢) كذلك أسماء الآباء الأولين^(٣) وأحياناً يسمى الطفل باسم عاهة بحسبه مثل (فاسيح) أى الإعرج^(٤) و (قاريح) أى الأقرع وهما جراً كما أننا نجد كثيرين يسمون بأسماء حيوانات مثل (ليا : بقرة برية) و (راحيل : شاة) و (يونا : حمامة) و (دبورا نحلة) و . . . ثم نجد الأسماء الدينية أعني المشتملة على اسم معبود من المعبودات أو نى من الأنبياء مثل ميكائيل ، جبرائيل ، حزقييل ، يزرعئيل ، وإيمالك وأحياناً مختصرة مثل « يوسف » من « يوسفئيل » .

وسلطان الأب على أولاده كان مطلقاً فله أن يقتله إذا ما ارتكب أثماً أو أهان والديه^(٥) وفي العصور المتأخرة نجد تنفيذ حكم الإعدام ينتقل إلى الهيئة القضائية^(٦) ولو أن المحكمة كانت تنفذ فقط ما كان الوالد يقوم به . والوالد له مطلق السلطان على ابنته أيضاً فهو الذى يزوجه لمن يشاء أو يبيعها بيع الرقيق لكن ليس لأجنبي^(٧) .

أما تعليم الأطفال فلا نجد في العهد القديم ما يشير إلى وجود مدارس ولو أننا نرجح أن المعابد كانت تستخدم لتعليم الأطفال التعاليم الدينية . تنفيذاً لتعاليم التثنية التى تحض على العلم واكتسابه وفي العهد المسيحى

(١) صموئيل الأول ٢٢ ي ٩ وس ٢٣ ي ٦ .

(٢) تكوين ٢٩ ي ٣٢ وس ٣٠ ي ٣٤ .

(٣) تكوين ١٧ ي ٢١ و ٢٥ .

(٤) نحميا ٣ ي ٦ .

(٥) خروج ٢١ ي ١٥ و ١٧ .

(٦) لاويون ٢٠ ي ٩ والأمثال ٢٠ ي ٢٠ ومتى ١٥ ي ٤ .

(٧) خروج ٢١ ي ٧ - ٨ .

نجد المدارس (بيت همدراش) وفي اورشليم كان التعليم في المعابد أيضا^(١).

الرقيق

ويتبع الاسرة الإسرائيلية الرقيق أيضا والتقاليد الإسرائيلية تحمي الرقيق من استبداد رب الاسرة فكانة الرقيق مكانة الأطفال تماما إذ كانوا أيضا يخضعون لسلطان والدهم خضوعا تاما . والرقيق كانوا غالبا من الأجانب وهم عادة أسرى حرب^(٢) إلا أن الإسرائيليين كانوا عادة يشترون عبيدهم وكان السيد يتزوج أحيانا جارية أو أكثر من جواريه^(٣) وكان القانون يحمي الرقيق من استبداد سادتهم فكان يحرم قتلهم بخلاف الأولاد فقد كان لو والدهم حق قتلهم . لكن إذا مضى يوم على الأقل بين ضرب السيد لعبده وبين وفاته فليس على السيد ذنب وكفاه عقوبة فقدانه العبد^(٤) لكن إذا أصيب العبد من جراء ذلك بعاهة مستديمة وجب على سيده عتقه^(٥) إما قتل أو إصابة عبد شخص آخر فيعتبر وكأنه إلحاق ضرر بملكية آخر وعليه فالمعتدى يجب عليه دفع تعويض للسيد الآخر^(٦) ومنعا من استغلال العبد في العمل حماه القانون عن طريق تقديس (السبت)^(٧) وبالرغم من أن بعض العبيد كانوا يفرون من سادتهم^(٨) إلا أن إعادة العبد إلى سيده تتوقف على رضا المدينة التي لجأ إليها العبد والقانون لا يجبر أحدا على إعادته^(٩).

(١) لوقا ٢ ي ٤٦ .

(٢) صموئيل الأول ٣٠ ي ٣ والملوك الأول ٢٠ ي ٣٩ - ٤٠ .

(٣) تكوين ١٧ ي ١٣ .

(٤) خروج ٢١ ي ٢٠ .

(٥) خروج ٢١ ي ٢٦ .

(٦) خروج ٢١ ي ٢٠ .

(٧) خروج ٢٠ ي ١٠ وص ٢٣ ي ١٢ وثنية ٥ ي ١٢ .

(٨) تكوين ١٦ ي ٦ وصموئيل الأول ٢٥ ي ١٠ .

(٩) ثنية ٢٣ ي ١٦ والملوك الأول ٢ ي ٣٩ - ٤٠ .

وأكثر من هذا فالعبيد كانوا وكأنهم أعضاء في الأسرة الإسرائيلية التابعين لها فقد كانوا يحضرون ولائمها ويسألون رأيهم^(١) وكان العبد يقتن بابتنة سيده^(٢) وإذا لم ينجب سيده أولدا كان العبد يرثه^(٣) وكان كأحد أفراد الأسرة يخضع لطقوسها الدينية فيختن^(٤) كما أن حسن معاملة العبد وعدم ظلمه عبادة وتدين^(٥) . والرق في إسرائيل كان شائعا حتى أن من حق الوالد بيع أولاده^(٦) وكان الإسرائيلي الفقير يفضل أن يعيش وأسرته عبيدا في كنف ثرى^(٧) . كما أن المجتمع الإسرائيلي كان ينظر إلى الاسرائيلي العاجز عن سداد دينه نظرتة إلى اللص الذى لا يستطيع تعويض المسروقات التى سرقها . .

أما مدة استرقاق الاسرائيلي فلا تتجاوز ست سنوات وفى السابعة تفك رقبته^(٨) وإن كانت زوجته معه فتحرر أيضا معه^(٩) وهناك حالات نخبين منها كيف أن الرقيق الاسرائيلي كان يفضل البقاء فى الرق عند سيده على العتق^(١٠) وهذه الحالات تحدث أحيانا إذا ما زوج السيد عبده وأنجبت له امرأته أطفالا فى هذه الحالة يجب على المرأة والأطفال أن يبقوا فى منزل السيد لذلك يفضل العبد البقاء فى أسرته فاضطربت المدة المحددة لبقاء العبد فى بيت سيده^(١١) .

-
- (١) صموئيل الأول ٩ ي ٦ وس ٢٥ ي ١٤ .
 - (٢) أخبار الأيام الأول ٢ ي ٣٤ - ٣٥ .
 - (٣) نكوبن ١٥ ي ٢ .
 - (٤) نكوبن ١٧ ي ١٢ .
 - (٥) أيوب ٣٠ ي ١٣ وأمثال ٣٠ ي ١٠ .
 - (٦) خروج ٣١ ي ٧ .
 - (٧) لاويون ٢٥ ي ٣٩ و ٤٧ .
 - (٨) خروج ٢١ ي ٢ .
 - (٩) خروج ٢١ ي ٣ .
 - (١٠) خروج ٢١ ي ٥ - ٦ وثنية ١٥ ي ٦ - ٧ .
 - (١١) أرميا ٣٤ ي ٨ - ١٧ .

هذا فيما يتصل بالعبد الذكر أما الأنثى فكانت غالبا سرية العبد لأن جسدها أيضا ملك له والجارية لا تجدد عيبا في هذا فإبنة السيد تباع لزوجها أو لغير زوجها^(١) . لكن إذا كانت الجارية ملكا للزوجة فإن السيد لا يستطيع الاقتراب منها إلا بموافقتها . وإذا تسرى الرجل جارية اسرائيلية أو غير اسرائيلية يجب عليه أن يعاشرها عشرة الأزواج ويتكفل بكل حاجاتها كما أن الجارية لاحق لها في التحرر منه بعد سبع سنوات . وإذا رفض السيد تسرى الجارية الإسرائيلية أو تمكينها من انجاب أطفال فله حق بيعها إلى آخر يتسراها^(٢) وما يطبق على الاسرائيلية يطبق أيضا على الجارية أو سبية الحرب فإن السيد متى تسراها لا يجوز له بيعها^(٣) .

الوفاة والعزاء

أن حرارة الجو تحتم المبادرة إلى دفن الجثة^(٤) ويحدثنا العهد الجديد أن الجثة يجب أن تغسل^(٥) ثم تدهن بالزيت^(٦) ثم تكفن بالكفن^(٧) وقدما كان الميت يعرف من كفنه الملك من تاجه والمحارب من سيفه والنبى من عباءته^(٨) إذ كان الميت يدفن كما كان في الحياة الدنيا أعني بردائه . أما التحنيط فمصرى الأصل ولم يعرفه الاسرائيليون^(٩) كذلك لم يعرف الاسرائيليون النعش بل كان الميت يحمل على محفة وخلف الجثة

(١) خروج ٢١ ي ٧ - ١١ .

(٢) خروج ٢١ ي ٨ .

(٣) تثنية ٢١ ي ١٠ .

(٤) تثنية ٢١ ي ٢٣ .

(٥) أعمال الرسل ٩ ي ٢٣ .

(٦) مرقس ١٦ ي ١ .

(٧) متى ٢٧ ي ٥٩ .

(٨) صموئيل الأول ٢٨ ي ١٤ وحزقيال ٣٢ ي ٢٧ .

(٩) تكوين ٥٠ ي ٢ - ٣ و٢٦ .

المشيحون^(١) أما الدفن فكان الميت يوضع في الحدف^(٢) ومرارة الجثة التراب واجب لا مفر منه وعدم الدفن أشنع شيء يبتلى به الميت^(٣) ومن الحسنات الكبرى التي يؤديها الحى أن يوارى جثة ميت^(٤) وحتى المجرم يجب أن يدفن^(٥).

أما المقابر فكانت قديماً جداً عبارة عن الكهوف الموجودة في التلال وفي العصر المملوكي وتحت تأثير الفينيقيين أخذ الاسرائيليون ينحتون المقابر في الصخر كما جرت العادة منذ العصر الكنعاني أن تدفن مع الميت جرار ومعه مصاييح وأطباق وما إليها من ضروريات الحياة الدنيا . وكان القوم يقيمون المقابر بجوار مساكنهم^(٦) أما في المدن فكان هذا الوضع عسيراً ولو أن ملوك مملكة يهوذا اتخذوا من أبراجهم مدافن^(٧) لهم . أما فقراء الاسرائيليين الذين لم تكن لهم مقابر خاصة فقد شيدت لهم مقابر جماعية^(٨) . وكان القوم حريصين على أن يدفنوا بجوار آبائهم وإلا فالشقاء يلاحقهم^(٩).

وفي عصر متأخر اعتبرت المقابر نجسة لذلك كان القوم في العصر المسيحي يطلونها بالجير في فصل الربيع^(١٠).

(١) صموئيل الثاني ٣ ي ٣١ ولولا ٧ ي ١٢ .

(٢) تسكوين ٢٣ ي ١٩ وس ٢٥ ي ٩ .

(٣) عاموس ٢ ي ١ والملك الأول ١٤ ي ١١ وس ١٦ ي ٤ .

(٤) حزقيال ٣٩ ي ١٤ وصموئيل الثاني ٢١ ي ١٠ .

(٥) نثنية ٢١ ي ٢٣ :

(٦) تسكوين ٢٣ وصموئيل الأول ٢٥ ي ١ والملك الأول ٢ ي ٣٤ .

(٧) حزقيال ٤٣ ي ٧ .

(٨) أرميا ٢٦ ي ٢٣ وأشعيا ٥٣ ي ٩ ومي ٢٧ ي ٧ .

(٩) الملك الأول ١٣ ي ٢٢ .

(١٠) مي ٢٣ ي ٢٧ ولولا ١١ ي ٤٤ .

أما شعار إعلان الحداد فيعلنه إلى جانب نساء الأسرة ندابون وندابات حيث كانوا يهنيحون دهوى احي = آه ياخي ، هوى آدون = آه ياسيدي ، أو دهوى أحوث ^(١) آه ياختي ، ومن ثم تنشد المرائي ^(٢) مع تبادل المنشدات ^(٣) و بمرافقة الناي ^(٤) .

ومن علامات الحداد أيضا تمزيق الثياب العليا ^(٥) وارتداء ثوب الحزن (ساق) ^(٦) ويجلس الحزين في التراب والرمضاء ^(٧) وكان المكلوم يضرب صدره وحقويه ^(٨) كما يسير عارى الرأس حافي القدمين ^(٩) . ويخلق شعر رأسه ^(١٠) ويقص لحيته أو يشذبه ^(١١) وقد يفصد جسده بالمديّة ^(١٢) كذلك جرت العادة أن يصوم الأحياء حدادا على الميت ^(١٣) وكان هذه الصيام يستمر حتى الغروب أو لعدة أيام ^(١٤) . وتعلل جميع هذه الطقوس وتلك العادات بالقرايين التي كانت تقدم للموتى أحيانا ^(١٥) كما أن معظمها يرجع إلى طقوس كنعانية أو شرقية أخرى .

-
- (١) الملوك الاول ١٣ ي ٣٠ وأرميا ٢٢ ي ١٨ وعاموس ٥ ي ١٦ .
 - (٢) أخبار الأيام الثاني ٣٥ ي ٢٥ :
 - (٣) زكريا ١٢ ي ١١ . وفارن متى ١١ ي ١٧ .
 - (٤) أرميا ٤٨ ي ٣٦ .
 - (٥) صموئيل الثاني ٣ ي ٣١ .
 - (٦) أشيا ١٥ ي ٣ وس ٢٢ ي ١٢ .
 - (٧) يشوع ٧ ي ٦ وصموئيل الثاني ١ ي ٢ وأشعيا ٣ ي ٢٦ وأيوب ٢ ي ٨ .
 - (٨) أرميا ٣١ ي ١٩ .
 - (٩) حزقيال ٢٤ ي ١٧ وصموئيل الثاني ١٥ ي ٣٠ .
 - (١٠) أرميا ١٦ ي ٦ وس ٤٧ ي ٤ وأشعيا ٢٢ ي ١٢ .
 - (١١) أرميا ٤١ ي ٥ وس ٤٨ ي ٣٧ .
 - (١٢) أرميا ١٦ ي ٦ وس ٤١ ي ٥ .
 - (١٣) صموئيل الاول ٣١ ي ١٣ وصموئيل الثاني ٣ ي ٣٥ .
 - (١٤) هوشيع ٩ ي ٤ وأرميا ١٦ ي ٧ - ٨ .
 - (١٥) نثنية ٢٦ ي ١٤ .

المجتمع وعاداته

الترفيه

الشرقي فرج مرح منذ أن ظهر في الوجود وذلك بحكم طبيعة بلده وصقاء سمائه وخصب تربته وموقعه الدولي الهام ، كما أن كرم أهله مضرب الأمثال ، وتعاونهم في السراء والضراء حفظ للشرق عاداته وتقاليده وشخصيته .

وإذا تتبعنا المصادر التي وصلتنا والتي تحدثنا عن ماضي الشرق وتقاليده وجدناها غفلا عن ذكر أماكن اللهو والتسلية كما أنها لا تتحدث كثيرا عن وسائلها . لكن الشرق سعى منذ القدم إلى مشاركة أهله وعشيرته الرأي في كل ما يهم قبيلته ومجتمعه سواء في الأفراح أو الأتراح . فالعهد القديم يحدثنا أن الاسرائيليين اتخذوا من مدخل القرية منتدى يجتمع فيه شيوخها يتداولون ويتسامرون^(١) . وعند غير المدخل اعتاد القوم أن يلتقوا أيضا عند النبع^(٢) وأحاديث المحدثين عند مدخل القرية لم تذهب سدى بل وجدت من يعنى بها ويتخذها وسيلة من وسائل التسلية ومادة غنية لعرض تاريخ بعض الشخصيات التي اعتقد القوم أنها لعبت دورا خطيرا في تاريخ القبيلة أو القبائل فخرج الرواة وظهرت الرواية ومن ثم أضيفت إلى مادتها بعض الأغاني التي استتبعت الآلات الموسيقية ، وهكذا أصبحنا نجد أنفسنا أمام قصاص وشعراء ومغنيين وموسيقيين لا يقيمون في قرية بعينها بل يتجولون ويضعون

(١) تكوين ١٩ ي ١ وس ٣٤ ي ٢٠ ومزمور ٦٩ ي ١٣ وأيوب ١٩ ي ٧ .

(٢) القضاة ٥ ي ١١ .

القصاص والمغامرات التي تناسب المجتمع الذي ينزلون فيه^(١).

ومن وسائل التسلية والتكريم أيضا إقامة حفلات الاستقبال
اللا بطل فنجد النساء يخرجن تتقدمهن منشدة وجميعهن يغنين على دقات
الطبول^(٢) كما احتفل القوم بيوم تتويج الملك^(٣) وأحيوا ذكرى
ابنة ديفتلس، المنكودة^(٤) كذلك احتفلوا بكثير من الأعياد القومية
كعيد الزراعة والحصاد وقطف العنب وجز الاغنام^(٥) وكثيرا ما قضى
الأطفال غلمانا وفتيات ساعات طويلة في الرقص واللعب والعزف على
الآلات الوترية^(٦).

كما اجتمع القوم لإحياء ذكرى ولي من الأولياء^(٧). وكثيرا ما اجتمعت
الأسر لإحياء وليمة خاصة^(٨).

ولم تكن الولائم والأعياد قاصرة على المجتمع كمجتمع بل كانت
أحيانا عائلية فالأسرة تحتفل بميلاد طفل أو ختانه أو فطامه^(٩) وأهم مناسبة
للاحتفال كانت ولا شك مناسبة الزواج أو زيارة ضيف عزيز^(١٠).
ومن تكريم الضيف أيضا غير الطعام والشراب القصص والأغاني

(١) خروج ١٣ ي ٨ .

(٢) خروج ١٥ ي ٢٠ والقضاة ١١ ي ٣١ .

(٣) عاموس ٧ ي ٥ .

(٤) القضاة ١١ ي ٤٠ .

(٥) صموئيل الأول ٢٥ ي ٢ — ٣ وصموئيل الثاني ٢٣ ي ٢٣ .

(٦) المزمور ١٤ ي ١٤ والقضاة ٩ ي ٢٧ .

(٧) القضاة ٢١ ي ١٩ .

(٨) صموئيل الأول ٢٠ ي ٦ .

(٩) تكوين ٢١ ي ٨ .

(١٠) تكوين ٤٣ ي ٣٤ صموئيل الأول ١ ي ٥ .

والألغاز وما إليها (١) وكانت العادة أن يغسل المضيف أو خادمه قدمي الضيف وذلك عن طريق صب الماء (٢) كما يدهن شعر رأسه ولحيته وملايسه بالزيت المعطر كانت (٣) كذلك كان القوم يتزينون بالورود والزهور (٤) . وفي العصر اليوناني الروماني ظهرت الراتصة أيضا (٥) وإن كان المجتمع الإسرائيلي يتفق مع المجتمع العربي في كثير من هذه الصفات إلا أن حق الضيف في المجتمع الإسرائيلي لم يكن محترما فبينما نجد العدو في المجتمع العربي قد يلجأ إلى خيمة عدوه فلا يقربه بأذى . إذ بسفر القضاة يروى لنا قصة تبين الغدر والخيانة ولا تشرف المجتمع الإسرائيلي فقد جاءت في الاصحاح الرابع من سفر القضاة آية ١٧ وما بعدها قصة تشير إلى (ياعيل) امرأة حابر القيني وفعلتها الدنيئة مع ضيفها . وأما سيسرا فهرب على رجله إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القيني لأنه كان صلح بين (يابين) ملك حاصور وبيت حابر القيني . فخرجت ياعيل لاستقبال سيسرا وقالت له مل ياسيدي مل إلى . لا تحف . فقال إليها إلى الخيمة وغطته باللحاف . فقال لها اسقني قليل ماء لأنى قد عطشت . ففتحت وطب اللبن وسقته ثم غطته . فقال لها قني بياب الخيمة وإذا جاء أحد وسألك عن رجل قولى له لا . فأخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة وجعلت الميتة في يدها وضربت الوتد في صدغه فنفذ إلى الأرض وهو يغط في نومه متعبا ومات .

ومن عجب أن المجتمع الإسرائيلي لا يستنكر هذا الغدر وتلك الخيانة بل يمتدحها ويعتبر « ياعيل » بطلة من أبطاله .

(١) القضاة ١٤ ي ١٢ وأيوب ٢١ ي ١٢ .

(٢) لوقا ٧ ي ٤٤ .

(٣) عاموس ٦ ي ٦ ولوقا ٧ ي ٣٨ .

(٤) أشعيا ٢٨ ي ١ .

(٥) متى ١٦ ي ٦ .

وجرت العادة أن الفرد يحيي الآخر بعبارة « السلام عليك »^(١) ،
« والله يباركك » ، « والله معك » .

وبعد الرد على التحية يتسامل الاثنان عن حال الأسرة والوضع
العام^(٢) . كما نجد أيضا تحريما للتحية^(٣) وإذا كان اللقاء بعد غيبة طويلة
فنجد العناق والقبلات وقد تسيل الدموع فرحا^(٤) .

هذا فيما يتصل بالتحية أما طريقة استقبال الضيف فتختلف باختلاف
مكائنه من المضيف فنحن نرى سيد البيت يسارع إلى القادم ويستقبله^(٥)
ثم بعد ذلك ينحني أمامه انحناءة تتفق ومنزلة الضيف من المضيف فقد
يقبل الأرض أمامه وتتكرر هذه الانحناءات عدة مرات^(٦) ويقبل
قدميه^(٧) . وإن كان المضيف أقل من الضيف وراكبا يجب عليه أن يترجل
وينحني أمامه ويحييه^(٨) . ومن علامات الاحترام والتحية أيضا تقديم
هدية للزائر عند مقدمه وعند سفره وهذه الهدية تسمى « بركة »^(٩) .

أما استقبال الشيوخ المسنين من جانب الشباب فقد كان عظيما جدا
هكذا تقضى الشرائع والعادات^(١٠) وهذا يذكرنا بمصر القديمة حيث
تقضى التعاليم « لا تجلس والشيخ قائم » .

(١) قضاء ١٩ ي ٢٠ وتكوين ٤٣ ي ٢٩ وقضاة ٦ ي ١٢ .

(٢) المروج ١٨ ي ٧ وصموئيل الثاني ٢٠ ي ٩ .

(٣) الملوك الثاني ٤ ي ٢٩ ولوقا ١٠ ي ٤ .

(٤) تكوين ٢٩ ي ١١ و١٣ وس ٣٣ ي ٤ .

(٥) تكوين ١٨ ي ٢ وس ١٦ ي ١ .

(٦) صموئيل الأول ٢٠ ي ٤١ .

(٧) الملوك الثاني ٤ ي ٢٧ ومثى ٢٨ ي ١٠ .

(٨) تكوين ٢٤ ي ٦٤ وصموئيل الأول ٢٥ ي ٢٣ .

(٩) تكوين ٣٣ ي ١٠ - ١١ وس ٤٣ ي ١١ .

(١٠) لاويون ١٩ ي ٣٢ وأيوب ٢٩ ي ٨ .

هذا ويخاطب الأكبر بلفظ (ادونى = سيدى)^(١) أما النبى والمعلم
فيخاطب بلفظ (أبى)^(٢) .

كذلك جرت العادة فى المجتمع الاسرائيلى أن أحد العامة إذا خاطب
سيدا عبر العامى عن نفسه بالشخص الغائب لا المتكلم فهو الخادم المطيع ،
والسكاب الميت وما إلى ذلك^(٣) .

العلاقات الاجتماعية

إن حياة البدابة لا تعرف فوارق اجتماعية فالثروة لا تغنى جاهها
أو قوة اللهم إلا أنها تمكن الغنى من أن يكون أكثر كرمًا من الآخرين
فشيخ القبيلة لا يعيش أحسن من فقيرها فكل منهما يأكل نفس
الطعام ويلبس نفس اللباس ويقوم بنفس العمل ويمتطى صهوة الجواد .

ونزح الاسرائيليون إلى بلد ذى حضارة رفيعة وثقافة عالية ومفارقات
اجتماعية وسواء نزلوا فاتحين أو مأجورين لأمير من أمراء البلاد
أو متلصصين فالنتيجة واحدة وهى أن الحضارة الكنعانية ظلت هى
المنتصرة واستعمرت العقلية الاسرائيلية استعمارا لم تتحرر منه .

وكان المجتمع الاسرائيلى فى ذلك الوقت عبارة عن عدد قليل من
الأعيان يسيطرون على السواد الأعظم من السكان بينما الكهنة يتولون
شئون دور العبادة والحفاظ على نشر العقيدة والعناية بها ، وإلى جانبه

(١) تكوين ٢٤ ي ١٨ .

(٢) الملوك الثانى ٢ ي ١٢ وس ٦ ي ٢١ .

(٣) تكوين ١٨ ي ٣ وس ٢٣ ي ٥ س ٤٢ ي ١١ .

الأغنياء نجد الفقراء وكان الطابع العام للمجتمع الفقر والتكشف كما تسلطت العادات والتقاليد فوحدت بين الغنى والفقر، الرفيع والوضيع:

لكن هذا الحال تغير وتبدل في عصر سليمان وذلك بسبب رغبته الملحة في مجارة ملوك الشرق فأخذ يهتم بالتجارة كما استدعت أبهة الملك خلق طبقة من الموظفين لم تكن موجودة من قبل وهي تختلف عن الطبقات الأخرى ثقافة فتميزت عن العامة في كل مظهر من مظاهر الحياة فزقت حجاب البساطة والتكشف الذى كان سائدا في المجتمع الاسرائيلي من قبل، وازداد نفوذ هذه الطبقة الجديدة حتى تحدث القانون، كما أخذ سلطان المال يقوى بفضل ازدهار التجارة ووصلت النقود إلى أيديهم لم تكن تعرف الثراء من قبل^(١). وقد نقل الوضع الجديد حكومة سليمان من الفقر والشقاء إلى الثراء والغناء والبذخ مما دفع بعض الأنبياء إلى مهاجمة ذلك الوضع الذى قلب المجتمع الإسرائيلي رأسا على عقب^(٢) ومن أثر هذا الثراء أن الطبقات الدنيا من الشعب أعنى الفلاحين والعمال أخذوا يحاولون الاثراء بمختلف الطرق فكثرت السرقات والغش والربا كما كثرت الطغيان والسلب والنهب والرشوة واختلت الموازين وسادت الفوضى الاجتماعية وأصبح المجتمع الاسرائيلي ينذر بكارثة عارمة، وحاول المشرعون تفاديها فصدرت القوانين تحرم الربا^(٣) كما خففت من وقع الرهن^(٤) وحررت رقيق الدين بعد سبع سنوات^(٥) وقررت اعطاء الأرض التي لا تستغل مدة أقصاها سبع سنوات للفقراء الصالحين فصدور مثل هذه التشريعات

(١) موشم ١٢ ي ٨ - ٩ وأشعيا ٢ ي ٧ ...

(٢) عاموس ٦ ي ٤ ... وأشعيا ٢ ي ١٦ - ٢٥ .

(٣) خروج ٢٢ ي ٢٤ .

(٤) خروج ٢١ ي ٢ ...

(٥) خروج ٢٢ ي ١٢ .

يشير إلى الحال الذى بلغه المجتمع فى ذلك العصر فهنا نرى الفوارق الكبيرة بين الطبقات والمصير المحتوم للكثرة المطلقة من أبناء المجتمع بالرغم من الإصلاحات العقائدية والاجتماعية حتى صدر تشريع يقرر سقوط الدين بعد سبع سنوات (١) لكن هذا التطرف فى التشريع ومحاولة كسب مغنم لطبقة من الشعب على حسب طبقة أخرى لم يأت بالفائدة المرجوة للإصلاح الاجتماعى (٢).

وعاودت الشعب ذكريات الأعوام السالفة أيام الحياة الصحراوية البدوية غير المعقدة وأخذ يلعن الحضارة المزيفة والثراء الفاحش على حساب العدالة والمساواة وتبلورت هذه الفكرة فى جماعة «الركابيين» هذه الجماعة الدينية التى حرمت على أفرادها الإقامة فى المدن وشرب الخمر وقد أسسها (يونا دب بن ركب) واتخذها النبی أرميا (٣) مثلاً أعلى يقتدى به . وقد أصدر زعيم هذه الطائفة أيام حكم الملك (يهو) (٤) دستوراً يحتم على الركابيين الإقامة فى الصحراء وفى خيام وأن تعتمد حياتهم على تربية الماشية فلا يبنون بيوتاً أو يزرعون أرضاً ولا يشربون خمر (٥).

لكن جميع هذه الأوضاع التى تردى فيها المجتمع الإسرائيلى وانتهت إلى سببه أصلحها هذا السبب ذاته وذلك لأن النبی حزقيال استغل هذا التخيير الجذرى الذى أحدثه السبب وأخذ ينظم المجتمع الإسرائيلى تنظيمًا

(١) تثنية ١٥ ي ٢ وس ٢٢ ي ٢٠ .

(٢) أرميا ٣٤ ي ٨ .

(٣) أرميا ٣٥ .

(٤) الملوك الثانى ١٠ ي ١٥ .

(٥) أرميا ٣٥ .

جديدا قائما على توزيع الاراضى بين البطون والعائلات دون الحق فى امتلاكها نهائيا ، وهذا النظام يرجع أيضا أنه طبق على الاقطاعيين وهكذا أصبحت البلاد ملكا للدولة^(١) وقد استثنى هذا التشريع ابن الأمير إذ قرر أن ما يرثه هذا الابن عن أبيه يظل فى حوزته^(٢) .

واعتمد حزقيال فى إصلاحه هذا على أن الأرض وما عليها ملك لله وأن الإسرائيليين ليسوا مواطنين متمتعين بكافة الحقوق القومية بل هم مستأجرون فقط وكانت النتيجة المرجوة لهذا التشريع وقف عمليات البيع والشراء ورد الأرض التى بيعت بسبب أزمة إلى صاحبها ثانية فى سنة التحرير التى تحل كل نصف قرن ، إلا أن هذا القانون لم ينفذ .

والواقع أن فكرة خلق الأنظمة الاشتراكية ظلت بدون تنفيذ بسبب موقف الكهنة الذين جمعوا فى يدهم جميع السلطات السياسية كما أنهم كانوا الاقطاعيين الحقيقيين وقد اشتركوا مع آخرين لم يكونوا أقل ثراء منهم فى توجيه الشعب وتكليف المجتمع الإسرائيلى .

كذلك قام الخلاف بخصوص النظام الاشتراكى بين حزبي الصدوقيين والفريسيين وإلى الحزب الأول انضم كثيرون من رجال الدين كما انضم المثقفون إلى الحزب الثانى . وكان الصدوقيون الاغنياء الوجهاء .

ومع الخلاف الحزبى نجد الخلاف الدينى أيضا يسير معه جنبا إلى جنب فالصدوقيون كانوا يهتمون بالثقافة المملينية فهم من الناحية الدينية

(١) حزقيال ٤٥ ي ١ ... وس ٤٦ ي ١٦ .

(٢) حزقيال س ٤٥ - ٤٦ .

متهاونون بينما الفريسيون كانوا متعصبين فأصبحنا نحمد المجتمع
الإسرائيلي يتسكون من أغنياء زنادقة ظالمين وفقراء متدينين، ويصور إنجيل
لوقا^(١) هذا الوضع بقوله « طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون.
طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون... ولكن ويل لكم أيها
الأغنياء لأنكم قد تلتم جزاءكم ». وظلت الفوارق قائمة ولم تتحقق
الاشتراكية .

المهن والحرف

ومن أخبار العهد القديم تبين إن الإسرائيليين الأقدمين لم يقبلوا على
القنص والذين مارسوه وصفوا بالغلظة والشراسة مثل (نمرود^(٢))
و (عيساو^(٣)) إلا أن ذلك لم يمنع كثيرين من الإسرائيليين من محاكاة
المصريين والآشوريين في غرامهم بالصيد والقنص^(٤) ، فمن بين
أبطال داود الصياد الشهير (بنايا^(٥)) . كما أغرم كثيرون بأكل لحوم
الصيد^(٦) ولم تخل مائدة ملكية منه^(٧) . أما أدواته فعبارة عن القوس^(٨)
والسيف والرمح والمزراق^(٩) . كما استخدم الصياد الفخ والشبكة^(١٠) .

(١) لوقا ٦ ي ٢١ و ٢٤ .

(٢) تكوين ١٠ ي ٨ .

(٣) تكوين ٢٥ ي ٢٧ .

(٤) صموئيل الأول ١٧ ي ٣٤ - ٣٥ وأشعيا ٥ ي ٢٩ والقضاة ١٤ - ١٥ .

(٥) صموئيل الثاني ٢٣ ي ٢٠ .

(٦) تكوين ٢٥ ي ٢٨ والأمثال ١٢ ي ٢٧ ،

(٧) الملوك الأول ٥ ي ٣ .

(٨) تكوين ٢٧ ي ٣ .

(٩) أيوب ٤١ .

(١٠) أشعيا ٥١ ي ٢٠ وحزقيال ١٩ ي ٨ .

أما صيد السمك فقد نستنتج من العبارات الواردة في العهد القديم والتي تشير إلى إعجاب الاسرائيليين بلحمه^(١) وكثيرا ما ذكره الأنبياء^(٢) . وفي العهد الجديد نقرأ خبرا مفاده أن من بين سكان طبريا كان الصيادون^(٣) الذين استخدموا الشباك والشصوص^(٤) . وكان الصيد يتم عادة ليلا^(٥) .

تربية الماشية

حيث المراعى والمياه تربي الماشية وتعاون على هذه التربية حياة البداوة في سوريا وفلسطين حيث تتوفر هذه العوامل وفي الأخيرة توجد الأراضي الصالحة وبخاصة في إقليمى يهوذا والنقب^(٦) كذلك وادى شارون ويزرعثل حيث كمية الرطوبة تعوق الزراعة وتساعد على قيام المراعى لتربية الماشية ، وفي الهضبة الواقعة جنوب شرق الأردن أعنى (مواب) . وإلى جانب الفلاحين يجد أصحاب قطعان الماشية المقيمين والذين يستخدمون كثيرين من الرعاة للعناية بقطعانهم . وكان الملوك انفسهم يعنون بهذه المهنة ويباشرونها^(٧) ولا أدل على أهمية تربية الماشية عند الاسرائيليين من عناية الشريعة والطقوس الدينية بها^(٨) .

أما حياة الرعاة فكانت الحياة المثالية للمجتمع الإسرائيلى كما نقينها من قصص الآباء الأولين وما جاءنا من شعر ، وحتى (يهوه) فقد وصفه

(١) العدد ٢١ ي ٥ .

(٢) عاموس ٤ ي ٢ وأرميا ١٦ ي ١٦ وحزقيال ٢٦ ي ٤ .

(٣) لوقا ٥ ي ١ ...

(٤) عاموس ٤ ي ٢ وأيوب ٤٠ .

(٥) لوقا ٥ ي ٥ ويوحنا ٢١ ي ٣ .

(٦) صموئيل الأول ٢٥ .

(٧) الملوك الأول ٢٢ ي ٢٩ - ٣٥ والملوك الثانى ٢٦ ي ١٠ .

(٨) تثنية ٨ ي ١٣ وأرميا ٣١ ي ٢٧ .

بأنه الراعى الأمين لشعبه ، لكن ليس معنى هذا أن حياة الرعاة كانت حياة ناعمة سهلة بل بالعكس كانت قاسية^(١) فالراعى يجمع ماشيته ويهذى الضالة ويعالج المريضة ، والمتعبة يحملها ويستخرج لها الماء من النبع لسقايتها^(٢) ويحميها من الحيوانات المفترسة^(٣) وإذا ما أقبل المساء تساق الحيوانات إلى حظائر مسورة بحيطان من الحجر^(٤) وإلى جوار الحظيرة مجدل للدفاع عنها^(٥) وعند المبيت يحصى الراعى ماشيته فالضأن يجعلها تمر تحت عصاه ويعدّها^(٦) والراعى مشغول عن كل حيوان وإذا فقد فهو مطالب بدفع التعويض اللهم إلا التي يفترسها الحيوان البرى^(٧) .

وكل ما يحمله الراعى معه لا يتعدى حقيبة من الجلد فيها طعامه^(٨) . وكذلك عصاه^(٩) التى تنتهى بجزء مستدير وهى سلاحه الوحيد كما يحمل معه مقلاعا^(١٠) أما الناي فلا يفارقه أبدا^(١١) وكذلك كلبه^(١٢) وأجر الراعى كان ضئيلا جداً وكان يدفع أحيانا نقدا^(١٣) أو بعض الخراف التى يرعاها كما قد نفهم هذا من قصة يعقوب^(١٤) .

(١) تكوين ٣١ إلى ٤٠ .

(٢) تكوين ٢٤ إلى ١٠ وس ٢٩ إلى ٢ ...

(٣) صموئيل الأول ١٧ إلى ٣٤ ... وأرميا ٤٩ إلى ١٩ .

(٤) عدد ٣٢ إلى ١٦ وصموئيل الأول ٢٤ إلى ٤ .

(٥) تكوين ٣٥ والملوك الثانى ١٧ .

(٦) لاويون ٢٧ إلى ٣٢ وأرميا ٣٣ إلى ١٣ .

(٧) خروج ٢٢ إلى ٩ - ١٢ .

(٨) صموئيل الأول ١٧ إلى ٤٠ .

(٩) ميخا ٧ إلى ١٤ .

(١٠) صموئيل الأول ١٧ إلى ٤٠ .

(١١) قضاة ٥ إلى ١٦ .

(١٢) أيوب ٣٠ إلى ١ .

(١٣) زكريا ١١ إلى ١٣ .

(١٤) تكوين ٣٠ إلى ٢٨ ...

الزراعة

والزراعة عند الاسرائيليين توجيه من الله أيضا^(١) . وقد أخذ الاسرائيليون الزراعة وغرس البساتين وزراعة أشجار الفاكهة المختلفة . عن الكنعانيين^(٢) وكان الاسرائيلي يستخدم القدان لحث الأرض^(٣) . ثم بعد ذلك يمهدها^(٤) وكان يزرع أحيانا أكثر من صنف^(٥) .

أما الحصاد فكان يتم بالمنجل ثم يحمل عادة إلى تل مرتفع . ويدرس بالنورج^(٦) (مورج) وكان عبارة عن قطعة من الخشب مثبتة على أحجار مديبة يجرها الثيران ، وأحيانا كان يؤتى بالثيران أو الخيول وتترك على الحصاد فتهرسه وتدرسه . وهناك نوع آخر من وسائل الدرامس وهو العربة وتسمى العجلة^(٧) . أما إذا كانت الكمية صغيرة فيسكتفي لدرسها بدقها بالعصا^(٨) ثم تذرى الحبوب بالمدري^(٩) وتحفظ بعد ذلك في حفر تعرف باسم (مطمونيم) وكانت تحفر عادة في الحقل^(١٠) . أما الـ (زين) فيقدم طعاما للماشية إلى جانب الشعير .

(١) أشعيا ٢٨ ي ٢٦ ...

(٢) تثية ٦ ي ١١ .

(٣) أشعيا ٢٨ ي ٢٤ .

(٤) أشعيا ٤٨ ي ٢٤ وأيوب ٣٩ ي ١٠ .

(٥) تثية ٢٢ ي ٩ ولأوبون ١٩ ي ١٩ .

(٦) أشعيا ٢٨ ي ٢٧ وس ٤١ ي ١٠ .

(٧) هاموس ١ ي ٣ .

(٨) قضاة ٦ ي ١١ وروث ٢ ي ١٧ .

(٩) أشعيا ٣٠ ي ٢٤ وأرميا ١٥ ي ٧ .

(١٠) أرميا ٤١ ي ٨ .

الحدائق

حيث الكروم والتين والزيتون فالثقافة رفيعة والحضارة عالية وذلك لأن الأسرة التي تملك حديقة أو أرضا غنية بها تعمّر طويلا في سعادة ويسر بالرغم من المتاعب والمجهودات التي تتطلبها زراعتها^(١).

ومن الجدير بالملاحظة أن الكروم والتين والزيتون من الثمار التي اشتهرت بها فلسطين منذ القدم^(٢). كما أن الجلوس في ظلها باعث على الهدوء والسلام^(٣).

والكروم مثلها مثل الزيتون قد غرسها الكنعانيون منذ عصور بعيدة جدا قبل تسلسل الاسرائيليين إليها وحقول الكرم تحرث وتقلب مرتين أو ثلاث سنويا كذلك تعزق بالفأس^(٤) وتقليم الأشجار بعناية^(٥) وعناقيد العنب إما أرضية^(٦) وإما تنمو على أعمدة وأشجار^(٧) وقد نستنتج من تشبيهه الدم بالنبيذ الفلسطيني أن هذا النبيذ كان مستخرجاً من عصير عنب أسود أعنى من العنب المعروف في العربية باسم «وين»، وهي نفس الكلمة التي انتقلت إلى اللغات الأوربية^(٨) وفي العبرية (ين). أما تحضير النبيذ فكان يتم كما نشير الآثار التي وصلتنا عن طريق جمع العنب في حوضين عميقين نحتا في الصخر ويبلغ

(١) أشعيا ٥ ي ١ - ٥ .

(٢) القضاة ٩٧... وهو شم ٢ ي ١٠ و ١٤ .

(٣) الملوك الأول ٥ ي ٥ .

(٤) أشعيا ٥ ي ٦ .

(٥) أشعيا ٢ ي ٤ ... وميخا ٤ ي ٣ .

(٦) أشعيا ١٦ ي ٨ وحزقيال ١٧ ي ٦ .

(٧) أشعيا ٧ ي ٢٣ ومزمور ٨٠ ي ١١ .

(٨) Vin, Wein, Wine, ...

طول قطر الحفرة نحو أربعة أمتار وفي قاع إحدى الحفرتين فتحة يسيل منها العصير إلى الحفرة الأخرى وقد توجد حفرة ثالثة يجرى إليها العصير من الثانية أكثر نقاء وصفاء . أما العنب فيعصر عن طريق استخدام القدمين^(١) أو الأحجار . ثم بعد ذلك يختمر العصير ويجمع في قوارير^(٢) أو في قرب^(٣) ويترك زمنا حتى يتم تخميره ثم تعاد تعبئته^(٤) وعن طريق هذه العملية يصير النبيذ مقبولا^(٥) .

أما الزيتون فكان الاسرائيليون يستخرجون منه الزيت عن طريق جمع الثمار قبل أن يتم نضجها^(٦) .

أما الزيت الممتاز فهو الذى يستخرج بدون عصر الزيتون عصرانها تيا أعنى ونضوضا^(٧) وقد يطلقون عليه أيضا زيتا رطبيا^(٨) وعملية عصر الزيتون تتم غالبا في حديقته^(٩) .

أما معصرة الزيت فلم يرد ذكرها إلا في التلمود ولو أنها قديمة جدا . وكان يصدر الزيت إلى كثير من البلاد المجاورة^(١٠) وبخاصة إلى مصر .

التين من الفواكه الكثرية الانتشار في البلاد الواقعة على الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط .

(١) أشعيا ٦٣ .

(٢) أرميا ١٣ ي ١٢ .

(٣) يشوع ٩ ي ٤ و ١٣ وأيوب ٣٢ ي ١٩ ومتى ٩ ي ١٢ .

(٤) أرميا ٤٨ ي ١١ وصفنيا ١ ي ١٢ وأشعيا ٢٥ ي ٦ .

(٥) لوقا ٥ ي ٣٩ :

(٦) أشعيا ١٧ ي ٦ وص ٢٤ ي ١٣ وثئنية ٢٤ ي ٢٠ .

(٧) خروج ٢٧ ي ٢٠ وص ٢٩ ي ٤٠ والملوك الأول ٥ ي ٢٥ .

(٨) مزمو ٩٢ ي ١٠ .

(٩) ميخا ٦ ي ١٥ وأيوب ٢٤ ي ١١ .

(١٠) حزقيال ٢٧ ي ١٧ وهوشع ١٢ ي ١ .

الحرف

غزل الكتان والصوف في فلسطين كان من عمل المرأة^(١) أما الرجل فكان يحول جلد الماعز أو الغنم إلى قرب أو إلى جلد مدبوغ لصناعة الخف. وما إليه من مناطق وغيرها. ومنذ القدم نجد الحداد وصانع الفخار. ولما نشبت الحروب الفلسطينية الاسرائيلية تجمدت الصناعات اليدوية لذلك لم يجد سليمان بدا من الاستعانة بالصناع الفينيقيين وعندهم أخذ الاسرائيليون كثيرا من الحرف. وتدرجيا بعد اتصالهم بالكنعانيين أخذوا يتعلمون مختلف الحرف مثل البناء وصياغة الحلي إذ كان الصائغ ينتقل إلى البيت ويصنع ما يطلبه أصحابه. ثم ظهرت حرف أخرى، وبخاصة بعد العودة من السبي، جاء بها الاسرائيليون من بابل^(٢). وكانت الحرف بعد السبي محترمة عند الاسرائيليين حتى أننا نجد من بين علماء التلمود كثيرين ممن يحترفون حرفا عديدة كصناعة الأحذية وحياكة الملابس ونجد أيضا الخبازين وصانعي السجاجيد والبنائين وهلم جرا لكن هناك بعض المهن التي تتطلب العمل في القاذورات مثل الدباغة وهذه الحرفة كانت موضع احتقار القوم فلا يبلغ صاحبها مكانة رفيعة بين رجال الدين.

أما عمال المعادن أو كما يطلق عليهم في العبرية (حرش) وهو لفظ يفيد في الواقع (نقاش حفار. صاحب صنعة) فقد اشتهروا منذ القدم في الشرق عامة، وبخاصة لتوفر بعض أنواع المعادن في الشرق العربي. ففي دمشق نجد النحاس^(٣) وفي لبنان وجدت مناجم نحاس وحديد^(٤).

(١) صموئيل الأول ٢ ي ١٩ .

(٢) أخبار الأيام الأول ٤ .

(٣) صموئيل الثاني ٨ ي ٨ .

(٤) تثنية ٨ ي ٩ و زكريا ٦ ي ١ .

وقد استفاد منها سليمان كثيرا^(١) ولشهرة لبنان به أطلقت عليه رسائل تل العمارنة اسم د نحاشى = نحاس ، وهي تسمية تنصرف إلى الجزء الشرقى منه . وتوفر هذا المعدن في هذه البلاد جعل استخدامه في فلسطين شائعا كما تثبت لنا ذلك الآثار التي عثر عليها هناك حيث نجد الحراب والمدى والمسامير والحلى وما إليها .

وما يُقال عن النحاس والبرنز يقال أيضا عن الحديد حيث تشير بعض أسفار (العهد القديم)^(٢) إلى المركبات الحربية الكنعانية المطوقة بالحديد . أما البرنز فقد كان أكثر انتشارا في فلسطين أيام العصر المملوكي حيث كانت تصنع منه الأسلحة^(٣) .

ومن العجيب حقا أن يرد ذكر الحديد كثيرا في صناعة الآلات أيام عصر داود^(٤) كما استخدم في صناعة الأبواب . وذكرت في أيوب^(٥) الدروع الحديدية ، والسلاسل^(٦) والفئوس^(٧) والمسامير والمقابض^(٨) . أما الحديد الخام فكان يستورد من لبنان^(٩) . وكان الاسرائيليون على علم بأفران صهره^(١٠) .

ومن الحرف الأخرى التي انتشرت في المجتمع الاسرائيلي حرفة

(١) الملوك الأول ٢ ي ٢٨ وس ٩ ي ١٠ .

(٢) قضاة ١ ي ١٩ وس ٤ ي ٣ ويشوع ١٦ ي ١٨ .

(٣) صموئيل الأول ١٢ ي ٥ ... وصموئيل الثاني ٢٢ ي ٣٥ .

(٤) صموئيل الثاني ١٢ ي ٣١ وعاموس ١ ي ٣ وأشعيا ٤٥ ي ٢ .

(٥) إرميا ٢٠ ي ٢٤ .

(٦) مزمور ١٤٩ .

(٧) الملوك الثاني ٦ ي ٥ وتثنية ١٩ ي ٥ .

(٨) أرميا ١٧ ي ١ وأيوب ١٩ ي ٢٤ .

(٩) أرميا ١٥ ي ١٢ .

(١٠) تثنية ٤ ي ١٠ وأرميا ١١ ي ٤ والملوك الأول ٨ ي ٥١ .

(م — ٩ لاسرائيل عبر التاريخ)

الصياغة أعنى صياغة الحلى من الذهب وتطلق العبرية على الصائغ لفظ «صوريّف» وهى تقابل لفظ (صراف) فى العربية وكان الصائغ عادة يذيب الذهب والفضة ليجمع المعدن أكثر طواعية لصياغته وذلك بإضافة البورق إليه^(١).

وكان القوم يصنعون من الذهب الخواتم والأساور والحجول . كما كان الصائغ خبيراً أيضاً باللحام^(٢) واستخدم الاسرائيلى خيوط الذهب فى الأقمشة^(٣) وقد استوردها فى عصر سليمان من أوفير وحويله^(٤) وبواسطة السبائيين^(٥).

أما صناعة الفخار فقد تطورت تطوراً بعيداً بتأثير الأجانب وذلك لأن الاسرائيليين لم يكن لهم بها عهد ولم يرد ذكرها إلا مرة واحدة فى العهد القديم^(٦) وإن استخدم الأنبياء صناعة الفخار مثلاً يضرّبونه^(٧) وكان الاسرائيليون يصنعون من الطين الأباريق ويلونونها بأوكسيد الرصاص (كسف سيجيم)^(٨) وغير الأباريق عثر رجال الآثار على لعب وأطباق ومصاييح وشخصات تمثل الحيوانات وبعض تماثيل الآلهة .

التحانور :

أو كما يعرفون فى العبرية باسم (حوصبي ابن) هم الذين

(١) أشعيا ١ ي ٢٥ .

(٢) أشعيا ٤١ ي ٧ .

(٣) خروج ٢٨ ي ٦ .

(٤) تسكوى ٢ ي ١١ - ١٢ .

(٥) حزقيال ٢٧ ي ٢٢ :

(٦) صمويل الثانى ١٧ ي ٢٨ .

(٧) أرميا ١٨ ي ٦ وأشعيا ٢٩ ي ١٦ .

(٨) أمثال ٢٦ ي ٢٣

كانوا يقومون ببناء المساكن فيقطعون الأحجار وينحتونها ثم يبنونها (١) وهم يستخدمون في البناء ميزان الماء (٢) والخيط (٣) والزيج (٤) (الثقل الذي يتدلى بحبل على ارتفاع الحائط) أما بيوت الفقراء فكانت تشيد من طوب أو أحجار غير منحوتة .

النجار : ويسمى في العبرية (حرش، عص) كان يصنع الموائد والكراسي وغيرها من الأدوات المنزلية أو الزراعية وغيرها وهناك نجارون آخرون يجيدون الصناعات الدقيقة (٥) وكان النجار يستخدم المنشار (٦) وكذلك الباطة (٧) والفأس (٨) والفارة والأزميل والمطرقة (٩) وكذلك الفرجار (١٠) .

النسيج : بالعبرية (ارج) كانت هذه المهنة قاصرة على صناعة الأقمشة الشعبية أما الأقمشة الرفيعة فكانت تستورد من الخارج من مصر (١١) وبابل (١٢) وسوريا (١٣) ثم بعد ذلك نجد هذه الصناعة تتطور إلى صناعات أخرى فنجد غزل الكتان والصوف من عمل النساء بينما انتقل النول المصري ، كما تحدثنا المشنا ، إلى فلسطين . ومع توالي الزمن أخذ الاسرائليون ينسجون الأقمشة الملونة وقد يستخدمون خيوطا

(١) الملوك الثاني ١٢ ي ١٣ .

(٢) الملوك الثاني ٢١ ي ١٣ وأشعيا ٢٨ ي ١٧ .

(٣) أشعيا ٢٨ ي ١٧ .

(٤) هاموس ٧ ي ٧ .

(٥) أشعيا ٤٠ ي ٢٠ وأرميا ١٠ ي ٣ وثنية ٢٩ ي ١٦ .

(٦) أشعيا ١٠ ي ١٥ .

(٧) ٤٤ ي ١٢ والقضاة ٩ ي ٤٨ .

(٨) ثنية ١٩ ي ٥ .

(٩) أشعيا ٤٤ ي ١٢ - ١٣ والملوك الأول ٦ ي ٧ .

(١٠) أشعيا ٤٤ ي ١٣ - ١٤ .

(١١) حزقيال ٢٧ ي ٧ .

(١٢) يشوع ٧ ي ١٢ .

(١٣) حزقيال ٢٧ ي ١٦ وصفنيا ١ ي ٨ .

ذهبية في الأقمشة الفاخرة (١) وحرمت الشريعة الاسرائيلية خلط الكتان بالصوف (٢) وبعد عصر السبي وأبان حياة المسيح نجد الثياب المجردة من الخيط والتي عرفها الاسرائيليون من قبل وهي تشبه الآن كثيرا ما يعرف عند فلاحى مصر بالقميص أو القصارية إذ أن الثوب ينتهى عند الرقبة بفتحة يرتديه منها صاحبه (٣) ثم أخذت هذه المهنة تنحط حتى رعى أصحابها بالمبازل والانمطاط الخلقى (يوسفوس التاريخ القديم لليهود الكتاب الثالث الفصل السابع) .

الغسالون : أو كما يعرفون بالعبرية (كواسيم) (٤) وكانوا يقومون بغسل المنسوجات الصوفية لجعلها غير قابلة لرشح الماء . ولما كانت هذه وما تسبقه من روائح كريهة بغیضة إلى السكان اضطر الغسالون إلى غسلها خارج المدن (٥) فكانوا يضعون الأقمشة في حفر مملوءة بالماء ويضيفون إليه بعض الكيماويات النباتية لتساعد على إذابة المادة الدهنية العالقة بالنسيج (٦) وبعد الغسل يستخرج القماش ويدق بالعصى ويعاد غسله فى ماء نقي لذلك من السهل فهم سبب احتقار هذه المهنة .

كذلك من المهن المحترقة حرفة الدباغين وهى حرفة لم يرد لها ذكر فى العهد القديم وكانوا يدبغون الجلود لصناعة جميع اللوازم التى يحتاج إليها الإنسان وكانت المدايغ عادة تقام خارج المدن (٧) .

(١) خروج ٢٨ ى ٥ وس ٣٩ ى ٢ .

(٢) تثنية ٢٢ ى ١١ ولاويون ١٩ ى ١٩ .

(٣) انجيل يوحنا ١٩ ى ٢٣ .

(٤) الملوك الثانى ١٨ ى ١٧ .

(٥) أشعيا ٧ ى ٣ وس ٣٦ ى ٢ .

(٦) أرميا ٢ ى ٢٢ وأيوب ٩ ى ٢٠ .

(٧) أعمال الرسل ١٠ ى ٦ .

الصباغون . لم يرد ذكرهم في العهد القديم بالرغم من شغف الكنعانيين
والاسرائيليين بالاقمشة الملونة .

الخبازون : وفي العبرية (افيم)^(١) وقد اشتهرت اورشليم قديما
بمحارة الخبازين^(٢) .

العطارون : وفي العبرية يطلق على العطار (رقع)^(٣) وكانوا يقومون
بتركيب مختلف العطور .

أما الحبرون فهو في العبرية (جلاب)^(٤) .

التجارة

فلسطين كما تبيننا مما سبق تقع في مفترق الطرق التجارية سواء تلك
القادمة من بلاد العرب السعيدة أو الممتدة بين مصر وبابل وآسيا الصغرى
وكانت هذه القوافل تنقل غالبا الفضة من آسيا إلى مصر ، والذهب من
بلاد النوبة وبونت ، والخشب من لبنان ، والبخور والبحار من جنوب
بلاد العرب . وشريعة حمورابي تبين لنا في وضوح المكانة العالية التي
بلغتها التجارة وقتذاك حتى نشأ ما نسميه وبحق القانون التجاري .

وظلت هذه التجارة تنقل في طرقها القديمة واستفادت منها كنعان
ثم جاء الاسرائيليون فانصرفوا أولا إلى هضم الثقافة الكنعانية
وكانت كل أسرة اسراييلية تقنع بصنع حاجياتها دون المساهمة

(١) موشع ٧ ي ٤ .

(٢) أرميا ٣٧ ي ٢١ .

(٣) صموئيل الأول ٨ ي ١٣ وخروج ٣٠ ي ٣٥ .

(٤) حزقيال ٥ ي ١ .

في التجارة داخليا أو خارجيا . ولم تكن في حيازة الاسرائيليين بضائع
للاتجار إلا الملح المستخرج من البحر الميت والحلي والطلاسم وحتى هذه
الموارد لم يستغلها الاسرائيليون تجاريا كما استغلها الكنعانيون .

لكن هذا الوضع تغير مع الزمن وتطلبت المسكاة الثقافية والحضرية
التي بلغت اسرائيل المزيد من المواد الاستهلاكية فصور كانت تمتد
الاسرائيليين بأصحاب المهن والحرف مثل النجارين والنحاتين والحدادين
لإنجاز مباني سليمان^(١) وأقبل الاسرائيليون على شراء المنسوجات
الفينيقية واشترى الفينيقيون من الاسرائيليين الزيت والحبوب والعسل
والبلسم وغيرها^(٢) واهتم الاسرائيليون أيضا بتجارة الرقيق اهتماما
عظيما^(٣) .

أما سليمان فقد سلك اقليم (عربه) إلى البحر متحالفا مع (حيرام)
ملك صور الذي امدّه برجال أسطوله التجاري وتوجهت سفن سليمان
إلى أقصى بلاد العرب الجنوبية للاتجار معها بعد أن بنى سفنا كبيرة
في (عصيون جابر) الواقعة بالقرب من أيلة ، ومن أوفير عادت سفنه
بالذهب والفضة والسن والقرودة^(٤) .

أما زيارة ملكة سبأ لسليمان برا فتذكرنا بطرق القوافل القديمة
التي كانت ممتدة من جنوب بلاد العرب إلى سيناء وفلسطين ، ومن ثم تتجه
إلى ما يعرف اليوم باسم بلاد الهلال الخصيب^(٥) .

وفيما يتعلق بالاتجار مع مصر فقد كان هذا على سليمان حتما مقضيا

(١) صموئيل الثاني ٥ ي ١١ - ١٢ والملوك الأول ٥ ي ١٥ .

(٢) حزقيال ٢٧ ي ١٦ والملوك ٥ ي ٢٥ .

(٣) هاموس ١ ي ٩ وثنية ٣٣ ي ١٨ .

(٤) الملوك الأول ٩ ي ٢٦ - ٢٨ وس ١٠ ي ٢٢ .

(٥) للملك الأول ١٠ ي ١ - ١٣ :

بحكم تبعيته لمصر . كما حددت الاتفاقيات التجارية زيادة التبادل التجارى بين البلدين^(١) . ومن مصر استورد سليمان الأقمشة القطنية البيضاء^(٢) . واستورد عن طريق الأراميين الخيول من سوريا . فجميع هذه التجارة كانت ملكية ولم تكن تجارة خاصة يقوم بها الأفراد وذلك لأن حكومة سليمان احتسرت لنفسها الاتجار مع الخارج تصديرا واستيرادا . أما القوافل التجارية الخاصة أو الأجنبية فكانت تدفع إتاوة لخزائن سليمان^(٣) . لكن هذه التجارة الخارجية لم تعمر طويلا وخرجت من يد اقليم يهوذا وانتقلت إلى المملكة الشمالية وسقطت جبال سدير واقليم (عصبون جابر) و (عربه) في يد الأدوميين كما انتقلت إليهم تجارة البحر الأحمر^(٤) وظلت في يد الأدوميين حتى تمكن (أماسيا) من استردادها ثانية^(٥) وجاء خلفه عزاريا وأعاد بناء ميناء ايلات على البحر الأحمر إلا أنه لم تصلنا أخبار تفيد أن تجارة البحر الأحمر عادت ثانية إلى الاسرائيليين وذلك لأن أدوم خرجت من يدهم إلى سوريا ولم يمض زمن طويل حتى وقعت اسرائيل في منطقة نفوذ دمشق حيث قامت دولة أرامية . وفي دمشق نجد الاسرائيليين ينشئون حيا خاصا بهم وبتجارتهم كما أقام السوريون حيا تجاريا لهم في سميريا^(٦) .

وورث الاشوريون الأراميين وأصبحوا سادة تلك الأقاليم فازداد اقتناء الاسرائيليين لأدوات الزينة والترف بحكم التطور فى الحياة الاجتماعية

(١) تكوين ٣٧ ي ٢٥ و ٢٨ و ص ٤٣ ي ١١ .

(٢) حزقيال ٢٧ ي ٧ .

(٣) الملوك الأول ١٠ ي ١٥ .

(٤) الملوك الأول ٢٢ ي ٤٨ .

(٥) الملوك الثانى ١٤ ي ٧ .

(٦) الملوك الثانى ٢٠ ي ٣٤ .

التي أخذت تجارى النمو الاقتصادى مما أثار حفيظة الأنبياء فأخذوا يهاجمون المجتمع الاسرائيلى لكثرة ما أصابه من انحلال خلقى بسبب الثراء الناجم عن ازدهار التجارة^(١).

أن المجتمع الاسرائيلى بالرغم مما أصابه من تطور فى حياته العامة والخاصة ظل تجاريا دون الفينيقيين فاحتفظ بالزراعة ومارس التجارة فى حدود سد حاجاته الخاصة فقط لفقره فى الصناعات اذلك كانت التجارة العامة فى يد الفينيقيين وكانت اسرائيل السوق فقط^(٢).

كما أن لفظ كنعانى كان حتى بعد العصر المملكى كناية عن التاجر^(٣) لذلك خلت التثنية من العناية بالتجارة وتنظيمها بخلاف الحال فى شريعة حمورابى .

وظل المجتمع الاسرائيلى فى هذا الوضع حتى جاء السبى فانتزعه من الزراعة إلى التجارة بفضل انتقال الاسرائيليين إلى مملكة بابل حيث كانت الحياة التجارية قد استسكنت كل مقوماتها فهناك البيوت المالية والمقاصة والحوالات والأوراق المالية والسندات وكانت حياة هذه المصارف لا تقل اتقانا عن حياة المصارف فى عصرنا هذا ولم يبق أمام الاسرائيليين المتسبيين إلا دخول السوق والاتجار فمن الوثائق التى جاءتنا والخاصة بالبيت التجارى الشهير (موراشو) وأولاده الذى تأسس حوالى عام ٤٦٤ ق . م . نعلم أن عددا كبيرا من عملائه كانوا اسرائيليين . وفى سفر طوبيت نقرأ أن طوبيت نفسه كان من كبار التجار . ولما ظهرت

(١) أشعيا ٢ وهوشع ١٢ ي ٨ وهاموس ٨ ي ٥ :

(٢) الملوك الأول ٢٠ ي ٣٤ والتكوين ٣٧ ي ٢٥ ...

(٣) هوشع ١٢ ي ٨ وصفنيا ١ ي ١١ وأشعيا ٢٢ ي ٨ :

فارس على مسرح الشرق الأدنى وآلت فلسطين إليها ظلت التجارة بعد العودة من السبي مدة طويلة بعيدة عن اليهود وبقيت محتكرة في يد الفينيقيين والأدوميين والعرب^(١) وكان هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الفقر المحيط باليهود وقد ظل حالهم كذلك حتى العصر اليوناني إذ بدأ اليهود يدخلون السوق العالمي فنجدهم في أنطاكية والاسكندرية يباشرون تجارة واسعة . ولم يلبث اليهودي إلا أن أخذ يتجول فانتقل إلى آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا وهكذا أخذ يتبع القوافل التجارية أنى اتجهت وفي فلسطين ذاتها نجد شمعون المكابي يعنى بالتجارة^(٢) كما شيد هيرودوس الأكبر ميناء كبيرا في قيصرية^(٣) .

أما وسائل النقل في المجتمع الاسرائيلي فكانت الجمير والبغال والجمال .
أما الخيل فكانت للحرب فقط .

(١) تارن تلميا ١٠ ي ٣٢ وس ١٣ ي ١٦ - ٢٢ .

(٢) للمكابيون الأول ١٤ ي ٥ .

(٣) يوسيفوس : الحروب اليهودية الكتاب الأول الفصل ٢١ :

العلوم والمعارف

الكون

العلم والدين في الشرق القديم شيء واحد فالدين لاهوت وناسوت أعنى يهتم بالعالمين السماء والأرض . الدين يعنى إلى جانب السماء وما يجرى فيها الأرض وما يعتورها أو يجرى عليها . فشكل حركة في الاجرام السماوية لها دلالتها في الأحداث الأرضية والكواكب ليست إلهة إلا أنها مظهر من مظاهر الإلهة التي تتجلى لنا أيضا في الكون إلا أن خير مظهر لها هي الأحداث السماوية وذلك لأن جميع أنواع المعارف مصدرها الله لذلك جاء في الأمثال « رأس الحكمة مخافة الله » وكل ما أوتى الإنسان من معرفة فمن الله حتى حكمة سليمان (١) .

ويعتقد الاسرائيليون أن الله تجلى في فجر الإنسانية كثيرا جدا لذلك ظهر عدد كبير جدا من الحكماء (٢) ومخترعى العلوم والفنون (٣) وظهرت الزراعة (٤) والمدن (٥) والمهن والحرف (٦) فجميع هذه الأشياء أوجدها الحكماء السبعة الذين ظهوروا في فجر الإنسانية والذين أوحى إليهم بها ، وحتى الملابس فإن الله هو أول من صنعها للإنسان (٧) .

(١) الملوك الأول ٣ ي ١٢ و ص ٥ ي ٩ - ١٤ .

(٢) الملوك الأول ٥ ي ١١ .

(٣) تكوين ٤ ي ١٧ - ٢٣ .

(٤) أشعيا ٢٨ ي ٢٣ - ٢٩ .

(٥) تكوين ٤ ي ١٧ .

(٦) تكوين ٤ ي ٢١ - ٢٢ .

(٧) تكوين ٣ ي ٢١ .

والارض تشبه السماء تماما والصورة التى كونها الاسرائيلي الاول لنفسه هى بعينها الصورة البابلية حيث ينقسم السكون إلى السماء والارض والمياه وتنقسم المياه إلى منطقة القطب الشمالى السماوى حيث عرش الاله الوالد (انو) ثم سماء فلك كل من القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل .

ثم منطقة السماء الجنوبية حيث يوجد المحيط السماوى الأعظم (ابو) وهو مملكة اله البحار (أيا) وهو اله الحكمة والمعرفة .

وإذا تركنا العالم السماوى ونزلنا إلى العالم الأرضى وجدنا : الجو والارض اليابسة ثم المحيط الأرضى الذى يحيط بالكرة الأرضية .

فإذا تركنا هذه الصورة البابلية وانتقلنا إلى الاسرائيليين وجدنا نفس الصورة فى السفر الاول من التوراة أعنى التسكوين نقرأ فى الاصحاح الاول التفرقة بين السماء والارض فمقابل السماء نجد الأرض وكما نجد ماء فى السماء كذلك الحال على الأرض (١) وخاق الله الجلد = السماء والاجرام السماوية (٢) أعنى الأفلاك المختلفة إلا أن القاص الاسرائيلي لا يعرف تماما الفرق بين السماء العليا وما تحتها . ويعتقد حزقيال أن عرش الله فوق السماء (٣) .

كما أن السماء العليا هى مقر الله (٤) . وعند حديث التوراة عن الطوفان يرد ذكر الماء العلوى الذى يتدفق من نوافذ السماء (٥)

(١) تسكوين ١ ي ٦ — ١٠ .

(٢) تسكوين ١ ي ٧ — ٨ و ١٤ — ١٨ .

(٣) حزقيال ١ ي ٢٢ و ٢٦ و ١٠ ي ١ .

(٤) الملوك الأول ٨ ي ٢٧ قارن التثنية ١٠ ي ١٤ .

(٥) تسكوين ٧ ي ١١ و ٨ ي ٢ .

وتعبر التوراة عن ماء السماء بلفظ « شحقيم » أى « الغمر » وعن ماء الأرض المتجمع فى المحيطات بكلمة (تهوم) أى لجة^(١) وتأثر الاسرائيلي بالبابل أيضا فى تقسيمه للأرض إلى الجهات الأربع شمال غرب جنوب شرق فهذا التقسيم مأخوذ عن التقسيم البابلي أعنى حسب جريان الشمس وعبورها لخط الاستواء السماوى سواء فى الاعتدالين أو الانقلابين أعنى شرق غرب شمال جنوب . ومنذ سيادة الإله مردوك فى بابل أصبح الشرق هو طلوع الشمس . وكما أن البابليين الاشوريين طمعوا فى توحيد العالم تحت سلطة ملك واحد اسوة بسيطرة كبير الآلهة على الكون حاول كثيرون تقليدهم فى هذا الرأى فجاء الاسكندر الأكبر واراد جمع شمل العالم تحت سيادته وكذلك أخذ الاسرائيليون هذه الفكرة وهم ينتظرون المسيح من بيت داود ليوحد العالم ويحكمه من عاصمته اورشليم . ولم يكتف الاسرائيليون بهذا الاقتباس عن البابليين بل قسموا لأنفسهم إلى اثنى عشر سبطا حسب البروج الاثنى عشر .

التقويم

يعتمد الاسرائيليون على الأفلاك لتحديد الزمن وتقسيمه^(٢) وهكذا الأمر عند العرب أيضا كما جاء فى القرآن الكريم « يستلونك عن الآلهة قل هى مواقيت للناس والحج . . . »^(٣) .

وهذا أمر طبيعى فالدورة الصغرى للشمس تبين لنا الليل والنهار والكبرى العام ، وهكذا كان المصريون والبابليون ، فالدورة الكبرى تتم

(١) أيوب ٣٧ ي ١٨ ومزور ٦٨ ي ٣٥ .

(٢) تكوين ١ ي ١٤ .

(٣) البقرة ي ١٨٩ .

فى ثلاثائة وخمس وستين يوما وربع اليوم وهى أيام السنة . ولما كانت الشمس فى دورتها تمر فى اثنى عشر برجاً فقد قسم العام إلى اثنى عشر قسماً (شهراً) وعدة كل شهر ثلاثون يوما ومن ثم قسم أيضا إلى اثنى عشر قسماً كل قسم يقابل ساعتين فالיום أربع وعشرون ساعة . وتقسم اليوم إلى نهار وليل استتبع تقسيم العام إلى صيف وشتاء (١) .

وقدس الناس من اسرائيليين وغيرهم هذه الافلاك وتلك الانجرام السماوية وجعلوا لكل يوم وهكذا أصبح لدينا الاسبوع سبعة أيام وكل يوم فى كثير من لغات العالم وعند معظم سكان المعمورة يحمل اسم كوكب من هذه الكواكب السبعة حسب الاسماء التى أطلقوها عليها فنحن نجد القمر = Moon الانجليزى والامانية Mond وإليه ينسب يوم الاثنين فيقال فى الانجليزية Monday والامانية Montag والمريخ Mars يقابله فى الفرنسية Mardi أعنى الثلاثاء . وعطارد يطلقون عليه Mereur فى الفرنسية Mercredi أى الأربعاء وكوكب المشترى يسمى Jupiter وفى الفرنسية Jeudi والزهرة Venus فى الفرنسية Vendredi الجمعة . وزحل هو Saturn السبت فى الانجليزية Saturday ثم الشمس . حيث تسمى Sun فى الانجليزية Sonne فى الالمانية أى Sunday فى الانجليزية و Sonntag فى الالمانية أى الأحد .

فالتقويم قديما وحديثا يعين أول العام حسب الفلك الشمسى أعنى . إما حسب الاعتدالين أو الانقلابين ونحن نجد العام البابلى يبدأ بالاعتدال . الربيعى أعنى (مارس) وفى مصر صيفا (يونيه) والجزيرة العربية بما فيها .

فلسطين خريفا أعنى (سبتمبر) وينفرد التقويم الرومانى بالشتاء أعنى
(ديسمبر - يناير) .

ولما انتقل الاسرائيليون إلى كنعان أخذوا التقويم الذى كان
سائدا هناك أعنى تقويما خريفا والعام ٣٦٥ يوما وعيد الخريف هو عيد
قطف العنب وهو يأتى فى رأس السنة أعنى فى أول الخريف (سبتمبر) (١)
ومن ثم نجد الاسرائيليين يهجرون هذا إلى التقويم الربيعى ولعل السر
فى هذا التحول يرجع إلى الأحداث السياسية واستبدال تبعية دولة
بأخرى . ولما وقع اليهود فى السبي وانتهت دولتهم ذهب معها أيضا
تقويمهم وأخذوا التقويم البابلى وهو تقويم ربيعى ولما خضع الاسرائيليون
للسيادة السلجوقية أخذوا تقويمهم حيث يبدأ العام فى ربيع عام ٣١١
وهو تقويم اقتبسه السلاجقة عن السككديانيين وذلك لأن العام السلجوقى
كان عادة خريفا . ثم فى عهد المكابى شمعون قامت دولة يهودية مستقلة
اتخذت لها تقويما خاصا (٢) .

وقد ظل هذا التقويم مستعملا مدة قصيرة جدا إذ انتهى بموت
شمعون عام ١٢٦ ق م . وعادت ديانة يهوه إلى قوتها ثانية وفرضت العام
الخريفي مرة أخرى ادعاء بأنه التقويم الموسوى (٣) فنجد عيد رأس السنة
الاسرائيلي يقع فى أول الشهر السابع (٤) . وتذكر المشنا أن السنة الجديدة
الشعبية أو كما تطلق عليها سنة الملوك تقع فى أول نيسان (ابريل) بينما
حسب تعداد السنوات تبدأ السنة فى أول تشرى (اكتوبر) .

(١) خروج ٢٣ ي ١٦ وس ٣٤ ي ٢٢ :

(٢) المكايون الأول ١٣ ي ٤٢ .

(٣) خروج ١٢ ي ٢ .

(٤) لاويون ٢٣ ي ٢٤ وعدد ٢٩ ي ١ .

أما الشهور عند الاسرائيليين فهي منذ أقدم عصورهم قمرية وعدة أيام الشهر ٢٩ — ٣٠ . وفي السنة الخريفية يبدأ الشهر عادة لما يصير الهلال بدرا بخلاف الحال في السنة الربيعية إذ يبدأ الشهر بظهور الهلال ويطلق على الشهر عادة في السنة الربيعية لفظ (حودش) أى (حديث) أعنى إلهلال وقت ظهوره . أما في السنة الخريفية فيطلق على الشهر لفظ (يرح) أى قمر أو شهر^(١) ومن نصوص العهد القديم يتبين لنا أن لفظ (يرح) أقدم في دلالاته على معنى (شهر) من لفظ (حودش)^(٢) . وفي هذا المعنى نجده في الكنعانية والفينيقية . والاسرائيلي يستقبل ظهور الهلال بالهتاف « هلال » ، إذ أن هذه المادة تفيد في اللغة العبرية « أضواء أشرق احتفل عظم حمد مدح » ، ولفظ « هلوليا » يفيد التسبيح لله كما أن لفظ « هلوليم » يفيد الاحتفال بالعيد ثم عيد الخريف^(٣) . أما أسماء الشهور الاسرائيلية القديمة فلم تصلنا إلا أسماء أربعة منها وهي : (اييب) وهو الشهر الأول ثم « ذو » الشهر الثانى وشهر « أثانيم » وهو الشهر السابع و « بول » وهو الشهر الثامن^(٤) . وفي السبي كان الاسرائيليون يعدون الشهور عدا أى الأول والثانى .. الخ . كما هو مشاهد فى مثل سفر الملوك الأول^(٥) إذ جرى باسم الشهر الجديد إلى جانب عدده والعدد هو فى الواقع الأقدم بيننا الاسم أقدمه المتأخرون على السفر^(٦) لكن فى زكريا أيضا وفى عزرا ونحميا تظهر الأسماء الجديدة البابلية الآشورية فى العهد القديم^(٧) .

(١) تكوين ٣٧ ي ٩ مزمور ٧٢ ي ٥ وأشعيا ٦٠ ي ٢٠ .

(٢) الملوك الأول ٦ ي ٣٧ ... وس ٨ ي ٢ ...

(٣) القضاة ٩ ي ٢٧ :

(٤) خروج ١٣ ي ٤ والملوك الأول ٦ ي ١ وس ٣٨ وس ٨ ي ٢ .

(٥) الاصحاح ٦ ي ٣٨ .

(٦) الملوك الأول ٨ ي ٢ وحزقيال ١ ي ١ وحجاي ١ ي ١ وس ٢ ي ١ وزكريا ١

ي ١ وس ٧ ي ٧ ي ١ .

(٧) زكريا ١ ي ٧ وس ٢ ي ١ ونحميا ١ ي ١ وس ٢ ي ١ وعزرا ٦ ي ١٥ .

أما أسماء هذه الشهور فكما يلي : —

- ١ — نيسان (تقريبا ابريل) ٢٠ — أيار (مايو) ٣٠ — سيوان
- (يونيه) ٤ — تاموز (يوليه) ٥٠ — آب (أغسطس) ٦٠ — أيلول
- (سبتمبر) ٧٠ — تشرى (أكتوبر) ٨٠ — حشوان أو مرحشوان
- (نوفمبر) ٩ — كسلو (ف) (ديسمبر) ١٠ — طبيت (يناير)
- ١١ — شباط (فبراير) ١٢ — آذار (مارس) .

الأسبوع

الأسبوع عند الاسرائيليين سبعة أيام وقد اعتمدوا في تحديد أيام الأسبوع على تقسيم الشهر القمري قسمة غير عليية حسب مواقع القمر أو أنهم راعوا في الأيام السبعة فكرة الكواكب السبعة ومن ثم حمل هذا العدد على أوجه القمر بالنسبة للشهر القمري . أما أسماء أيام الأسبوع فهي إذا استثنينا يوم السبت ، عبارة عن أعداد . ثم بعد ذلك نجد الأسبوع يتحلل من علاقته بالشهر القمري وأصبح أيضا أسبوعا شمسيا . أما متى تم هذا التحول فهذا ما لا نستطيع الاجابة عليه .

أما اليوم فيينا يبدأ عند البابليين صباحا إذ به عند الاسرائيليين مساء أعني يبدأ مع ظهور الهلال من أول الشهر القمري لكن منذ أن انتقل الاسرائيليون إلى السبي أخذوا عن البابليين نظامهم الخاص أعني أول اليوم يبدأ صباحا . وفي قصة الخلق^(١) ينتهي اليوم بطلوع النهار لكن بعد السبي عاد الاسرائيليون إلى تقويمهم القديم ثانية . أما تقسيم اليوم إلى صبح وظهر ومساء فيتصل بالنظام اليومي للاسرائيلي وعلاقته بالطقوس

(١) تكوين ١ ي ٥ وى ٨ ..

الدينية إذ نجده يقدم قرباناً الصباح وقربان المساء^(١) . وينقسم اليوم ، من شروق الشمس حتى غروبها إلى اثنتي عشرة ساعة ومن الجدير بالملاحظة أن هذا اللفظ ورد في رسائل تل العمارنة « شتى ، وفي العبرية « شاعه ، وطول اليوم يتراوح بين اثنتي عشرة وأربع عشرة ساعة حسب طول النهار وقصره صيفاً وشتاءً .

الأبجدية

قليل منا من يفكر في الجهود التي بذلتها البشرية منذ أقدم العصور لتستنبط أبجدية يتراوح عدد حروفها بين اثنين وعشرين وثمانية وعشرين حرفاً لتدون فيها أفكارها وتخلد تراث أبنائها وتورثه الأجيال وتحفظه سائر العصور .

وقليل منا أيضاً من يفكر في الجهد الذي بذل عندما تقع عينه على كتاب في تاريخ هذه الإشارات المخصوصة إلى جوار بعضها والتي اصطلح على تسميتها « حروف » ، والتي تؤلف غالباً فيما بينها كلمات ومن الكلمات تخلق الجمل التي هي وسيلة التعارف وسر الحضارات وروح العمران .

والآن نسأل أنفسنا أين نشأت هذه الأبجدية ومن اخترعها ؟ لا شك في أن أقدم صورة من صور الأبجدية التي نستخدمها الكثرة المطلقة من سكان الأرض هي تلك التي نجدها في النقوش السامية القديمة للشعب العربي العريق المعروف بالشعب الفينيقي وقد اختلف العلماء منذ القدم في الشعب الذي اخترعها فمنهم أمثال (لو كان

(١) الملوك الأول ١٨ ي ٢٩ و ٣٦ والمخرج ٩ ي ٤ ... ودانيال ٩ ي ٢١ ...
(م — ٩٠ إسرائيل عبد التاريخ)

(Lucan) و بلينيوس (Plinius) من يرى أن هذه الأبجدية من وضع الفينيقيين بينما يقول (بلوترك Plutarch) و (تاسيتوس Tacitus) وغيرهما أنها مصرية ، استعارها الفينيقيون قديما وأعاروها أقدماء الفرس واليونان ، وقد لقيت هذه الفكرة الأخيرة تعصيذا كبيرا في القرن التاسع عشر الميلادي عندما حل (شمبوليون) عام ١٨٢٣ رموز الهيروغليفية فظهر أمثال (هـ . بروجش H.Brugach) و (روجه Rougé) و (هاليفي Halévy) الذين كانوا يرون في الهيروغليفية أو الهيروغليفية الأصل الذي استمدت منه الفينيقية وجودها . لكن هذا الرأي ، لم يأخذ به نفر كبير من علماء المصريات أنفسهم مثل (كورت زيته K. Sethe) الذي كان يعتقد أن الفينيقية لم تؤخذ عن الهيروغليفية بل وضعها الفينيقيون أنفسهم وإن كانوا قد استعانوا بالمصرية القديمة بدليل الاعتماد على الحروف الصامتة في كل من اللغتين للتعبير عن المعاني المختلفة وقد سرد (زيته) أمثلة أخرى كثيرة لتأييد رأيه ، لكن انبرى لمعارضته جماعة من رجال الآشوريات وعلى رأسهم (ف . دليتش F. Delitzsch) الذي نادى برأى وسط فقال أن الأبجدية الفينيقية نشأت تحت التأثيرين المصري والبابلي ففيها من المصرية الأصوات ومن البابلية الخطوط والأشكال كما أنها تشتمل على عنصر فينيقي ، لكن رأى (دليتش) هذا اصطدام بمعارضة قوية واستمر الحال كذلك حتى ظهر عام ١٩١٦ بحث لعالم المصريات (جردنر Gardiner) اعتمد فيه على مجموعة من النقوش عثر عليها العالم الأثري (فليندرز بيتري Flinders Petrie) في عامي (١٩٠٤ — ١٩٠٥) في مناجم النحاس بسيناء في المكان المعروف باسم (سرايط الخادم) حيث بقايا معبد الآلهة المصرية (هاتور) وقد أرجع (بترى) هذه النقوش إلى ما يقرب من عام ١٥٠٠ ق . م . واعتقد العلماء أنها مكتوبة بخط هيروغليفي وأنها مكونة من حروف بينها

• وبين الفينيقية شبه عظيم مما جعل (جردنير) يعتقد أنه عشر على
الأبجدية السابقة للفينيقية أو بمعنى آخر على حلقة الاتصال بين المصرية
القديمة والفينيقية .

رحب (زيته) بهذا الرأي وقوى رأيه القائل أن جماعة من الهكسوس
أو الساميين كانوا يعملون مع المصريين في تلك المناجم هم الواسطة بين
الخطين المصرى والفينيقى وأصبحت النظرية تعرف منذ ذلك الوقت
بنظرية (جردنير - زيته) . لكن تصدى لهذا رأى بعض العلماء وناقشوه .
والواقع أننا للفصل بين هذ، الآراء المختلفة يجب علينا أن نلاحظ ظاهرة
هامة في الأبجدية الفينيقية إلا وهى ظاهرة استعمال الحروف الصامتة
واهمال الحركات في الكتابة للدلالة على المعانى وقصر الحركات على
التفرقة بين تلك المعانى فالكتابة التى هذا شأنها تدلنا دلالة صريحة على
أنها فى الأصل كتابة صور قصد بها قبل كل شىء التعبير عن الفكرة
لا عن النطق وإذا راجعنا تاريخ الكتابة المصرية القديمة وجدنا ما
هى التى يمكن أن تكون المثل الأعلى الذى استعان به العربى الفينيقى
عندما فكر فى اختراع أبجديته .

فبدأ استخدام الصورة للتعبير عن الفكرة مأخوذ ولا شك عن
الهيروغليفية ، أما الأشكال التى استخدمها الفينيقى للدلالة على هذه الصور
فنحن اختراعه بدليل عدم وجود أى شبه بينها وبين الكتابة المصرية
أو غير المصرية من الكتابات التى كانت معروفة فى ذلك الزمن وللقرابة
القوية بين تلك الأشكال وبين المعانى الفينيقية الدالة عليها . وقد توصلنا
إلى معرفة ترتيبها عن طريق الشعر التعليمى الوارد فى بعض أسفار العهد
القديم العبرى حيث جاءت بعض القصائد التى يبتدىء كل شطر من أبياتها

بحرف من حروف الأبجدية الواردة مرتبة ترتيباً ، أبجد هوز حطى .
كل من سعفص قرشت ، . أما أسماؤها فقد عرفناها من كتابات أحبار
اليهود ومن الترجمة السبعينية التي استخدمت الحروف اليونانية عوضاً
عن العبرية في نشرها للعهد القديم وقد تمكن العلماء أخيراً من الوصول
إلى معرفة معانى تلك الحروف وهى كالآتى : —

(ألف) عجل . (بيت) = بيت . (جيميل) = جمل . (دالـث) =
باب . (واو) = وتد (زايين) = سيف . (يود) = يد . (كف) =
كف . (ميم) = ماء . (نون) = سمك . من نحش أو حنش ، . (عين) =
عين (ب) = فم . (ريش) = رأس . (شين) = سن . ش = س .
في العربية ، (تاو) إشارة للدلالة إلى النهاية .

أما الإشارات السبع الباقية فغامضة الدلالة .

وهذه الأبجدية الفينيقية التى استعارها قديما الفرس واليونان
وعن الآخرين انتقلت إلى سائر أمم العالم المتحدين وأضافت إليها
الشعوب الهندية الاوربية التى استخدمتها وبعض الشعوب السامية الحركات
هى آخر ما توصلت إليه الإنسانية وأن كان الاتجاه اليوم يميل إلى
خلق إشارات أخرى صوتية لسد النقص الملاحظ خاصة فى الانجليزية
إذ نجد الحرف الواحد يستعمل أحيانا فى نطق أكثر من صوت .
حسب موقع هذا الحرف من الكلمة وحسب نوع الحروف التى تليه
أو تسبقه .

والآن نتساءل متى وصلت هذه الأبجدية إلى الاسرائيليين ؟ وماهى .

الأبجدية التي استخدمها الاسرائيليون الأقدمون ؟ اختلف العلماء حول الإجابة على هذا السؤال فالعلامة هوجو فنسكركر يعتقد أن الاسرائيليين الأقدمين استخدموا أولا الكتابة المسهارية وظلت مستخدمة حتى عصر الملوك (حزقياهو = الله قوه) (حوالى عام ٧٠٠ ق . م) وقد أبدت رأى فنسكركر حفائر (جيزر) .

وبما يؤيد هذا الرأى أيضا أن الكتابة الكنعانية أبان عصر رسائل تل العمارنة كانت المسهارية ولم يأت الاسرائيليون معهم بكتابة ما من الصحراء بل استخدموا الكتابة التي كانت متداولة في كنعان ولا شك في أن الكتابة الرسمية التي استخدمها الكنعانيون في تحرير الوثائق والمعاهدات كانت المسهارية ولو أن هذه لم تمنع الاحتمال بوجود أبجدية أخرى شعبية كانت مستعملة . وأقدم نص جاءنا مكتوبا بحروف الأبجدية هو نقش ميشع وهو مكتوب بالأبجدية السامية الشمالية التي كانت مستخدمة عند الكنعانيين ويرجع هذا النص إلى النصف الأول من القرن التاسع ق . م . وكذلك نقش زنجيرلى وقد كتب فيما بين القرنين التاسع والثامن ق . م . وفي حفائر (جيزر) عثر على نصين في المسهارية أحدهما يرجع إلى عام ٦٤٩ والثانى إلى عام ٦٤٧ ق . م . وهذان النصان شرعيان أعنى من النصوص القضائية مما يشير إلى أن هذه الكتابة كانت حتى ذلك الوقت مستخدمة في تحرير مثل هذه الوثائق .

ومن العبارة الواردة في سفر أشعيا ص ٨ ي ١ والتي تطلب إلى أشعيا أن يكتب في لغة إنسان يعنى اللغة الدارجة التي دون فيها يوشيا اصلاحه الدينى لا في المسهارية (٦٢٢ ق . م .) فالقرن السابع قد يكون نهاية استخدام الكتابة المسهارية والاستعاضة عنها بالأبجدية

السامية الكنعانية . والنقش الكبير الوحيد الذى وصلنا فى الكتابة العبرية القديمة هو ذلك الذى عثر عليه عند نبع سلواح عام ١٨٨٠م . بالقرب من القدس ويرجع أن هذا النص يرجع إلى عصر الملك حزقيا . أعنى فى نهاية القرن الثامن ق . م .

وغير الكتابة الكنعانية نجد كتابة أخرى سامية شالية وهى المعروفة باسم الآرامية وقد انتشرت مع اللغة الآرامية حتى أنه وصلتنا فيها كتابات ترجع إلى القرنين التاسع والثامن ق . م من أسيا الصغرى وأشور . وفى القرنين السادس والخامس ق . م . وصلتنا كتابات آرامية من بلاد العرب ومصر . ومن ثم أخذت تتطور الكتابة الآرامية حتى بلغت هذا النوع الذى يطلق عليه الربابيون اسم الكتابة المربعة . وتذكر المصادر الإسرائيلية أن عزرا هو الذى جاء بهذه الكتابة من السبي وهذا الخبر لا يحتمل الشك وذلك لأن اللغة الآرامية كانت لغة وكتابة . هى اللغة الرسمية بعد السبي كما تغلغت أيضا فى الشعب وأصبحت الكتابة المتداولة . أما العبرية القديمة فلم يبق أمامها بعد هذه الهزيمة إلا أن اقتنعت . بأن تكون الكتابة المقدسة والتى دونت فيها حوالى عام ٤٠٠ ق . م . - التوراة السامرية .

أما أقدم نص عبرى تتجلى فيه الخواص الآرامية فهو النص المعروف . باسم نص عرق الأمير (فى شرق الأردن) وهو يرجع إلى عام ١٧٦ ق . م . أما النص المعروف باسم نص قبر يعقوب والذى عثر عليه فى وادى . قدرون الذى يجرى شرق القدس ويصب فى البحر الميت فيرجع إلى القرن . الأول ق . م . وهو فى الكتابة الآرامية .

وتدلنا النصوص الواردة فى العهد القديم على أن الاسرائيل ، بالرغم

من ندرة الذين يجيدون القراءة والكتابة ، كان في المسائل الرسمية يستعين بالوثائق المكتوبة وبخاصة في حالات البيع والشراء والطلاق^(١) .

وفي سفر أيوب نقرأ خبراً متعلقاً بدعوى اتهام^(٢) . كذلك من مستلزمات الطبقة الراقية الالمام بالقراءة والكتابة^(٣) . أما السواد الأعظم من الاسرائيليين فقد كانوا أميين^(٤) .

أما وسائل الكتابة فكانت أولا ، اللوح ،^(٥) وذلك في عصر استخدام المسارية كما ظل مستعملا مع الأبجدية^(٦) أما اللوح المكتوب فيطلق عليه الاسرائيلي «سفر» ، وكان الكاتب يكتب على اللوح بقلم من المعدن يحفر به فيه^(٧) . أما التوقيع فكان بالخاتم .

ومع تطور الزمن استخدم الاسرائيلي البردي المستورد من مصر^(٨) كما استخدم الرق أيضا وكان يدون عليه بالمداد^(٩) بواسطة قلم من البوص يعده الكاتب بمدبته الخاصة^(١٠) . أما أدوات الكتابة فقد كان يحتفظ بها الكاتب في منطقتة^(١١) .

-
- (١) أرميا ٣٢ ي ١٠ والتثنية ٢٤ ي ١ .
 - (٢) أيوب ١٣ ي ٢٦ وس ٣١ ي ٣٥ .
 - (٣) سموئيل الثاني ١١ ي ١٤ والملوك الأول ٢١ ي ٨ والملوك الثاني ٥ ي ٥ وس ١٠ ي ١ وأرميا ٢٩ ي ١ .
 - (٤) أشعيا ١٠ ي ١ وس ٢٩ ي ١٢ .
 - (٥) أرميا ١٧ ي ١ وأشعيا ٨ ي ١ .
 - (٦) أشعيا ٨ ي ١ وأرميا ٣٢ ي ١٠ ...
 - (٧) أرميا ١٧ ي ١ وأيوب ١٩ ي ٢٤ وأشعيا ٨ ي ١ والخروج ٣٢ ي ٤ ..
 - (٨) أرميا ٣٦ ي ٢ ...
 - (٩) أرميا ٣٦ ي ١٨ .
 - (١٠) أرميا ٣٦ ي ٢٣ .
 - (١١) حزقيال ٩ ي ٢ .

الطب

يتفق عند الاسرائيليين مع ما خلفته لنا شعوب الشرق الأدنى واليونان والرومان على أن هذا الفن متأثر جدا بالطب البابلي . فسكان الرافدين يعتقدون أن الإنسان صورة مصغرة للوجود فجسده يتكون من نفس العناصر التي يتكون منها الكون أعني اليابس والسائل والهوائي لذلك فالإنسان عرضة لتأثر المؤثرات الفلكية الناجمة عن مواقع النجوم وحركاتها وهذه المؤثرات هي التي تلعب دورا خطيرا في الأمراض التي تعترى الجسد وطريقة شفائه منها . وقد أثبتت التجارب حقا أن بعض الظواهر الطبيعية من رعد وبرق ومطر وتوالى الفصول من أكبر عوامل انتشار الأمراض . والرأى السائد أن الأمراض تختلف وقعا على المريض حسب ساعات النهار أو أيام الأسبوع فيقوى أثرها مثلا في الأيام ١٤ و ١٧ و ٢١ و ٢٨ من الشهر القمري وهذا يؤكد أهمية العدد سبعة في حالة المريض الصحية .

كذلك الأثر الفعال لبعض النباتات أو المعادن والأحجار في شفاء المرض وإرجاع هذا الأثر إلى القوة الإلهية الكامنة فيها يؤيد ولا شك العلاقة القوية بين الإنسان والوجود .

جئنا إلى وإذا أضفيع هذه المظاهر العقيدة القائلة بأن أمراضا كثيرة تصيب الإنسان بفعل الآلهة أو الجن وأن الشفاء منها أو اتقاءها لا يتم إلا عن طريق الطلاسم والتعاوين أدركنا كيف أن الطبيب يتعاون مع الساحر عند شفاء الأمراض . فالطبيب يصف الدواء أو يجرى عملياته الجراحية بعد تشخيص المرض وقد حددت له شريعة حمورابي الأجر

والجزاء كما حذرت من الإهمال وعاقبته عليه . أما الساحر فيطرد الروح أو الأرواح الشريرة التي انزلت بالفرد هذه الأمراض وقد يحصنه ضدها ببعض الطلاسم ، والساحر في جميع هذه الإجراءات إنما يستمد قوته من الآلهة .

وهذه الظواهر نجدها أيضا في المجتمع الاسرائيلي فالأمراض العصبية أو العقلية من عمل الأرواح الشريرة فشاول وقع فريسة لهذه الأرواح الشريرة^(١) . ونفس هذه الأمراض العقلية أو العصبية ظلت من عمل هذه الأرواح زمنا طويلا فنجدها في المسيحية^(٢) . وغير الصرع والجنون نجد أمراضا أخرى كالبرص أو الجرب وهي من عمل الشيطان أيضا^(٣) . كذلك جميع الأمراض الجنسية وغيرها تنسب إلى (يهوه)^(٤) .

أما السحر فقد أقبل عليه الشعب الاسرائيلي اقبالا عظيما وأصبحت الطلاسم من أكثر الوسائل رواجا للتغلب على الأمراض أو اتقاء شروها وقد بالغ الاسرائيليون في التعلق بالسحر والسحرة حتى اضطرت الشريعة إلى النهي عنه وأمرت بقتل الساحرة^(٥) . وقد تفنن السحرة في استخدام مختلف الوسائل التي يعتقدون فيها القوة للشفاء أو تحقيق الأغراض المختلفة ومن بين هذه الوسائل ، البصاق^(٦) ، ومن هنا نفهم

(١) صموئيل الأول ١٦ ي ١٤ .

(٢) متى ٤ ي ٢٤ .

(٣) أيوب ٢ ي ٧ .

(٤) صموئيل الثاني ٢٤ ي ١٦ وص ٦ ي ٧ .

(٥) خروج ٢٢ ي ١٨ ولثنية ١٨ ي ١٠ - ١١ .

(٦) انجيل مرقس ٧ ي ٣٢ يوحنا ٩ ي ٦ ...

كيف أن الاسرائيلي يطلب من الكاهن أن يكون طبيبا^(١) إلى جانب وظيفته الدينية . ولهذا السبب نفهم كيف أن اشعيا أباح لنفسه تقديم المشورة الطبية^(٢) .

المقاييس والمكايل والموازين

شأن الاسرائيليين في مقاييسهم ومكايلهم شأن المصريين والبابليين فكما اقتبسوا عن الشعبين الكثير من العادات والعلوم والفنون كذلك الحال هنا فالمقاييس مأخوذة من أعضاء جسم الإنسان فنحن نجد الإصبع واليد والشبر والذراع والقدم وهذه الوحدات استخدمها قدماء المصريين كما أضافوا إليها القصبه . ويلاحظ أن الاسرائيليين كانوا يفرقون بين « ذراعين ، ذراع ملكية وأخرى عادية وهي أصغر من الأولى كما أن هذه المقاييس عند الاسرائيليين لا تعنى أنها تتفق تماما ومقابلتها في البابلية أو عند قدماء المصريين . إما للمسافات البعيدة فاستخدم الاسرائيلي (لفظ) (كبره) وهويقابل إما الفرسخ الفارسي أعنى ٦٧ر٥ كم . أو (الشوينوس) المصرى القديم أى ٦٣ر٦ كم . ولقياس المساحات الواسعة استخدم لفظ (صمد)^(٣) . ومعنى هذا اللفظ في العبرية « نير ، أعنى المساحة التى يحراثها الثور أو الثوران فى يوم .

المكايل

منها ما يستخدم للسوائل ومنها ما يختص باليابس ، فمن مكايل السوائل

(١) لاويون ١٣ .

(٢) الملوك الثانى ٢٠ ي ٧ .

(٣) اشعيا ٥ ي ١٠ والملوك الثانى ٥ ي ٧ .

ما يعرف باسم «لوج» ، ويليه «دق» ، وهو يستخدم للسائل واليابس^(١) كما نجد «دعومر» ، للحنطة وسائر الحبوب^(٢) وفي الموضع الأخير يذكر على أنه عشر المكيال المعروف باسم (ايغه) لذلك يطلق عليه أيضا لفظ «عسرون»^(٣) وقد تحددت قيمته العشرية^(٤) .

وأكثر المكاييل تداولاً للسوائل الـ (هين)^(٥) كما أن الأيغه لليابس ويقسم الهين إلى النصف والثالث والرابع والسادس^(٦) .

واختص الاسرائيليون الدقيق وما إليه^(٧) بالمكيال المعروف باسم (سيا) .

هذه هي أشهر المكاييل الاسرائيلية وإن جاء ذكر أخرى فهي موضع شك واختلاف في الرأي .

الموازين

تشير الآثار التي عثرت عليها البعثات العلمية الأثرية في الشرق الأدنى أن الموازين البابلية انتقلت إلى سوريا في القرن السادس .

(١) الملوك الثاني ٦ ي ٢٥ .

(٢) خروج ١٦ ي ١٦ و ٣٦ .

(٣) لاويون ١٤ ي ١٠ وس ٢٣ ي ١٣ و ١٧ .

(٤) العدد ١٥ ي ٤ وس ٢٨ ي ٥ .

(٥) لاويون ١٩ ي ٣٦ .

(٦) خروج ٢٩ ي ٤٠ ولاويون ٢٣ ي ١٣ .

(٧) تكمين ١٨ ي ٦ وسوئيل الأول ٢٥ ي ١٨ .

عشر ق . م . وكانت الأثقال عادة تعبر عن أشخاص حيوانات منها المفترس كالأسد أو المستأنس كالبط وقد انتقلت هذه الأثقال إلى الاسرائيليين فنجد الشيقل، والدماناه، ثم أثقلها الكسكار، أما الشيقل فيزن تقريبا ٣٧ و ١٦ جراما بينما الكسكار نحو ٦٠ كيلو جراما . أما نصف المثلثال فيعبر عنه في العبرية بلفظ « يقع » .

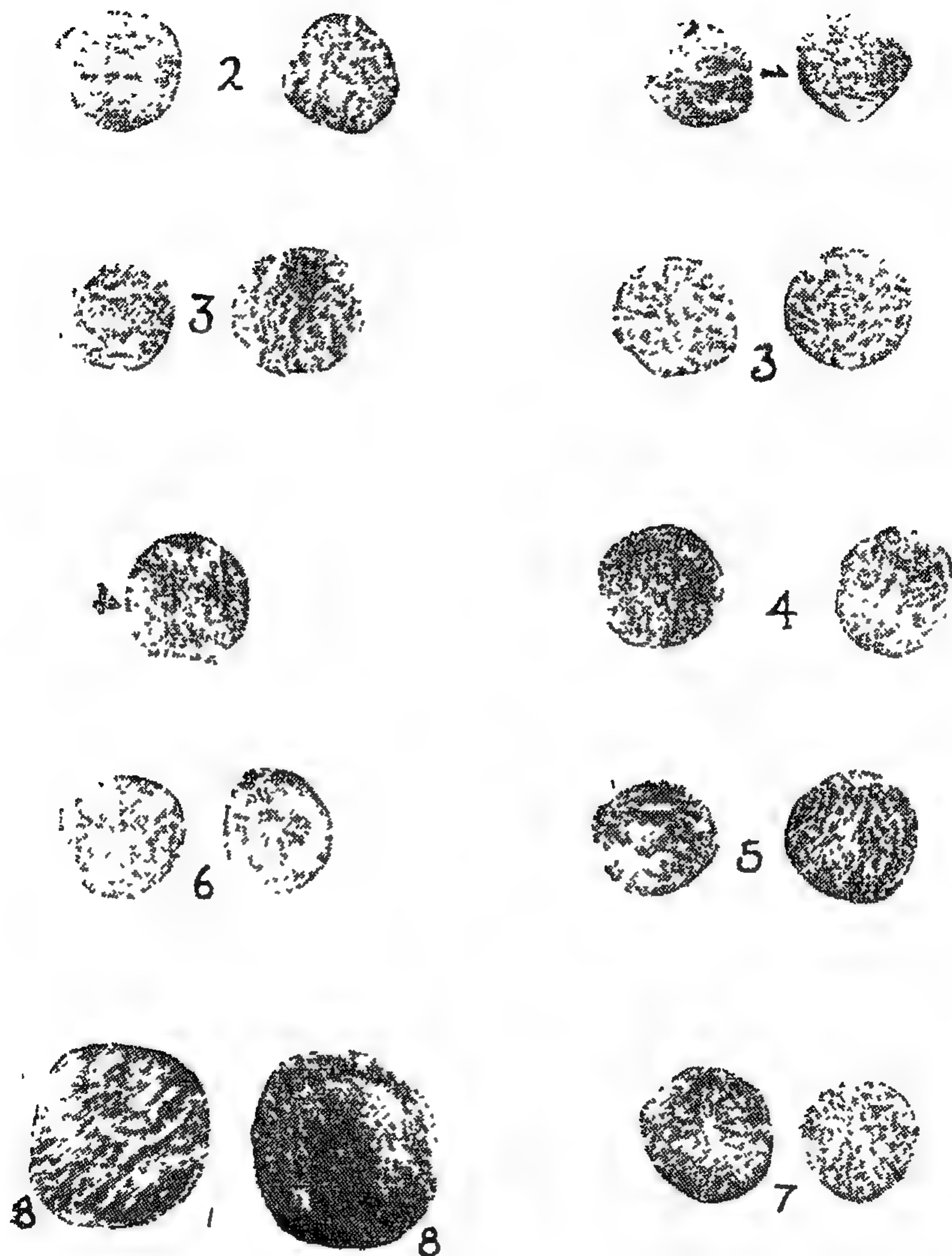
النقد

والنقد يتبع العقيدة أيضا في الشرق الأدنى فكما أن البابليين ربطوا بين العالمين السماوي والأرضي كذلك الحال في مختلف شؤونهم اليومية فالنقد كوسيلة هامة من وسائل البيع والشراء تطلب قبل كل شيء استغلال المعادن الثمينة لقيمتها الذاتية مع صغر حجمها وخفة وزنها نسبيا وربط البابلي بين هذه المعادن والإجرام السماوية فجعل الفضة خاصة بالقمر ، والذهب بالشمس ، والنحاس خاصا بعشترت (الزهرة) والقمر والشمس والزهرة هي التي تسيطر على الكون وتتجلى فيها قوى كبار الآلهة ومن هنا نفهم السر في اتخاذ البابليين للفضة قاعدة للنقد .

وما جرى في بابل استخدمه أيضا الاسرائيليون عند أن عرفوا النقد . فالفضة (كسف) هي القاعدة النقدية كما أن لفظ (كسف) يعبر عن النقد ذاته^(١) .

أما القاعدة النقدية فالمثلثال (شيقل) فاستخدم الاسرائيليون اللفظ الدال على الوزن للتعبير عن النقد كما هو الحال اليوم مثلاً في « درهم » ،

(١) خروج ٢١ ي ١١ والملوك الأول ٢١ ي ٦ .

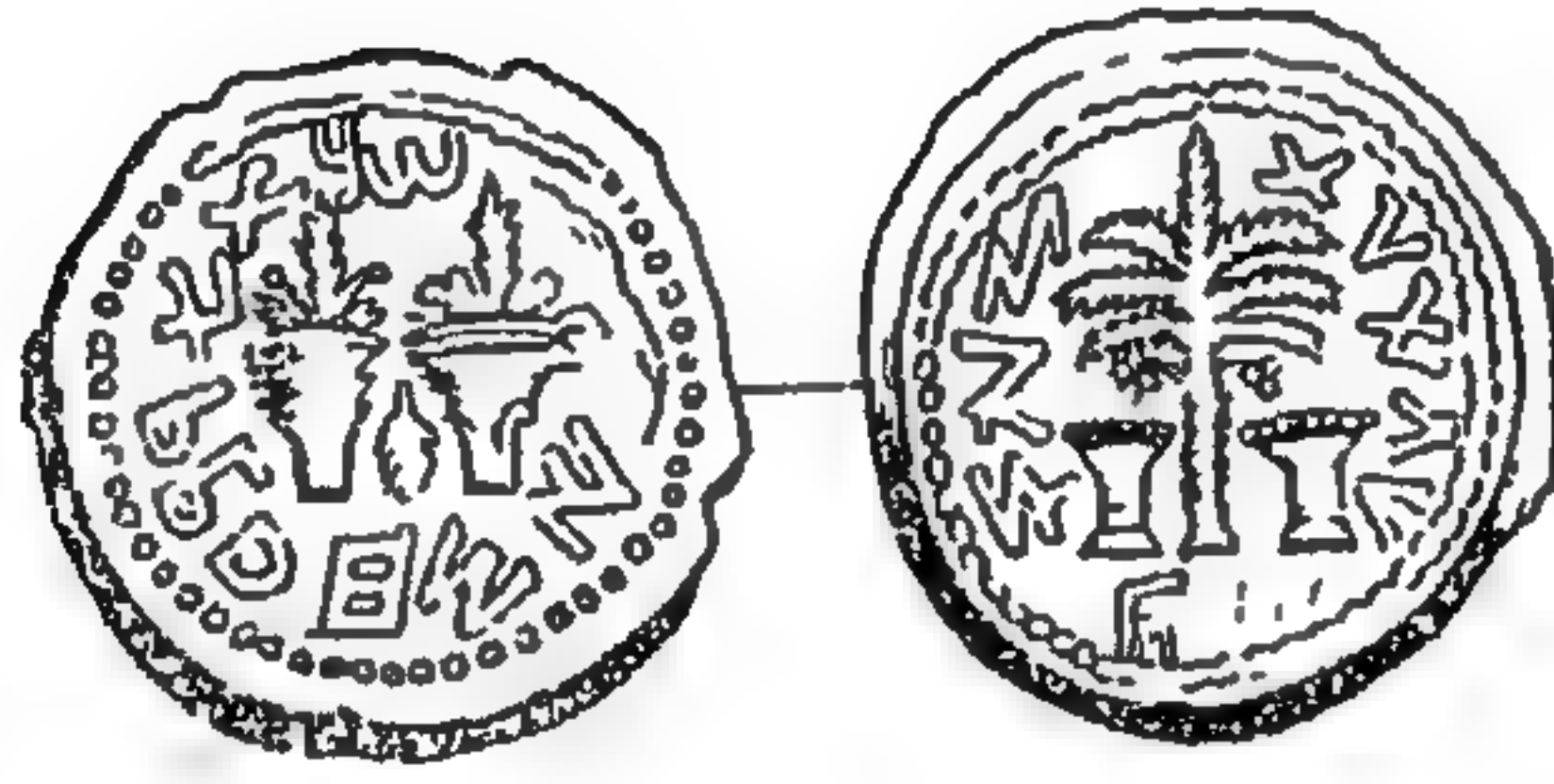


هذه نماذج من مجموعة النقود المحفوظة بمتحف الاسماعيلية وقد درسها ونشرها
الدكتور عبد المحسن الخشاب وكثرتها ترجم الى الثورة الأولى التي وقعت في القرن الأول
الميلادي راجع :

Abd El - Mohsen El - Khashab. La Collection Numis-
matique du Musée D'Ismailia Le Caire 1960.



نقود من عصر هديران المستعمرة اليا كايديولينا



نقود نحاسية نصف شيقل من عصر شمعون



تترادرخا من عصر اسكندر الأكبر

» للنقد والوزن ، أو (بوند Pound) في الإنجليزية وغيرها من بعض اللغات الأخرى للتعبير عن الوزن والنقد أيضا .

وكما نقسم اليوم القرش مثلا إلى نصف قرش وربع قرش الخ والجنيه إلى وحدات أخرى تنتهى بجزء من الألف أعني (مليم) وهو اللفظ الفرنسي (Millième) أى جزء من الألف كذلك عند الاسرائيليين حيث نجد الشيقل يقسم إلى وحدات مختلفة^(١) .

وكان الاسرائيلي يضطر أحيانا إلى حمل ميزان للتأكد من قيمة قطعة العملة التى يحملها وكان يحمل هذا الميزان معه ويضعه فى كيس مع النقود ويضع الكيس فى منطقتة^(٢) .

واختص الاسرائيليون أيام عزرا ونحميا العملة الفضية بقطعة النقود المعروفة باسم (من)^(٣) .

وكانت الفضة أكثر تداول كعملة بين الاسرائيليين أكثر من الذهب كما ضربوا أيضا عملة أخرى فضية وهى الوزنة (ككار) وهى أعلى قيمة من ال (من)^(٤) .

لكن عند دفع الجزية كان الاسرائيليون يدفعونها ذهبيا^(٥) والذهب هنا لم يدفع كعملة بل فى هيئة آنية ولو أن وزنها كان يقدر بالشيقل .

وغير الفضة والذهب استخدم الشرق الأدنى النحاس أيضا وإن كان

(١) صموئيل الأول ٩ ي ٨ وأرميا ٣٢ ي ٩ .

(٢) تثنية ٢٥ ي ١٣ ... وأشعيا ٤٦ ي ٦ والأمثال ١٦ ي ١١ .

(٣) عزرا ٢ ي ٦٩ ونحميا ٧ ي ٧١ .

(٤) الملوك الأول ٢٠ ي ٣٩ وللوك الثانى ٥ ي ٢٢ .

(٥) الملوك الثانى ١٨ ي ١٤ وص ٢٣ ي ٣٣ .

العهد القديم لا يذكر شيئا عن استخدام الاسرائيليين له في سك نقودهم وتذكر رسائل تل العمارنة هذا المعدن وأهميته في سك بعض قطع العملة الكنعانية . كذلك تحدثنا الآثار المصرية عن عناية قدماء المصريين به لتحقيق نفس الهدف أيضا وكانوا يطلقون على قطعة العملة النحاسية (اوتن) .

وإذا أردنا تقويم العملة الاسرائيلية الفضية بالجرام وجدناها كالآتي :-

١ - شقل (مثقال) = ١٤ر٥٥ جرام .

١ من = ٥٠ شقل = ٧٢٧ر٥ جرام .

١ ككار = ٦٠ من = ٣٠٠٠ شقل = ٤٣٦ر٥٩ كج .

أما العملات الحقيقية التي أخذت تنتشر بين الاسرائيليين مع تطور الظروف السياسية فكثيرة منها (الدركون أو الأدركون) الفارسي الأصل وهو الذي نجده في اليونانية باسم (درخما)^(١) . وهذه قطعة ذهبية ضربها

(داريوس هستسبيس) لتستخدم كعملة فارسية وهي وزن ٨ر٤٠ جرام وتحمل صورة الملك راککا أو واقفا ويده اليسرى قوس وفي اليد اليمنى حربة أو صولجان وفي الوجه الآخر من العملة لا نجد شيئا إلا هبوطا في سطح القطعة .

أما سك النقود الذهبية فكان من اختصاص الملك بينما النحاسية مباحة لكل فرد بخلاف الفضية التي هي من حق مجالس المدن والأقاليم ..

(١) أخبار الأيام الأول ٢٩ ي ٧ وعزرا ٩ ي ٢٧ .

ولما آل الملك إلى الاسكندر الأكبر ظهرت العملة الذهبية المعروفة باسم (الكسندريوس Alexandreios) والفضية (درخما) و (تترادرخما) واستعملت بين الاسرائيليين في فلسطين .

ورث البطالمة والسلاجقة الاسكندر وضربت نقود جديدة ، على وجه ، القطعة نرى رأس الحاكم أما الوجه الآخر فنجد ، في العملة البطلمية الذهبية غالبا رمزا يمثل ثراء الدولة وعظمتها . أما في العملة النحاسية أو الفضية فنجد النسر . لكن العملة السلجوقية تمتاز بأن الجهة الخلفية لقطعة العملة عليها عادة (اولو) او (جويتر) جالسا على العرش أو (مينرفا) وأحيانا صوراً أخرى .

أما الاسرائيليون فقد استعملوا الفرس القليلة التي أتاحت لهم ليتحرروا من الحكم الأجنبي تحررا جزئيا وعبروا عن هذا التحرر بضرب نقود خاصة بهم وذلك عندما نجح شمعون عام ١٤٠ ق . م . في اعلان نفسه أميرا لليهود وكبيرا للمكينة فمنحهم أنطيوخوس السابع سديتيس حق ضرب النقود والنقود الفضية فقط وذلك لأن السيادة العليا ظلت قائمة في سوريا (١) وجاء في نفس المرجع أنه في الفترة الممتدة بين عامي ١ - ٥ من هذا العصر أعني «عصر اورشليم» ضربنا قطعاً من الشيقل ونصف الشيقل الفضية . وعلى هذه العملة نقرأ عبارة «يروشليم مقدوشه» أي اورشليم المقدسة وإلى جوارها صورة زهرة الزنبق وعلى الوجه الآخر شاهد كأسا كتب حولها «شيقل يسرائيل» أو «حصي هشيقل» أي ، نصف شيقل (مقال) . كذلك وصلتنا قطع اسرائيلية أخرى عليها الحرف (ش) وهو مختصر من كلمة «شنه» أي «سنه» فنجد

(١) المكيون الأول ١٥ ، ٦ .

(م - ١١ اسرائيل عبر التاريخ)

مثلا الحرفين « ش ر » أى السنة الرابعة . وهناك نقود أخرى ترجع إلى عصر شمعون ذات قيم مختلفة فنجد ربع شيقل وقد كتب عليها « لجالت صيون » أى « محرر صهيون » من جهة وعلى الوجه الآخر « شنت أربع » أو « شنت أربع حصى » أى أربعة أعوام ونصف ، وكذلك « شنت أربع ربع » أى أربعة أعوام وربع . كما نشاهد على القطعة الشعار الذى هو عبارة عن باقتين من الأغصان وبينهما ثمرة الأترنج وقد نجد شعاراً آخر وهو عبارة عن نخلة بين سلتين مملوءتين بالثمار .

وقد وصلتنا بعض القطع النقدية التى ترجع إلى العصر المتأخر للهمونيين (المكابيين) وهى قطع نحاسية ونحن نجد شمعون خليفة (يوحنا هيركان) يستن أول سنة بين الاسرائيليين ويأمر بكتابة اسمه على العملة وتتميز هذه العملة بالنقوش التى على أحد وجهيها حيث نجد ثمرة أرجح أنها أترنجة بين شعارين يمثلان عظمة الدولة وعلى الوجه الآخر نقراً « يوحنا هكوهن هجدول وحبر هيهوديم » أى يوحنا الحاكم الأكبر ورئيس اليهود ، أو نجد « يهوحن هكوهن هجدول روش حبر هيهوديم » أى يوحنا الكاهن الأكبر رئيس المجتمع اليهودى . وفى عصر متأخر نجد بعض الأمراء اليهود يسكون نقوداً شبيهة بها . ثم جاء « الكسندريانيوس » وجدد فى سك النقود فسجل عليها لغتين فنجد مثلاً على إحدى القطع العبارة العبرية « يهوحنان هملك » وفى اليونانية بازيلوس الكسندروس .

كذلك سك الهيروديون نقوداً من النحاس وتمتاز نقود هيرودوس الأول بأنها تشتمل على كتابة يونانية فقط ولا أثر للعبرية فيها فنجد مثلاً على قطعة عبارة « بازيلك هرودوس » . أى الملك هيرودوس . وعلى أحد وجهي القطعة النقدية نرى خردة

نقود قاعدة . وعلى الوجه الآخر نجد شكلا يقوم على ثلاث قوائم وحوله كتابة . وهناك قطع نقود أخرى مرسوم عليها الهلب ، كما تختلف الشعارات حسب الأمراء فالنقود التي ضربت في عهد (اجرييا) مثلا تمتاز بالمظلة . وثلاث سنابل وفي عهد المحتسبين الرومان نجد العملة النحاسية التي كانت تضرب في فلسطين خالية من صورة القيصر مراعاة لشعور الاسرائيليين واستعيض عن الصورة بذكر اسم القيصر وإلى جواره غصن . أما العملة الفضية والذهبية فقد سببت صورة القيصر عليها استياء عظيم عند الاسرائيليين^(١) .

وإلى الثورة الأولى (٦٦ - ٧٣) ميلادية ترجع فيها يرجع النقود النحاسية التي عليها الشعار الاسرائيلي والعبارة « حيروت صيون » ، « حرية صهيون » .

وفي الثورة الثانية (١٣٢ - ١٣٥ م) اعتقد القوم أنها وقت قيام الدولة المسيحية لذلك سارع الزعمان اليعازر وشمعون إلى ضرب نقود فضية ، فصدرت قطع فضية ونحاسية ترجع إلى العام الأول وعليها الشعار المكتوب « لجلت اسرائيل » أي تحرير اسرائيل ومكتوب عليها « اليعازر هكوهين » أي اليعازر الكاهن أو شمعون نسي اسرائيل ، أي شمعون أمير اسرائيل .

وصدرت مجموعة أخرى من النقود فضية ونحاسية وعلى وجه القطعة اسم « شمعون وعلى الخلف » لحيروت اسرائيل « أي لتحرير اسرائيل » ، بدون تاريخ .

بمجموعة أخرى فضية ونحاسية عليها اسم « شمعون » ، أو (اورشليم) وعلى الخلف العام الثاني لتحرير اسرائيل .

الدستور والإدارة

القبيلة

لا أمة بلا وطن بالرغم من أن الخلية الأولى للأمة أعنى القبيلة لا ترتبط بوطن خاص وهكذا كان الاسرائيليون قبل أن ينزحوا إلى أرض كنعان فالمجتمع الاسرائيلي لم يقبلور إلا في أرض كنعان

وإبان حياة البداوة نجد القبيلة عبارة عن مجموعة من الأسر ترتبط فيما بينها بصلات القرى والنسب لا المصلحة العامة . وصلة الدم عادة تعتمد على انحدر الأفراد من أب الأسرة فالعلاقة بين الأفراد لا تتعدى الإخوة ومن هنا كانت الأسرة هي التي تعنى بحل مشاكلها حتى النار لم يكن يتعدى الأسرة قط وهو أمر لا يعنى القبيلة . ومن ثم نجد الأسر التي تربط بينها بعض صلات القرى أو النسب تتجمع وتتسكأثر ثم ينضم إليها بعض العبيد أو بعض الأسر المستضعفة وهكذا نجد القبيلة تنشأ تدريجياً وتعاون على تقوية الروابط بين أفرادها ووحدة المكان والمصلحة العامة . هذه هي العوامل التي لعبت دوراً هاماً عند تكوين المجتمع الاسرائيلي في أرض كنعان . فهو مجتمع فئيت فيه قبائل كما دخلته قبائل أخرى حديثة . مجتمع دائم الحركة والتطور شأنه شأن المجتمعات الأخرى .

فالعهد القديم يحدثنا كيف أن قبيلة ما من تلك التي تكون المجتمع الاسرائيلي كقبيلة (دان) بلغت يوماً ما مكانة عزيزة في المجتمع فاقببت بألقب قبيلة أعنى (شبط) ثم فقدت مكانتها فأصبحت (بطنا) أو كما تسمى في العبرية (مشباحاه) (١) .

(١) يشوع ١٩ ي ٤٠ والقضاة ١٨ ي ١١ .

وكما أن المجتمع البدوي العربي يوجهه شيوخ القبائل متعارفين
مع شيوخ الأسر كذلك الحال في المجتمع الاسرائيلي حيث نجد مجلس
الشيوخ والذي يعرف باسم (ذقنى اسرائيل)

ويتمتع الفرد في المجتمع الاسرائيلي مثله مثل البدوي في القبيلة
العربية بالحربة الكاملة فالفرد في زمن السلم يرتبط بقبيلته لا برباط
المسكان بل برباط كفالة الحربة الفردية حرية الفكر وحرية الكلمة
وحرية التنقل . ليست الرابطة بين أفراد المجتمع البدوي عربيا كان
أو اسرائيليا رابطة المسكان أو الطقس وجمال الطبيعة وماتدره الأرض على
الفرد من زاد لطعامه أو كلاً لدوابه بل رابطة كفالة الحرية وإذا ما تعرضت
حرية الفرد الشخصية لأي انتقاص قطع ما بينه وبين أهله من صلة ورحل
إلى حيث الحرية مكفولة والكرامة موفرة ولعل خير شاهد على هذه
المسكانة المرموقة التي بلغها البدوي لامية الشنفرى حيث يقول :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

ويعنى الشاعر هنا بنى أمه القبيلة الأزدية المعروفة ببني سلامان
ابن مفرج وهم الذين عناهم بقوله :

جزينا سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم وازلت

أما القوم الذين انتقل إليهم فهم بنو الحرت بن ربيعة بن الأوس
وفيهم يقول :

وهنىء بى قوم وما أن هناتهم وأصبحت فى قوم وليسوا بمنبتى

وقد ردد تعبير الشنفرى فى هذا البيت كثيرون أمثال عروة بن الورد
فى قوله :

أقيموا بنى لبنى صدور ركابكم .

ويستطرد الشاعر العربى الحر فى لاميته فيقول :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى

وفىها لمن خاف القلى متمزك

ويردد هذا المعنى غيره كثيرون مثل معن بن أوس فى قوله :

وفى الناس إن رثت حبالك واصل وفى الأرض عن دار القلى متحول

وقال المتلمس :

وفى البلاد إذا ما خفت فائدة مشهورة عن ولادة السوء مبتعد

وهذه ظاهرة بعينها نجدها أيضا فى أفراد القبائل البدوية التى تكون منها المجتمع الاسرائيلى كما يحدثنا العهد القديم . فى الحجاز نجد مثلا الكعبة تحج إليها القبائل العربية المختلفة كذلك الحال مع الاسرائيليين فقد كانوا يقدسون مقدسات سيناء والتابوت المقدس مما يؤيد أن حياة البداوة كانت تجمع بينها مقدسات بعينها تؤلف بين القبائل فى حلها وترحالها . وكما نجد قريشا فى الجاهلية تتولى سدانة البيت كذلك الحال مع اللاويين عند الاسرائيليين .

وأسيباط المجتمع الاسرائيلى اثنا عشر سبطا ينتسبون إلى أبناء يعقوب . الإثنى عشر والذين رزق بهم من زوجته دليا ، وراحيل ، ومن جارية دليا ، واسمها (زلفة) وقد كانت محظية يعقوب وكذلك (بلما) جارية (راحيل) وكانت المحظية الثانية . ويضاف إلى أولاده من هؤلاء الأربعة حفيداه (افرايم) و (منشى) ابنا يوسف فالبطون الاسرائيلية حسب أمهاتهم كالآتى :

ليا : روين - شمعون - لاوى (ليفى) - يهوذا - يساكر -
زبولون .

وولدت ليا ليعقوب ابنة دعت اسمها دينا ،

زلفة (جارية ليا) جاد - أشير .

راحيل - يوسف - بنيامين .

بلهة (جارية راحيل) : دان - نفتالى .

يوسف : افرايم . منشى .

أما ترتيب هؤلاء الأبناء حسب ميلادهم فكان لاني : روين شمعون
ليفى . يهوذا . دان . نفتالى . جاد . أشير . يساكر . زبولون . يوسف .
بنيامين ثم نجد الحفيدين منشى و افرايم^(١) .

أما العدد اثنا عشر فليس حقيقة بل نظريا فقط بدليل هذا المجهود
الذى بذل لاتمام العدد فمثلا إما يذكر « ليفى » وفى هذه الحالة يذكر
« يوسف » كسبط واحد فقط^(٢) وإذا لم يذكر ليفى يقسم « يوسف »
إلى « افرايم » و « منشى » فيتضاعف العدد^(٣) .

ونلاحظ أن العدد هنا أعنى اثنى عشر يتكرر فى مواضع كثيرة
بالعهد القديم فاسماعيل ولد له اثنا عشر ولدا^(٤) كذلك « عيسو »^(٥)
و (ناحور) ولد له اثنا عشر ولدا^(٦) .

(١) تكوين ٢٩ ي ٣٢ وس ٣٠ ي ٢٤ وس ٣٥ ي ١٦ - ١٨ وس ٤٨
ي ٨ - ١٤ .

(٢) تكوين ٤٦ ي ١٩ - ٢٠ وس ٤٩ ي ٢٢ والثنية ٣٣ ي ١٣ .

(٣) العدد ١ ي ٢٠ ...

(٤) تكوين ١٧ ي ٢٠ وس ٢٥ ي ١٣ :

(٥) تكوين ٣٦ .

(٦) تكوين ٢١ ي ٢٠ - ٢٤ .

ويرجح العلماء أن هذا العدد يتصل بعدد الأبراج . والواقع أن هذه القبائل أو الأسباط لا تفيد نقاوة جنسية أو عقائدية فما لا شك فيه أن كل قبيلة كانت خليطا من اسرئيليين وكنعانيين وغيرهم وخير مثال يضرب على قيام هذا الخليط قبيلة يهوذا وذلك لأننا نستطيع في سهولة ويسر تتبع نشأتها وقيامها . فهي مزيج من عدد كبير من القبائل كانت تنزل في جنوب البلاد . وهذا الاتحاد لم يتم تلقائيا فيما بينها لمصلحة عامة بل أرادها رجل قرر بسط سلطانه عليها فاتحدها معا وهذا الرجل هو داود .

وإذا أضفنا إلى هذا أن تسال الاسرائيليين إلى كنعان وقع وهم في طور البداوة بينما تخطى الكنعانيون هذا الطور من الحياة أعنى طور الحياة القبلية وبلغوا المرحلة التي كونوا فيها ملكيات صغيرة، فرسائل تل العمارنة تحدثنا أن كنعان كانت محكومة بعدد من الملوك الذين نهجوا في ضم صفوف كثير من القبائل تحت تاج واحد أو أكثر . وكثيرا ما نشبت حروب بين هؤلاء الملوك لأن كلا كان يطمع في مد حدود مملكته . وفي المدن والأقاليم نجد في كنعان حكومات محلية على رأسها أفراد من كبار العائلات ، فلما جاء الاسرائيليون وأدركوا البون الشاسع بين الحضارة والبداوة وبين الاستقرار والترحال وحاولوا جاهدين التحلي بقبس من الحضارة الكنعانية ففشلوا ، وذلك لأن الحضارة لا تنحط إلى مستوى طالبيها وبخاصة إذا كانوا فقراء إلى الثقافة فقر المجتمع الاسرائيلي وقتذاك . والذي حدث أن زعيم القبيلة الاسرائيلية في الحرب والمعروف باسم « قاصين » ، فرض نفسه على القبيلة في زمن السلم وأطلق على نفسه لقب (رئيس)^(١) وأخيرا توج نفسه ملكا وأستخدم القوة في سبيل

(١) لقضاة ١١ ي ٨ .

إخضاع القبائل الأخرى إلى سلطانه هكذا فعل (يفتاح) في منشى^(١)
و (جدعون) وابنه (ايملك) الذى توج نفسه ملكا فى شكيم^(٢)
و (شاول) و (داود) .

الملكية الاسرائيلية

لا نغنى هنا بعرض الملكية وقيامها فى المجتمع الاسرائيلى فهذا
من شأن المؤرخ وعمله والذى يهمننا وبصفة خاصة ما يقال عن الملكية
كنظام حكم فى المجتمع الاسرائيلى وهنا يجب أن نستعرض الآراء
قديمها وحديثها ونساطر الأضواء على النقاط الأساسية التى تتخاضم فيها
النظريات وتتعارض .

وبينما نجد الآراء القديمة تعرض للملكية على أنها منحة من الله
وخبر وبركة للشعب إذ بنا فى العصور المتأخرة نرى فيها لعنة حلت
بالمجتمع الاسرائيلى فباعدت بينه وبين الله وتقاسمته المصائب والنكبات
وينادى بهذه النظرية رجال الدين الاسرائيلى الذين يعرضون لنظام
الحكم فى اسرائيل ويحاولون توجيهه الوجهة التى تروق لهم . فتدعى
هذه النظرية اللاهوتية أن كل شيء احتاجته الأمة الاسرائيلية لافرار
النظام وسلامة الحكم كان متوفرا لديها قبل قيام الملكية فعلى رأس
المجتمع كان يقوم (يهوه) فهو الذى يحكم بواسطة خدمه أعنى رجال
الكهنوت أو بتعبير أدق كبير الكهنة . وفيما يتعلق بالمسائل الدنيوية
مثل الحروب فقد كان يقوم عليها القاضى (شوفط) والذى كان يشغل
هذا المنصب طيلة حياته كما أن وظيفته هذه لم تكن وراثية . ويرى

(١) قضاة ١١ ي ٦ .

(٢) قضاة ٨ - ٩ .

الكهنة ان اختيار المجتمع الاسرائيلي للنظام الملكي رفض لسلطان (يهوه) ، واختيار الملك إنما هو تقليد للشعوب الوثنية التي تفضل الملك على الكاهن والقاضي^(١) .

ويجب ألا يتبادر إلى أذهانتنا أن لفظ (قاضي) هنا يشير إلى المعنى المتداول بيننا لغويا أعني ذلك الموظف أو الشخص الذي يفصل في مشاكل القوم، فلفظ (شوفط) في الواقع يستخدم في سفر « روث » بمعنى والى أو حاكم لكن أحيانا يرد في أسفار أخرى مثل عاموس^(٢) بمعنى « ملك » . ومن مقدمة سفر القضاة^(٣) يفهم أن القاضي كان يتمتع بحق « مقدس يمنحه إياه (يهوه) لكي يحرر الشعب من معصية ارتكبتها فعاقبه (يهوه) لهذه الخطيئة وأسلمه إلى طاغية مستبد ومن ثم تاب الشعب فغفر الله له .

وقد تكرر هذا الصنيع أربع عشرة مرة منذ موت « يشوع » حتى مجيء « شاول » وتوايه الملك . فحكام المجتمع الاسرائيلي في تلك الأعوام كانوا يسمون القضاة لأن كلا منهم كان يصدر حكما على الحاكم المستبد المذل للمجتمع وذلك بتحرير المجتمع من ظلم الظالمين . لكن كل ما جاءنا في سفر القضاة يجب ألا نؤمن به دون بحث وتفكير فقد وصلتنا للقضاة قصص بعضها تاريخي هام مثل قصيدة « دبوره » ، أو قصة ابيمالك كما جاءتنا قصص أخرى خرافية . أما قصة « شمشون » فمن القصص الشعبي ، وقد تكون أسطورية الأصل .

(١) ص. وئيل الأول ٨ ي ١ - ٩ .

(٢) الاصحاح ٢ ي ٣ وثنية ١٧ ي ٩ وى ١٢ .

(٣) الاصحاح ١ و ٢ ي ١١ - ٢١ .

كذلك لا يخلو سفر القضاة من متناقضات حول القصة الواحدة فبينما مثلاً نجد (باراق) هو الذى هزم (سيسرا) إذ بنا فى رواية أخرى يذكر (سيسرا) كقائد لجيش الملك (يابين) ملك (حاصور)^(١) وهناك رواية أخرى تنسب هذا النصر إلى قبيلة (نفتالى) التى هى قبيلة باراق^(٢) .

وإذا تركنا نظرية رجال الدين الخاصة بالملكية ورفضها وتبعنا نفس الفكرة عند مفكرى المجتمع الاسرائيلى وموقفهم من الملكية وجدناها تؤيد رأى أوائك الذين يؤمنون بالملكية وضرورة قيامها شأن المجتمع الاسرائيلى فى هذا الرأى شأن المجتمعات الشرقية القديمة . والرأى المناصر للملكية يعتقد أن الله هو الذى يختار الملك والله هو الذى يمدد بالسلطان والعدالة وهو يحكم بفضل الله، والملك أكثر من هذا يمثل الله على الأرض وهو صورته فالمجتمع كان يعتقد أن الله ما هو إلا ملك الملك . ويحدثنا العهد القديم مقرراً هذا الحق السماوى وهذه العلاقة بين الله والملك فيذكر فى (المزمور)^(٣) ما نصه : أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون ، و . ويأمن بيتك وملككتك إلى الأبد أمامك . كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد ، وفى موضع آخر^(٤) نقرأ : قطعت عهداً مع مختارى حلفت لداود عبدي إلى الدهر اثبت نسلك

والنتيجة المنتظرة لهذه العقيدة هى تقديس الملك وهذه الظاهرة نجدها عند الاسرائيليين وفى بابل ومصر .

فالملك كمبعوث شخصى لله هو كبير الكهنة لذلك نجد شاول وداود

(١) قضاة ٤ .

(٢) قضاة ٤ ي ٦ .

(٣) ٢ ي ٦ وسموئيل الثانى ٧ ي ١٦ .

(٤) مزمور ٨٩ ي ٣ - ٤ .

يقدمان القرايين^(١) متبعين الطقوس الكهنوتية التي كانت من اختصاص كبير الكهنة ، وذلك لأن تقديم القرايين العادية كان من حق كل فرد لكن هنا نجد داود يرتدى الثوب الكهنوتي الخاص (افود) بالطقوس . كما نجد كلا من داود وسليمان يبارك الشعب ككهنة^(٢) .

كذلك كان الملوك عند جلوسهم على العرش يمسحون أعني يكتسبون صفة الكهنوتية . ونتيجة المسكاة الكهنوتية للملك والتي بلغت ذروتها أيام سليمان أن تضاءلت مائر الطقوس الأخرى وبخاصة عندما اكتسبت الكهنوتية الصفة الملكية فأصبحت عملا رسميا له إدارته وموظفوه ولهذا التطور أثره البالغ في الديانة الاسرائيلية وما طرأ عليها مع مرور الزمن .

والملك كان كذلك قائد الجيش إبان الحرب ومعنى هذا القضاء تدريجيا على الأسر والقبائل الاسرائيلية التي كانت من قبل هي التي تتولى الدفاع فتحظى بشرف النصر . واستتبع قيام الملكية وتولى الملك قيادة الجيش إبان الحروب إنشاء جيش عامل تولى قيادته وتدريبه رجال من قبل الملك ويدينون بالولاء له وعرشه كما أصبحت مهنة الجيش مهنة ثابتة للجندى والضابط والقائد وقد حرص الملك على إسناد المناصب الرئيسية في الجيش إلى أقاربه والمخلصين له ولبيته . ولم يقف الأمر عند هذا بل نجد شيوخ القبائل أو البطون لا يبلغون مكانتهم عن طريق منزلتهم من أهل القبيلة أو السبط بل عن طريق النفوذ الملكي ودرجة إخلاصهم للعرش .

ومن آثار قيام الملكية في المجتمع الاسرائيلي إيجاد حكومة مستقرة

(١) صموئيل الأول ١٤ ي ٣٣ ... وصموئيل الثاني ٦ ي ١٣ ...

(٢) الملوك الأول ٨ ي ١٤ وصموئيل الثاني ٦ ي ١٨ .

تسهر على مصالح الشعب واستقرار الأمن في ربوع البلاد ومن أهم دعائم الاستقرار العدالة ، والشخص الذي يستطيع رعايتها وخدمتها هو القوى ومن أقوى من الملك ؟ وهكذا نجد الملك في المجتمع الاسرائيلي يصير قاضيا وباسمه تصدر الاحكام حتى أصبح لفظ قاضى (شوفط) مرادفا للفظ « ملك » (١) .

وأيلولة القضاء إلى الملك جردت أولئك الذين كانوا يباشرونها من رؤساء الأسباط والكهنة منها . وعلى حساب جميع هذه الحقوق التي اكتسبها الملك تمكثرت طبقة الموظفين المملكين واكتسب هؤلاء الموظفون الحق في اصدار الاحكام باسم الملك .

ولم يقف أثر ظهور المملكية في المجتمع الاسرائيلي عند استيلائه على وظيفة كبير الكهنة وقائد الجيش وقاضى القضاء الذى تصدر باسمه الاحكام بل نجح في جعل الملك وراثته في نسله ولو أن العهد القديم يحفظ لنا من الأمثلة ما يشير إلى مبدأ الاختيار فالشعب هو الذى اختار شاول ملكا (٢) كذلك داود اختاره الأعيان ملكا (٣) . ثم عند وفاة شاول لم ينجح حفيده في وراثته العرش وذلك لأن الله أراد أن يحرم بيت شاول منها ويمنحها لبيت داود .

كذلك عند موت سليمان نجد الله يتوج (يروبعام) ملكا على البطون العشرة (٤) .

(١) أشعيا ١٦ ى ٥ وثنية ١٧ ى ٩ و ١٢ والملوك الثانى ١٥ ى ٥ .

(٢) صوئيل الأول ١٠ ى ٢٤ .

(٣) صوئيل الثانى ٥ ى ٣ .

(٤) الملوك الأول ١١ ى ٣١ .

ومن هنا نقبين أن شرعية اختيار الملك تتم عن طريق الله لا عن طريق اختيار الشعب فاختيار الملك في المجتمع الاسرائيلي لن يكون شرعيا إلا إذا تم عن طريق الله .

والآن نتساءل ماهى وظيفة الملك في المجتمع الاسرائيلي ؟ الحكم وجمع الضرائب وعدا هاتين المهمتين لم يصلنا شيء عن النشاط الحكومى فنحن نجد مثلا الملك داود يقرر عمل إحصاء للمجتمع الاسرائيلي (صموئيل الثانى ٢٤) وهو يهدف من وراء هذا توزيع أعمال الدولة والجندية وجمع الضرائب . وهذا الهدف بعينه هو الذى حدا بسلامان إلى تقسيم المجتمع إلى اثنتى عشرة محافظة^(١) مع استثناء اقليم يهوذا السبى الذى ينتمى إليه الملك ، فقد استثناء حتى لا يعين له محافظا ولا يجبى منه أموالا وكانت نتيجة هذا التقسيم الجديد أن قضى سلامان على مواطن الأسباط ومنازلهم . وتشير المصادر التى وصلتنا إلى أن سلامان بالغ فى فرض الضرائب وتحصيلها فأثقل كاهل الشعب ومن ثم فقد أنفق هذه الأموال فيما لا ينفع الشعب بل على بذخه وبذخ بيته وهذه الضرائب الفادحة التى لم يكن للمجتمع الاسرائيلي بها عهد أيام شاول أو داود اضطرت النبى حزقيال أن يشرع فيما بعد تشريعا خاصا بميزانية التاج وهو إقطاعه أرضا خاصة يعيش ويسته من دخلها^(٢) وهذا التشريع لم يكن بدعة بل عرفها المجتمع الاسرائيلي قديما^(٣) . وبعد عصر السبى نجد العشور تخصص للملك^(٤) .

(١) الملوك الأول ٤ ي ٧ ...

(٢) حزقيال ٤٨ ي ٢١ .

(٣) صموئيل الأول ٨ ي ١٢ .

(٤) صموئيل الأول ٨ ي ١٤ ... وس ١٧ ي ٢٥ .

كذلك نجد أيضا في (عاموس)^(١) تقديم أول حصاد العلف لماشية الملك^(٢) .

أما موظفو الدولة فكانوا يلقبون جميعهم بلقب (سريم) وقائد الجيش يعرف باسم (سر عل كل هصباه) وهو يصدر الأوامر إلى الجيش في الحرب في حالة عدم حضور الملوك^(٣) وغير هذا القائد نجد قائد الحرس الملكي (جبوريم)^(٤) . وأعلى وظيفة في الدولة كانت وظيفة كاتم السر (مذكير)^(٥) .

وإلى جوار كاتم أسرار الدولة هذا نجد كاتب الدولة^(٦)، وكان يتولى جميع المراسلات بين الملك وموظفيه ومع الأمراء الأجانب . ومن الموظفين المرموقين أيضا رئيس السخرة ورئيس الجلادين وصاحب الملك وعبد الملك^(٧) وغير هؤلاء الموظفين العظام نجد أيضا مدير البيت^(٨) . أما حاكم المحافظة فكان ضابطا ويطلق عليه في العبرية (نصاب) . أما موظفو الحاشية فكانوا كثيرين فمنهم الساقى والموكل بالملابس^(٩) كما تحدثنا أخبار الأيام الأول^(١٠) عن اثني عشر موظفا كانوا يتولون الأمور المالية . كذلك نجد رجال النشيفة^(١١) .

(١) الأصحاح السابع .

(٢) الملوك الأول ١٨ ي ٥ .

(٣) سموئيل الثاني ٨ ي ١٦ وس ١٢ ي ٢٧ وس ٢٠ ي ٢٣ والملوك الأول ٤

ي ٤ ...

(٤) سموئيل الثاني ٨ ي ١٨ وس ٢٠ ي ٢٣ .

(٥) سموئيل الثاني ٨ ي ١٦ وس ٢٠ ي ٢٤ والملوك الأول ٤ ي ٣ .

(٦) سموئيل الثاني ٨ ي ١٧ وس ٢٠ ي ٢٤ والملوك الأول ٤ ي ٣ .

(٧) سموئيل الثاني ٨ ي ١٨ والملوك الأول ٤ ي ٥ - ٦ .

(٨) أضعيا ٣ ي ٣٤ .

(٩) الملوك الأول ١٠ ي ٥ وللوك الثاني ١٠ ي ٢٢ .

(١٠) الإصحاح ٢٧ .

(١١) الملوك الأول ٢٢ ي ٩ والملوك الثاني ٨ ي ٦ وس ٩ ي ٢٢ ...

كذلك كان هناك موظف خاص للحريم . ولا يفرق الجهاز الحكومى بين التشريع والإدارة أو بين المدنيين والعسكريين فموظف الملك كان يمثل جميع السلطات عسكرية أو إدارية، جمع الضرائب أو القضاء . ومن هنا نجد كيف تجمعت السلطات فى يد فرد . لذلك لا عجب إذا وجدنا الأنبياء يوجهون مر النقد إلى الموظفين فالموظف كان آلة فى يد الملك أو رجاله ينفذ كل ما يأمره به دون ابداء أى اعتراض^(١) فكان الموظف يرتشى وتمتد يده إلى كل ما تصل إليه فهدف الموظفين جمع الثروات، وفى سبيل ذلك يقتربون مختلف أنواع الجرائم فالرشوة والتحيز من الصفات المميزة للموظفين كبارا كانوا أو صغارا لذلك لا عجب إذا تحطمت الوحدة الاجتماعية فى اسرائيل إبان قيام النظام الملكى .

أما فيما يتصل بالتشريع والعدالة والقانون العام الذى يحمى الشعب من طغيان الطغاة المستبدين فلم يعرفه المجتمع الاسرائيلى لذلك نجد سفر التثنية^(٢) يعالج طغيان الملوك وانزلاقهم كما يعين ما لهم وما عليهم من حقوق وواجبات تجاه المجتمع ، فهو يشرع لبית داود احترام الشريعة وبخاصة ما يتعلق منها بواجبات الملك وحقوقه . فالملك مطالب عند توليه للعرش بالتزام نصوص هذا التشريع الملكى^(٣) . كذلك يحرم على الملك امتلاك الكثير من الذهب والفضة واقتناء الكثيرات من الزوجات والسراى وحيازة كثير من الخيل . والدافع إلى وضع مثل هذا التشريع أن الملك يتولى الملك نيابة عن الله فسلطانه يجب ألا تحده شرائع إنسانية لذلك نجد المجتمع اليهودى يضاف روح القداسة على هذه التشريعات المتعلقة بنظام

(١) الملوك الأول ١٢ ي ١٠ ... وصموئيل الثانى ١١ ي ١٤ .

(٢) الإصحاح ١٧ ي ١٤ - ٢٠ .

(٣) تثنية ١٧ ي ١٨ - ١٩ .

الملك صفة دينية فالملك نائب الله على الأرض وتنظيم هذه النيابة من عمل الله أيضا . فلم تبج الشريعة للملك ما حرمته على الإنسان فالملك وهو حامى القانون وراعيه يجب أن يخضع للقانون ، شأنه شأن غيره من أفراد المجتمع ، وحرّم على الملك أن يغير ويبدل فى الشريعة وهذا نجد التشريع الاسرائيلى صورة صادقة لموقف الشريعة البابلية من الملك وسلطاته كما نقيمنها من شريعة حموربى . وأى تغيير فى الشريعة الاسرائيلية يجب أن يتم بروح الشريعة ذاتها ولا يتعارض معها والملك لا يملك حق تغيير القانون أو إصداره فالملك ليس هو المشرع والمشرع هو الله فقط وهذا التشريع يصدر إذا كانت الحاجة التى تمس الصالح العام ضرورية وفى هذه الحالة يتعاون الملك مع الشعب لإدخال التعديلات المطلوبة وذلك لأن الملك عند جلوسه على العرش يبرم هو والشعب معا عهدا مع الله وينص هذا العهد على احترام القانون^(١) .

وهكذا نجد نظرية الملك وحقوقه تقع تحت طائلة القانون ولو أن الملك لم يتردد إذا ما وجد الفرصة سانحة فى الخروج على الشريعة وتعاليمها ولا يعدم الملك مبررا شرعيا يبرر هدرانه والعهد القديم يمدنا بكثير من الأمثلة الناطقة باستبداد الملك وطغيانه مثال ذلك « شاول » وكهنة (نوب) وداود واوريا ، وسليمان وأدونيا ، وأخاب ونابوت ويهو وييت أخاب والمملكة عثليا والأسرة المالكة^(٢) .

أما موقف المجتمع الاسرائيلى من هؤلاء الملوك الذين كانوا أحيانا يستبدون به فيختلف إذ بينا نجد متساعحا مع ملك مثل داود إذ به يثور لاتفه الأشياء ضد غيره .

(١) الملوك الثانى ٢٣ ح ٣ ونحميا ١٠ .

(٢) صموئيل الأول ٢٢ وصموئيل الثانى ١١ والملوك الأول ٢ و ٢١ و ٢٢ ...

(م — ١٢ اسرائيل عبر التاريخ)

ويمتاز العصر المملوكى عامة بأنه لم يتدخل فى شئون المجتمع طالما يسدد الممولون ما عليهم من ضرائب وألا فالحكومة تتدخل لتحصيل مالها من أموال . وأهم التغييرات التى طرأت على المجتمع إبان الحكم المملوكى رئاسة الجماعة إذ انتقلت من شيوخ القبيلة إلى شيوخ المدينة الذين كانوا أحيانا يباشرون الفصل فى بعض القضايا^(١) .

قضى السبي الآشورى (القرن الثامن ق . م .) على المملكة الاسرائيلية وشرد عشرة أسباط اختفوا منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا ثم جاء السبي البابلى (٥٨٦ — ٥٣٨ وعام ٤٥٠ ق . م .) فساق إلى السبي قبيلة يهوذا وهكذا شرد الاسرائيليون وجعلوا عن فلسطين إلا هذا النفر القليل جدا الذى كان يعنى بخدمة الأرض وتولت الهيئة الكهنونية تهريف أموره فحلت بذلك محل النظام المملوكى ونجح الكهنة فى تطبيق تعاليم الشريعة فاكتسبوا ثقة القوم وحُبهم وكان رئيس المجتمع الاسرائيلى الفلسطينى يلقب منذ ذلك الحين بلقب « ناسيا » أى أمير ومن هؤلاء الأمراء الذين حفظ لنا العهد القديم أسماءهم « شيشبصر »^(٢) وقد تولوا تدبير أمور الفلسطينيين بعد العودة من السبي . وذلك لأن يهوذا أصبحت ولاية يحكمها والى تعاونه حكومة تحت إشراف موظفين من فارس . أما مدى الحرية التى تتمتع بها تلك الولاية فكانت محدودة جدا كما نقيبينها من سفر عزرا . وحتى هذا الحكم الضئيل من الحرية كاد يتلاشى بعد « شيشبصر » إذ استغنى عن الأمير والغيت وظيفته كما اختفى أيضا حاكم الولاية . وحتى إبان إمارة الأمير لم يتمتع الاسرائيليون بما يحفظ لهم بعض كياناتهم الذاتى . كما أن حاكم الإقليم كانت سلطته

(١) ثانية ٢١ — ٢٢ .

(٢) عزرا ١ ي ٨ .

هى سلطة كبير الكهنة أيضا أعنى أنه جمع بين الوظيفتين هكذا روى
زكريا فقال عنهما الممسوحين^(١) وهذا فيما يتعلق بالحكم الداخلى
للإسرائيليين لكن الحكومة الفارسية لم تعترف بقيام سلطة أخرى إلى
جانب سلطانها والذي يمثله الوالى الذى تعينه .

أما مكانة كبير الكهنة فلم تعد إلى المجتمع ثانية إلا عن طريق
القانون الذى عاد به عزرا من بابل والذي أصبح الدستور الجديد للمجتمع
الإسرائيلى كما أنه ينص على الاعتراف بالسيادة الفارسية على البلاد وهذا
القانون الذى جاء به عزرا هو ذلك الذى يعرف باسم شريعة الكهنة والواردة
فى التوراة . وهذه الشريعة تضع كبير الكهنة على رأس المجتمع
الإسرائيلى وحوله مجلس من الكهنة ولا يقوم إلى جانب كبير
الكهنة حاكم مدنى وذلك لأن الأمل فى استرجاع الكيان الحكومى
الإدارى للمجتمع الإسرائيلى كان قد تلاشى فعلا قبل عصر نحميا (القرن
الخامس ق . م .) ومع هذا ضاع الأمل أيضا فى قيام الملكية .

لكن الشيء الجدير بالذكر أن حياة الإسرائيليين فى السبى أعنى
فى بابل قامت فى رعاية تعاليم الشريعة الاسرائيلية فالإسرائيليون الذين
انتقلوا إلى السبى انتقلوا قبائل وعشائر لذلك يجد كل سبط إسرائيلى
يعيش فى كنف رئيسه القبلى والذي كان يتولى زعامته ويفصل فى قضايا
أفراد سبطه . فكان هؤلاء الرؤساء القوامين على مصالح أسباطهم فنجد
مثلا يطلبون من حزقيال رأى الله فى مسألة من المسائل التى تهم المجتمع
الإسرائيلى فى بابل^(٢) .

وكذلك عند العودة إلى فلسطين نجد هذه العودة تتم حسب الأسر

(١) زكريا ٤ ي ١١ - ١٤ .

(٢) حزقيال ٨ ي ١ و ٢٠ ي ١ .

والجماعات فنجد الأسباط تساهم في تنظيمها كما أن الاثنى عشر زعيما ما هم في الواقع إلا رؤساء أكبر الأسر الاسرائيلية^(١) . ونظر الفرس إلى هؤلاء الرؤساء على أنهم يمثلون الاسرائيليين العائدين لذلك كانوا يخاطبون بهذه الصفة^(٢) وهؤلاء الرؤساء ساهموا مع حاكم الاسرائيليين^(٣) في التخطيط لبناء المعبد . لكن سلطة هذا المجتمع من الشيوخ كانت محدودة فجميع ما يهم المجتمع الاسرائيلي يجب أن يقرره الاسرائيليون أنفسهم^(٤) .

وفي العصر اليوناني نجد نظام الحكم قد تطور تطورا لا بأس به وظل نافذ المفعول حتى تلاشت اسرائيل . في هذا النظام : --

١ - رئيس المجتمع الاسرائيلي هو كبير السكينة وإن كانت سلطته حددتها الدولة الأجنبية الحاكمة وصاحبة السيادة الحقيقية من ناحية ، والمجلس المكون الذي كان يشاركه السلطة من ناحية أخرى . وكان السلاجقة والهبروديون والرومان يعينون كبير السكينة ويعزلونه متى شاءوا وكان كبير السكينة يحتفظ بعد عزله بلقبه وجاهاه^(٥) .

٢ - وكانت كل جماعة اسرائيلية تحتفظ بمجلس شيوخها^(٦) . وكان هذا المجلس غالبا من اللاويين كما أنه كان يباشر أعمال القضاء^(٧) .

(١) عزرا ٢ ي ٢ ونحميا ٧ ي ٧ .

(٢) عزرا ٥ - ٦ .

(٣) عزرا ١ - ٦ .

(٤) عزرا ١٠ ي ٧ ونحميا ١٠ .

(٥) يوحنا ١٨ ي ١٣ .

(٦) لوقا ٧ ي ٣ .

(٧) أخبار الأيام الأول ٢٦ ي ٢٩ .

أصل وتطور التشريع الاسرائيلي

إن الباحث في نشأة وتطور التشريع الاسرائيلي مضطر إلى دراسة أقدم وثيقة تشريعية جاءتنا من أرض الرافدين وهي أولى الوثائق التشريعية التي وصلتنا عن الشرق القديم وتعرف باسم « شريعة حموربي » ، وحموربي من أقدم الشخصيات العربية التي افترن اسمها بالتشريع والتقنين فشريعة حموربي تصور لنا المدى الذي بلغه مجتمعنا العربي في الألف الثاني ق . م . فحموربي هو الذي يفخر بقوله : أنا الذي أحى الضعيف من بطش القوي وأزود عن الأراامل واليتامى وأمرت بحفر شريعتي على حجر لتبقى وأمام صورتي كملك يحمي العدالة ، وعلى المظلوم أن يأتي ويقرأ على نصبي الحق ، الذي يتعطش إليه والعدالة التي يرجوها . حموربي كالآب لرعيته وقد وضعت لها ميثاقها لأضمن لها سعادتها ورفاهيتها :

ويذكر العهد القديم (التكوين ١٤) حموربي تحت اسم (امرفل) ومعاصرا لإبراهيم . وشريعة حموربي هذ ، جامعة شاملة وهي تنقسم إلى اثني عشر بابا :

الأول من مادة ١ - ٥ اهتمت بإقامة الدعوى والشهود والقضاة .

الثاني من مادة ٦ - ٢٥ السرقة والخيانة .

الثالث من مادة ٢٦ - ٤١ الأمور العسكرية .

الرابع من مادة ٤٢ - ٩٩ الحقل والحديقة والمنزل (الاستئجار والري والرعى) .

الخامس من مادة ١٠٠ - ١٠٧ المعاملات التجارية .

السادس من مادة ١٠٨ - ١١١ المواخير .

السابع من مادة ١١٢ - ١٢٦ الأمانات .

الثامن من مادة ١٢٧ - ١٩٥ الأسرة .

التاسع من مادة ١٩٦ - ٢٢٧ العاهات والعقوبات .

العاشر من مادة ٢٢٨ - ٢٤٠ الأسعار وتحديد ما وأمر أخرى
تتعلق ببناء المنزل والسفن .

الحادى عشر من مادة ٢٤١ - ٢٧٧ استخدام العمال والحيوان .

الثانى عشر من مادة ٢٧٨ - ٢٨٢ الرق .

ولما استولى سرجون على فلسطين فى الربع الأول من القرن الثامن،
ق . م . انتقلت شريعة حموربى إليها ومن ثم أخذت هذه الشريعة تفرض
نفسها على المجتمع الاسرائيلى فنجد القصص الخاصة بالآباء الأولين
تشير إلى أهمية شريعة حموربى كما نجد المجتمع يقر حرق « تامار »
لاقترافها الزنا وعقوبة الحرق هذه مستمدة من شريعة حموربى وليست
من الأحكام الاسرائيلية^(١) .

كذلك زواج الاختين فى آن واحد قد وقع فى اسرائيل عندما خدع
« لابان » يعقوب وأعطاه ابنته « ليه » مخالفا الاتفاق الذى تم بينه وبين
يعقوب ، زوجه باختها راحيل التى كان يحبها ومن أجلها خدم « لابان »
سبع سنين^(٢) وزواج الاختين حرمة الشريعة الاسرائيلية فيما بعد

(١) تسكوين ٣٨ ي ٢٤ .

(٢) تسكوين ٢٩ ي ١٥ .

مما يشير إلى أن الجمع بين الاختين كان يتم قديما عملا بشرية حموربى التى تبين هذا النوع من الزواج . ثم نجد زوجتى يعقوب أعنى ليثة وراحيل تعلنان أنهما وأطفالهما ترثان والدهما لابان وتوريت البنت فى الشريعة الاسرائيلية ممنوع وإباحته قديما اعتمادا على شريعة حموربى^(١) . كذلك التبنى كما اتخذ يعقوب^(٢) لم يرد له ذكر فى الشريعة الاسرائيلية بينما تهتم به شريعة حموربى كثيرا . وأوضح قصة جاءتنا فى التوراة تلك المتعلقة بساره وهاجر وهنا نجد المصادر الاسرائيلية القديمة تقف من هاجر وابنها وحقه فى الميراث موقفين مختلفين . فالقصة كما جاءتنا فى التكوين^(٣) تصور هاجر على أنها الزوجة الثانية لإبراهيم وأنها حرة ولابنها اسماعيل الحق فى الميراث^(٤) وأن سارة لا تملك حق الاستبداد بها وإبراهيم فقط هو الذى يستطيع طردها والتخلص منها وهنا تتفق هذه الوجهة مع موقف شريعة حموربى تماما . وهناك فى التوراة قصة أخرى تتعلق بهاجر وابنها وموقف ساره منهما فتعرض هاجر على أنها أمة^(٥) وأن هذه الأمة تطاوت على ساره سيدتها فحق لها تجريدتها من مكانتها التى بلغتها عن طريق النكاح وإعادةتها إلى مرتبة الجوارى وقد نفذ إبراهيم أساره ورغبته واضطهدت ساره هاجر مما اضطرها إلى الرحيل .

١. وتأثر المجتمع الاسرائيلي بشريعة حموربى أبعد مما سقت من أمثلة إذ أن هذا الأثر وجد طريقة إلى هذا المجتمع قبل أن ينزل الاسرائيليون فلسطين أعنى عندما كانوا يذرعون سيناء طولا وعرضا فالتوراة تحدثنا

(١) تكوين ٣٠ ي ١٦ .

(٢) تكوين ٤٨ ي ٥ .

(٣) اصحاح ٢ ي ٨ ...

(٤) تكوين ١٦ ي ١٠ .

(٥) تكوين ١٦ ي ٤ .

إن موسى عندما كان مهتما بوضع التشريع لقومه لجأ إلى « يثرو » كاهن مدين يستشيريه فيما هو مقدم عليه وبخاصة بعد أن اقترن من ابنة « يثرو » وهي « صفوره »^(١) ومعنى هذه الاستشارة أنه اقتبس شريعة عربية جنوبية إذ أن مدين وكل هذا الإقليم كان خاضعا للثقافة المعينية السبائية التي انتقلت من الجنوب إلى الشمال في صحبة القوافل التجارية والتي نجحت وأسست كثيرا من المستعمرات على امتداد الطرق التي قطعها . وإذا أضفنا إلى هذا أن البابليين الآشوريين أصحاب شريعة حموربي وفدوا على أرض الرافدين من جنوب الجزيرة أدركنا الصلة القوية بين المعينيين السبائيين من ناحية وبين البابليين الآشوريين من ناحية أخرى وهذه العلاقات التشريعية والثقافية نشرت أضواءها في مختلف أصقاع الجزيرة العربية وبخاصة حيث كانت تنزل قبائل عربية معينية سبائية كتلك المستعمرة التي استوطنت « مدين » .

فالصلة بين تشريع موسى وبين التشريعات العربية سواء كانت مدينية أو حمورابية قديمة جدا عرفها المجتمع الاسرائيلي قبل نزوله فلسطين . لذلك لا عجب إذا رأينا الامرائيليين يالفون التقاليد والعادات والعرف وقوانين الأحوال الشخصية وغيرها التي كانت سائدة في كنعان أو خارجها . يمكن الشيء الجدير بالذكر أن ارتباط التشريعين الحورابي والاسرائيلي أن تم مدنيا إلا أنه اختلف لاهوتيا وبخاصة فإن المسكنة الثقافية التي تبوأها الشعب العربي البابلي كانت أعلى كثيرا من المنزلة التي بلغها المجتمع الاسرائيلي . ففي هذا المجتمع نجد سلطان الدولة غير محكم بسبب النزعة القبلية ومن هنا نعلم قيام النار والرابطة القوية بين أفراد الأسرة فضلا عن التزاوج من الأقارب كذا تعدد الزوجات والذي كان قويا حتى أن

(١) تكوين ١٣ ي ١٣ .

العهد القديم لم ينجح في استئصاله . وتعليل هذه الظاهرة أيضا أن أمة عظيمة كالآمة البابلية بلغت شأوا بعيدا من الحضارة والثقافة كان يجب على مشرعها ألا يفرقوا بين جنس و جنس وطائفة وأخرى لذلك نجد في تشريعها طابع الإنسانية العالمية بخلاف الحال في المجتمع الاسرائيلي الصغير الفقير والذي لم ينهض برسالة عالمية لتلك التي نهض بها العربي البابلي ومن هنا نفهم سر تمسك وحرص الشريعة البابلية على المحافظة على الملكية وأخذ المعتدى أو السارق بأقصى العقوبات بخلاف الحال في المجتمع الاسرائيلي فالتشريع الاسرائيلي تشريع مجتمع في طور النمو لم يبلغ بعد المسكاة التي تتطلب منه أن يعيش في كنف قانون عالمي يفرق بين العقيدة والمجتمع ، فالاسرائيلي يعتقد أن كل مخالفة لتعاليم الدين مخالفة للقانون العام .

وأقدم وثيقة جمع فيها القانون الاسرائيلي وجاءتنا هي تلك الواردة في سفر الخروج^(١) وهذه الوثيقة تعرف باسم « كتاب العهد » ويكاد يكون نسخة أخرى من شريعة حموربي . وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين يختلف كل عن الآخر شكلا وموضوعا فالقسم الأول يتناول المواد القانونية^(٢) أما القسم الثاني فيعنى بالمسائل العقائدية^(٣) هذا من ناحية الموضوع أما الأسلوب فلغة القسم الأول شرطية بينما جمل القسم الثاني أمرية . وإذا وجدنا بعض الاستثناءات فمرجع ذلك بعض الاضطراب الذي وقع في الكتاب من إضافة أو حذف وتكرار . وكتاب العهد حتى في خصائصه صورة مطابقة لشريعة حموربي فالجمل

(١) اصحاح ١٣ و ٢١ ي ١ - ٢٣ .

(٢) خروج ٢١ ي ١ إلى ص ٢٢ ي ١٦ .

(٣) خروج ٢٢ ي ١٧ إلى ص ٢٣ ي ١٣ .

الشرطية البابلية شرطية أيضا في العبرية والمواد البابلية التي لم ترد في كتاب العهد فعلة الاستغناء عنها عدم الحاجة إليها في المجتمع الاسرائيلي كما نقرر أيضا أن اللغة العبرية لم تكن قادرة على التعبير على هذه المعاني القانونية التعبير الصادق لذلك لم يكتب كتاب العهد ليكون مرجعا قضائيا .

وفي العهد القديم نجد غير كتاب العهد سفر التثنية وهو يعتمد اعتمادا كليا على كتاب العهد وعلى شريعة حمورابي .

وهناك مصدر تشريعي اسرائيلي آخر إلا وهو شريعة الكهنة وهو عبارة عن مجموعة الشرائع الواردة في العهد القديم وخاصة بالكهنة فهو مجموعة نصوص مع شرح تاريخي . وفي ثنايا شريعة الكهنة نجد قانون القداسة^(١) وهو يختص بالطقوس والكهنة والقرايين والأعياد وطهارة اللاويين كما أنه يذكر الحرق كوسيلة من وسائل الاعدام وبخاصة اعدام الذي يضطجع مع امرأة وأمها^(٢) كذلك الحال مع ابنة الكاهن. إذ تدنس بالزنا تحرق^(٣) .

، وإذا تركنا العهد القديم إلى التلمود وجدنا شريعة المجتمع الاسرائيلي تتطور تطورا بعيدا وتخضع لأهواء الربانيين وتجاوى تعاليم التوراة أحيانا وهذا مما عاون على قيام الثورة الدينية الخطيرة التي أنكرت قدسية التلمود ورفضته أعنى المذهب القرائي وذلك لأن الاسرائيلي لم يكديتدمج في المجتمع الإسلامي وينضوى تحت راية الإسلام حتى تبين

(١) لاويون ١٧ — ٢٦ .

(٢) لاويون ٢٠ ي ١٤ .

(٣) لاويون ٢١ ي ٩ .

الفروق الشاسعة بين الشريعتين وبخاصة فيما يتصل بمكانة المرأة وحقوقها في الشريعتين الاسرائيلية والاسلامية وذلك لأن اليهود العرب ما كانوا يستقرون في أوطانهم الجديدة بعد أن أجلاهم المسلمون عن قلب الجزيرة صيانة للاسلام الناشئ من دسائسهم حتى اضطروا أن يقيموا في العراق والشام وفلسطين حياة قاسية حقاً فهم الآن يخضعون دينياً لنظام تهودي شديد يقيد من حريتهم الدينية وتقاليدهم القبلية فهم الآن بين أمرين إما أن يغيروا من أنفسهم وعاداتهم وطبائعهم وإما أن تتغير أحكام التهود وبخاصة ما يتعارض منها والحياة الاجتماعية للمجتمع الاسلامي العربي .

قدما كانت العقيدة اسرائيلية ووثنية واليوم اسرائيلية واسلام وإذا ذكرنا الاسلام فأنما نعي دينا فتيا لم يتأثر بعد بفقه الفقهاء وتأويلات المتأولين . الاسلام دين التسامح ويقدر حرية العقيدة ولا اكراه في الدين ، (١) و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، (٢) و إنما هدىناهم السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ، (٣) و إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، (٤) و قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ، (٥)

— وإذا تركنا العقيدة إلى الأحوال الشخصية وجدنا القرآن الكريم يعنى بهذه الناحية الانسانية عناية كبرى فينظمها المجتمع الاسلامي تنظيمه

(١) سورة البقرة ي ٢٥٦ .

(٢) سورة الكهف ي ٢٩ .

(٣) سورة الإنسان ي ٣ .

(٤) سورة الإسراء ي ٧ .

(٥) سورة الإنفا ي ١٠٤ .

لَمْ تَأْتِ الشَّرِيعَةُ الْخَدِيثَةُ بِخَيْرٍ مِنْهُ فَالْمَرْأَةُ تَقْبُوا مَكَانًا رَفِيعًا فَيُوحَى إِلَيْهَا
كَمَا يُوحَى إِلَى الرَّجُلِ ، وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ^(١) وَ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ،^(٢) .

وَ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ،
وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ،^(٣)

وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى يَقَرُّرُ الْإِسْلَامُ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ ، فَاسْتَجَابَ
لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضْيِعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ،^(٤)
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ،^(٥) .

فَمِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَغَيْرِهَا يَتَضَحُّ لَنَا أَنَّ الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ سَيَانِ أَمَامَ اللَّهِ ،
وَسَيَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَلَهَا الْحَقُّ فِي الْمِيرَاثِ وَالْمِلْكِيَّةِ وَتَتَصَرَّفُ فِيهَا
تَمْلِكُ تَصَرَّفَ الرَّجُلِ ، وَآنُو النِّسَاءِ صَدَقَاتُهُنَّ نَحْلَةٌ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ
مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ،^(٦) وَ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ
، نَصِيبًا مَفْرُوضًا ،^(٧) وَ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِمَّا اكْتَسَبْنَ ،^(٨) .

(١) آل عمران ي ٤٢ .

(٢) طه ي ٣٨ .

(٣) القصص ي ٧ .

(٤) آل عمران ي ١٩٥ .

(٥) النحل ي ٩٧ .

(٦) النساء ي ٤ .

(٧) النساء ي ٧ .

(٨) النساء ي ٣٢ .

فمن هذه الآيات وغيرها نرى المسكاة التي تتبوأها المرأة المسلمة .
فإذا ما قابلنا بينها وبين اليهودية وجدنا الأخيرة تخضع لتعاليم وشرائع
ليست من التوراة في شيء وإنما هي من وضع رباني اليهود وقد ضمنوها
التلود . وهذه التعاليم التلودية وضعت المرأة الاسرائيلية في منزلة
دون تلك التي فرضتها عليها التوراة والأخيرة أقل بكثير من حقوق
المرأة المسلمة سواء في الزواج أو عند وفاة الزوج أو في حالة الطلاق
والميراث والتصرف في المملكية وغيرها ويكفي القارئ أن يراجع التلود
البابلي ، سيفر نشيم ، الفصول ، كتوبوت ، و ، حطين ، و ، سوطاه
قدوشين ، ويقابل بين هذه التعاليم وتلك التي نجدتها في الشريعة الإسلامية .
ومن هنا ندرك السبب الذي من أجله لجأت المرأة الاسرائيلية إلى المحاكم
الشرعية الإسلامية للفصل في التضايا التي تنصل بالأحوال الشخصية
فخشى رجال الدين الاسرائيلي سوء المصير الذي ينتظرهم فاجتمعوا
عام ٧٠٩ م ووقفوا بين كثير من أحكامهم الشرعية وتعاليم الإسلام .
وكانت النتيجة المحتومة لهذه القلقة الدينية أن كفر جماعة من الاسرائيليين
بالشريعة التلودية وأسسوا الفرقة المعروفة حتى يومنا هذا بطائفة القرائين .

القضاء

لا تتطلب الحياة القبلية حكومة منتظمة أو قضاء منظم وسلطة شيخ
القبيلة سلطة أدبية أكثر منها سلطة فعلية تنفيذية فهو يحاول الفصل
بطريق ودي في الخلاف الذي قد يقوم بين فردين من أفراد قبيلته
وللمتخاصمين أن يقبلا حكمه أو يرفضانه ولا سلطان له لفرضه على الطرفين
المتنازعين . وأقوى شيخ في القبيلة لا يستطيع تنفيذ حكمه على أضعف
فرد فيها ولو حاول ذلك تعرض لانتقام المدعى عليه . واليوم نجد

بعض القبائل تختار من بين أفرادها أناسا اشتهروا بحصافة الرأي وحب العدالة وتوليهم مناصب القضاء فيها وحتى هذا القاضي ليست لديه القوة لتنفيذ أحكامه وإذا حدث وعرضت قضية على القاضي وعجز عن الفصل فيها تركت هذه القضية لله وأحكامه .

وغير قضاء شيوخ القبائل وقضايتها نجد أيضا قضاء رجال الدين أعني الكهنة ويحدثنا العهد القديم أن ديثرو ، كبير كهنة مدين كان قاضيا أيضا (١) .

وفي المجتمع الاسرائيلي نجد النوعين من التقاضى معا أعني النظام الكهنوتي والنظام القبلي . فالسكاهن أو النبي إذا ما عرضت عليه مشكلة من المشاكل استشار الله فيوحى إليه بما يوحى هكذا فعل موسى (٢) ووظيفة السكاهن ارشاد الشعب إلى اتباع التعاليم الدينية والأحكام الشرعية (٣) . أما القضايا الصغيرة فكان يكتبها المتخصصان بعرضها على شيوخ الأسرة أو القبيلة الذين يباشرون عادة نظر مثل هذه الدعاوى . وتنص التوراة أن هذا النظام التشريعي أوجده موسى في المجتمع الاسرائيلي استجابة لرأى ديثرو ، كاهن مدين (٤) .

ففي هذه الآيات نجد نوعا من التنظيم القضائي والإدارى يفرض على المجتمع الاسرائيلي وهذا التنظيم ينص على أن لكل ألف أو خمسين

(١) خروج ٨١ ي ١٣ .

(٢) خروج ١٨ ي ١٠ و ١٩ .

(٣) خروج ١٨ ي ٢٠ وتثنية ٣٣ ي ١٠ .

(٤) تثنية ١ ي ١٥ وخروج ١٨ ي ١٩ ... وس ٢٤ ي ١ والعدد ١١ ي ١٦ .

أو سبعين رجلا يجب أن يعين شيخ وهو الرئيس ومن مجموع هؤلاء الشيوخ تكون مجلس الشيوخ الذى تولى قيادة الجماعة الاسرائيلية عندما نزحت إلى فلسطين وكان القوم ينظرون إلى أعضاء هذا المجلس على أن (يهوه) هو الذى اختارهم قضاة وحكاما لاسرائيل لذلك حرص المجتمع الاسرائيلي على تنفيذ أحكامهم وأوامرهم وكل من يخالف هذه الأحكام يطرد من المجتمع .

أما القضاء الكهنوتى فكان قد بلغ فى ذلك العصر مكانة أرفع وبخاصة فإن هذا المجلس القضائى كان يوجد فى كل قرية . وهكذا تجد المجتمع الاسرائيلي يخضع لنظامين قضائيين ثابتين ، ويمتاز القضاء الكهنوتى بالفصل فى القضايا الصعبة لأن الكاهن يقوم باستشارة الله للفصل فيها^(١) .

أما العصر الملكى فقد منح الملك وظيفة قاضى القضاة وهو المرجع الأخير كما نرى فى هذا من قصة المرأة التقوعية^(٢) ومن القضايا الأخرى التى كان يتقدم بها أصحابها مباشرة إليه للفصل فيها^(٣) .

أما إقامة الدعوى فكانت بسيطة جدا فى المجتمع الاسرائيلي فعند مدخل المدينة حيث يجتمع القوم للبيع والشراء أعنى فى السوق يجلس القضاة^(٤) . بخلاف أورشليم حيث شيد سليمان قاعة خاصة للفصل فى القضايا التى تعرض عليه . وجرت العادة أن يحضر كل من المدعى والمدعى عليه موضوعه ويتولى عرضه .

(١) خر ج ٢٢ ي ٨ .

(٢) صموئيل الثانى ١٤ .

(٣) تثنية ١٧ ي ٩ وللوك الأول ٣ ي ١٦ وصموئيل الثانى ١٥ ي ٢ .

(٤) تثنية ٢١ ي ١٩ .

(٥) تثنية ١٧ ي ٥ وس ٢١ ي ٢٠ وس ٢٥ ي ١ .

وجميع هذه الاجراءات تتم شفوية مع شهادة الشهود ويستثنى من احضار الشهود الوالد الذى يطلب اصدار حكم باعدام ابنه العاق^(١) وينص القانون صراحة على أن كل دعوى يجب أن تؤخذ فيها شهادة شاهدين على الأقل^(٢) .

وأقوال الشاهد الواحد لا تكفى لإدانة المتهم واستصدار الحكم باعدامه^(٣) . ويذكر المؤرخ اليهودى (يوسيفوس) فى تاريخه أنه لا يجوز شهادة النساء والعبيد . والقاضى مطالب بمناقشة الشاهد والتأكد من صدق شهادته^(٤) كما يجوز للقاضى ايقاع عقوبة على شاهد الزور والعقوبة هى تلك التى توقع على الذى سيشهد له^(٥) . وفى حالة عدم توفر الشهود يؤدى المدعى عليه القسم^(٦) وفى حالة خيانة المرأة لبعولها يصدر حكم الله كما هو وارد فى شريعة الكهنة^(٧) كما أن الحكم ينفذ فوراً أمام القاضى^(٨) عقب صدوره .

قانون العقوبات

المبدأ السائد فى قانون العقوبات فى المجتمع الاسرائيلى هو القائل
« العين بالعين والسن بالسن . . . » .

(١) تثنية ٢١ ي ١٨ .

(٢) تثنية ١٧ ي ٦ وانجيل متى ١٨ ي ٦ .

(٣) تثنية ١٧ ي ٦ وس ١٩ ي ٥ والمدد ٣٥ ي ٣٠ .

(٤) تثنية ١٩ ي ١٨ .

(٥) تثنية ١٩ ي ١٨ .

(٦) الخروج ٢٢ ي ٦ .

(٧) عدد ٥ ي ١١ — ٣٠ .

(٨) تثنية ٢٥ ي ٢ :

أو كما يعرف في التشريع الحديث باسم (Jus talionis)^(١) وكذلك
شريعة الكهنة^(٢) . وهذا التشريع لا يقصد منه الثأر والانتقام بل العقوبة
القانونية .

وقد يستبدل هذا الحكم بالدية إذا ما اتفق الطرفان المتخاصمان .
كذلك في حالة أحداث إصابة بالجسم فلا حق للمجتمع في رفع الدعوى
ما لم يتقدم بها المصاب وذلك عملاً بالمبدأ القائل حيث لا يوجد شاكي
لا يوجد قاضى . لكن في حالة الضرب المفضى إلى الموت أو القتل
لا تقبل الدية^(٣) .

وشريعة السن بالسن لا تطبق على العبيد ففي حالة قتل عبد يجب
على القاتل أن يدفع لسيده ثمنه وإذا تسبب السيد في اتلاف عين العبد
أو سن من أسنانه وجب عليه عتقه^(٤) .

ثم نجد شريعة السن بالسن والعين بالعين تطبق تطبيقاً معنوياً أعنى
إذا اقترف عضو من أعضاء الجسم خطيئة يتر هذا العضو كأن تقطع
يد الابن التي تمتد إلى الوالد وتصفعه أو يد المرأة التي تمتد إلى عورة رجل
لا يذاته^(٥) .

وتطبيق شريعة السن بالسن قد ينصرف إلى أى فرد من أفراد أسرة الجاني

(١) المروج ٢١ ي ٢٤ والثنية ١٩ ي ٢١ .

(٢) لاويون ٢٤ ي ٢٠ .

(٣) عدد ٣٥ ي ٣١ .

(٤) خروج ٢١ ي ٢٦ وس ٣١ ي ٣٢ .

(٥) ثنية ٢٥ ي ١٢ .

أو إلى كل أسرته وبخاصة في حالة النار^(١) . وفكرة نقل العقوبة إلى أفراد أسرة الجاني قوية جدا في شريعة المجتمع الاسرائيلي وذلك لأن دم القتييل ينجس الأرض ولا يطهرها إلا بإراقة دم القاتل^(٢) .

وهذا يفسر لنا اشتراك المجتمع في رجم الجاني حتى يتطهر سائر أفراد المجتمع من خطيئته ويقضى على الجريمة^(٣) .

أما تنفيذ الأحكام فمختلف فحكم الإعدام مثلا كان ينفذ في مكان خارج المدينة وذلك بزمى المجرم بالأحجار^(٤) وكانت طريقة التنفيذ أن يرمي الشهود أولا المتهم^(٥) . وهناك وسيلة أخرى أفسى وأشنع من الرجم لتنفيذ حكم الإعدام وهي الخازوق^(٦) . كذلك استخدم الاسرائيلي وسيلة الشنق^(٧) أو الحرق^(٨) . أما الصلب فقد أدخله الرومان إلى فلسطين وإن حرموا صلب المواطنين الرومانيين . أما سبب إصدار حكم الإعدام فهو حرمان المجرم من التمتع بالطقوس العادية المتبعة مع الميت .

وهناك عقوبات أخرى غير التي سبق ذكرها وهي عقوبات جسدية ومنها الجلد وكان يعاقب بها مثلا الرجل إذا اتهم زوجته عند الدخول

(١) الملوك الثاني ٩ ي ٢٦ ويشوع ٧ ي ٢٤ وخروج ٢٠ ي ٥ وس ٣٤ ي ٧ .

(٢) عدد ٣٥ ي ٣٠ .

(٣) تثنية ١٩ ي ١٩ .

(٤) لاويون ٢٤ ي ١٤ والعدد ١٥ ي ٣٦ والملوك الأول ٢١ ي ١٠ .

(٥) تثنية ١٦ ي ٧ .

(٦) صموئيل الثاني ٢١ ي ٩ .

(٧) تثنية ٢١ ي ٢٢ ...

(٨) لاويون ٢٠ ي ١٤ وس ٢١ ي ٩ ويشوع ٧ ي ١٥ و ٢٥ .

بيها أنها ليست بكر (١) . وإذا أذنب شخص يحكم القاضي بجلده أمامه حسب ذنبه وخطورة جريمته (٢) وحدد القانون عدد الجلدات بأربعين (٣) وفي العمود المتأخرة أصبح الحد الأقصى تسعا وثلاثين جلدة (٤) وكان الجلد أولا بالعصا ومن ثم أستعير عنها بعضا تنتهي بثلاث شعب من الجلد وكانت أقصى من العصا حتى خفض عدد الضربات إلى ثلاث عشرة .

وتدين من قانون العقوبات أيضا أن المجتمع الاسرائيلي عرف الغرامات وهو يفرق بين نوعين : غرامة ، الاثم ، أى (اشم) وغرامة الخطيئة (حطاءات) (٥) .

والشي الجدير بالذكر أن الاسرائيلي لم يعرف العقوبات الاختيارية . بذليل أنه لم يصلنا منها إلا بعض الحالات الفردية كتلك التي نجدها في الملوك الأول (٦) حيث أرسل الملك ودعا د شمعى ، ثم أمره أن يبني لنفسه بيتا في اورشليم ويقم فيه ولا يرحله . لكن الشيء الهام أننا كثيرا . ما نقرأ في العهد القديم اخبارا متعلقة بمختلف وسائل التعذيب ومنها المقصلة . (مهبخت) (٧) .

وبعد عصر السبي ظهر السجن (بيت مهبخت) (٨) وغير هذه العقوبات المختلفة نجد كذلك النفي (٩) .

(١) تثنية ٢٢ ي ١٣ - ١٩ .

(٢) تثنية ٢٥ ي ١ - ٣ .

(٣) تثنية ٢٥ ي ١ - ٣ .

(٤) كورنثوس الثانية ١١ ي ٢٤ .

(٥) الملوك الثاني ١٢ ي ١٧ .

(٦) اصحاح ٢ ي ٣٦ .

(٧) أرميا ٢٠ ي ٢ ...

(٨) الملوك الثاني ١٦ ي ١٠ وس ١٨ ي ٢٦ .

(٩) الملوك الثاني ٦ ي ٢٦ .

أما العقوبة فتختلف باختلاف نظرة المجتمع الاسرائيلي إليها فالعقوبة مثلا قد تستهدف نتائج موضوعية أو شخصية أو كليهما . فالشريعة تفرق بين القتل العمد وغير العمد فالإصابة التي يسببها شخص بجسد شخص آخر إن كانت مع سبق الاصرار تطبق على الجاني شريعة العين بالعين والسن بالسن وإن كانت غير متعمدة فيسكتفى بدفع نفقات العلاج . كما يلاحظ في التشريع الاسرائيلي الحكم بالاعدام في كثير من الحالات مثل الخيانة الزوجية وعقوق الابن أما قتل النفس فيعتبر من أشنع الجرائم لذلك كان الثأر واجبا مقدسا وشرعة الهية^(١) والمطالب بأخذ الثأر هو أول قريب للقتيل ويعرف باسم « ولي الدم » « جولد هدم » وله أن يقتل أى فرد من أسرة القاتل فالقتل لا ينصب على القاتل وحده بل على كل أسرته وتعترف الشريعة بأخذ الثأر^(٢) ثم بعد ذلك نرى الحكومة تحاول أن تتولى هى الثأر للقتيل باعدام القاتل^(٣) ولو أن هذه المحاولة لم تستقم دائما للحكومة ثم نرى الحاكم يحاول حصر حالات القتل التي تتطلب الثأر ففرق بين القتل العمد والقتل غير العمد ففي الحالة الأخيرة فالقاتل قد نفذ ارادة الهية^(٤) كذلك من أصاب أصابلا عند ما كان يحاول السرقة واداه قتيلا لاعتقابه عليه ولا تآزر لكن إذا أصابه الشمس طالعة اعتبر قاتلا وحق لأهل القتيل الثأر منه^(٥) . أما إذا تسبب ثور في قتل شخص فيختلف القصاص منه حسب ظروف الثور وصاحبه^(٦) . وقد حرص المجتمع الاسرائيلي على انقاذ حياة القاتل غير المتعمد وعارنته الشريعة

(١) تكموين ٩ ي ٥ - ٦ .

(٢) تثية ١٩ والعدد ٣٥ .

(٣) صموئيل الثاني ١٤ ي ٤ .

(٤) خروج ٢١ ي ١٢ ...

(٥) خروج ٢٢ ي ١ - ٢ .

(٦) خروج ٢١ .

على تنفيذ هذه الرغبة وتحققها فأصبح من حق هذا القاتل اللواذ بأى مكان مقدس^(١) .

وفيما يتصل بالآداب العامة فقد حرص المجتمع الاسرائيلي على احترامها وفرض عقوبة الاعدام على كل من تسول له نفسه الاستهانة بها فكل من يقترب فاحشة جنسية مع الحيوان يعدم^(٢) وكذلك حرمت الشريعة كشف عورة الأهل والأقارب وفرضت أقصى العقوبات على المستهترين^(٣) . كما أحاط المجتمع الأسرة بتشريع يكفل المحافظة عليها وعلى شرفها وفرض أقصى العقوبات على الخيانة الزوجية أو محارلة الرجل الانتقاص من شرف وعفة زوجته^(٤) والموت للابن أو الابنة إذا اعتدى أحدهما على الوالد^(٥) .

وكما أن الشريعة اهتمت بالآداب العامة وصيانتها كذلك اهتمت بنفسها فاعدمت كل من تسول له نفسه العودة إلى الوثنية^(٦) أو عدم احترام (السبت)^(٧) أو إهمال الختان^(٨) وهما جرا .

(١) خروج ٢١ ي ١٣ .

(٢) خروج ٢٢ ي ١٩ .

(٣) لاويون ١٨ .

(٤) تثنية ٢٢ ي ١٣ .

(٥) خروج ٢١ وتثنية ٢١ .

(٦) تثنية ١٣ .

(٧) خروج ٣١ .

(٨) تكموين ١٧ .

القانون المدني

المواطن

يتمتع بجميع الحقوق كل فرد في المجتمع الاسرائيلي بلغ سن الرشد. أما الطفل القاصر والفتاة غير المتزوجة فيخضع كل منهما للولاية الشرعية للاب وكذلك الحال مع المرأة المتزوجة والرقيق : أما الرجل الدخيل على القبيلة فيحتمل فقط ولكن إذا ما بلغ سن الخدمة العسكرية أعني العشرين وأصبح غير قاصر فيتغير موقف القبيلة منه ويعامل معاملة أخرى (١) .

أما العبد فهو ملك سيده يتصرف فيه وفي حياته كما يشاء (٢) كذلك قتل السيد للعبد الأجنبي والذي ليس ملك يده يعوض عنه صاحبه تعويض المتاع (٣) . كذلك شريعة العين بالعين والسن بالسن لا تطبق على العبد بالرغم من أن الشريعة حرصت على المحافظة عليه وحمايته من سوء المعاملة (٤) . كما تنص الشريعة على وجوب عتق عبد الدين في العام السابع من استرقاقه . وهو اسرائيلي وقد يعتق قبل هذه المدة .

أما موقف الشريعة الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلي من الأجنبي . فيغاير تماما موقف المجتمع العرب البابلي الذي لا يفرق بين العربي البابلي . وغير البابلي فالجميع مواطنون بخلاف الحال في المجتمع الاسرائيلي الذي يميز .

(١) المدد ١ ي ٣ واللاويون ٢٧ ي ٣ ---

(٢) خروج ٢١ ي ٢٠ .

(٣) خروج ٢١ ي ٣٢ .

(٤) خروج ٢١ ي ٢٦ - ٢٧ .

الاسرائيلي على غير الاسرائيلي فالاسرائيلي يفرق بين الاجنبي الذي يعيش معه والاجنبي الغريب عنه فهو يطلق على الاول (جير) وعلى الثاني (نكرى) ^(١) والاجنبي الغريب أعني (نكرى) لا تربطه بسبط اسرائيل علاقة حماية وأمان ^(٢) ولو أنه يتمتع بحمايته كضيف فقط وفيما عدا هذا لاحق له من حقوق المواطن الاسرائيلي حتى هذه الحقوق التي يتمتع بها الفقير المعدم أو المواطن المستضعف أو تحريره بعد سبعة أعوام إذا كان رهينة دين ^(٣) .

أما الـ (جير) فهو الاجنبي الذي يعيش مع الاسرائيلي ويتمتع بحق الحماية ولو أن حقوقه منقوصة ^(٤) ويحرم عليه زواج المتعة ^(٥) . والاجنبي سواء كان دجير ، أو دنكرى ، كائن ليس في مرتبة الاسرائيلي بل دونه منزلة ^(٦) . ولو اعتنق الـ دجير ، عقيدة حاميه الاسرائيلي فإنه بالرغم من ذلك يعامل عقائديا معاملة أخرى ^(٧) .

أما فيما يتعلق بحرية العقائد فالمجتمع الاسرائيلي حرم على الـ دجير ، مباشرة عباداته الأصلية والتي يعتبرها الاسرائيلي منافسة لعقيدته ونجسة ^(٨) وذهب الاسرائيليون بعيدا في تعصّبهم حتى أنهم طالبوا الـ دجير ،

(١) تثنية ١٤ ي ٢١ .

(٢) نكرون ٣١ ي ١٥ .

(٣) تثنية ١٥ ي ٣ وس ٢٣ ي ٢١ .

(٤) خروج ٢٢ ي ٢٠ وس ٢٣ ي ٩ وتثنية ١٠ ي ١٨ .

(٥) تثنية ٧ وس ٢٣ .

(٦) تثنية ١٤ ي ٢١ .

(٧) تثنية ١٤ ي ٢١ والملوك الأول ١١ ي ٧ - ٨ .

(٨) لاويون ١٧ وس ١٨ وس ٢٠ والمدد ١٩ .

باحترام السبت وصيام يوم (كبور) كما أنه يجب عليه في أسبوع الفصح ألا يأكل خبزا خميرا ولا يجوز له الاحتفال بالعيد إلا إذا كان مختونا^(١). كما أن الدجير ، مطالب بالتكفير عن كل مخالفة يأتي بها ضد الشريعة مثله مثل الاسرائيلي^(٢) ويقدس اسم ديهوه ،^(٣) ويؤدي جميع الوصايا التي تأمر بها الشريعة حتى لا يرتكب في الوطن الاسرائيلي عملا يغضب الله . وفي مقابل هذا يتمتع بالمساواة بالاسرائيلي أمام القضاء^(٤) وبالرغم من كل هذا فلا مساواة بينه وبين الاسرائيلي فليس له الحق في الاحتفاظ برقيق اسرائيلي وإذا حدث وباع اسرائيلي نفسه كعبد رقيق إلى دجير ، فحرام على الدجير ، أن يعامله معاملة الرقيق بل يعامله معاملة الأجير الحر ولأهل المسترق الحق في عتق رقبته متى شاءوا^(٥) .

النكاح

النكاح مسألة شخصية لانهم الدولة أو المجتمع اهتماما مباشرا ويتم النكاح عن طريق عقد شرعى هو عقد بيع وشراء لذلك فالمرأة ملك خاص للرجل وله هو فقط الحق في الطلاق كما أن له الحق في نكاح أكثر من زوجة وامتلاك المحظيات . ولا تحول الشريعة دون اتمام صيغة النكاح إلا عند الزواج من الشعوب الوثنية أو أقرب الأقربين .

(١) لاويون ١٦ ي ٢٩ وخروج ١٢ ي ١٩ .

(٢) العدد ١٥ .

(٣) لاويون ٢٤ ي ١٦ .

(٤) لاويون ٢٤ ي ٢٢ والعدد ٣٥ ي ١٥ .

(٥) لاويون ٢٥ ي ٤٧ .

لكن هذا التشريع لم ينجح ويفرض سلطانه على المجتمع الاسرائيلي
فمثلا (روث) موآية ومن نسلها مع « بوعز » جاء داود كذلك تزوج
شمشون من امرأة فلسطينية^(١) والفنان العظيم « حيرام » هو ابن
رجل من صور وامرأة اسرائيلية^(٢) كذلك اقترن (أوربا) الحيثي
من اسرائيلية^(٣) أما نساء داود وسليمان الاجنبيات فكثيرات جدا^(٤) .

وأخيرا نجد التثنية تجيز اتخاذ سبايا الحرب الاجنبيات محظيات^(٥)
وبعد السبي نجد كثيرين من الاسرائيليين حتى السكينة يتزوجون من اجنبيات
ولم ينجح عزرا في مقاومة هذا التيار الخطير إلا بعد كفاح طويل^(٦) .

أما فيما يتعلق بالزواج بين الأقارب فقد حرمت الشريعة : —

- ١ — الزواج من امرأة الأب^(٧) .
- ٢ — زواج الرجل من أخته بنت أبيه أو بنت أمه^(٨) .
- ٣ — زواج الرجل من حماته^(٩) .
- ٤ — الزواج من ابنة الابن أو ابنة البنت^(١٠) .

(١) قضاة ١٤ ي ١ ... وس ١٦ ي ٤ ...
(٢) الملوك الأول ٧ ي ١٤ .
(٣) صموئيل الثاني ١١ ي ٣
(٤) صموئيل الثاني ٣ ي ٣ والملوك الأول ١١ ي ١ وس ١٦ ي ٣١ .
(٥) تثنية ٢١ ي ١٠ .
(٦) عزرا ٩ — ١٠ .
(٧) تثنية ٢٣ ي ١ وس ٢٧ ي ٢٠ .
(٨) تثنية ٢٧ ي ٢٢ .
(٩) تثنية ٢٧ ي ٢٣ .
(١٠) لاويون ١٨ ي ١٠ .

- ٥ - الزواج من العممة أو الخالة^(١) .
- ٦ - الزواج من امرأة العم^(٢) .
- ٧ - الزواج من الكنته^(٣) .
- ٨ - الزواج من امرأة الأخ^(٤) .
- ٩ - الزواج من امرأة وابنتها^(٥) .
- ١٠ - الزواج من أختين معا^(٦) .

ومما يلتفت النظر أنها لم تحرم زواج الأب من ابنته ولم تنص على تحريم النكاح بين أفراد أشد قرابة من الذين جاء ذكرهم فمثلا نجد الآباء الأولين مثل يعقوب ينكح أختين معا وهما ليئة ورحيل كما اقترن إبراهيم باخته وفي عصر داود كثر التزاوج بين الإخوة وإخواتهن في الأسرة المالكة^(٧) . وفي أيام حزقيال النبي كثرت مخالفة الشريعة لأن العادة كانت أقوى^(٨) .

الطلاق

الطلاق من حق الزوج فقط وعليه أن يبدى رغبته هذه كتابة

-
- (١) لاويون ١٨ ي ١٢ - ١٣ .
 - (٢) لاويون ١٨ ي ١٤ .
 - (٣) لاويون ١٨ ي ١٥ .
 - (٤) لاويون ١٨ ي ١٦ .
 - (٥) لاويون ١٨ ي ١٧ .
 - (٦) لاويون ١٨ ي ١٨ .
 - (٧) صموئيل الثاني ١٣ ي ١٣ .
 - (٨) حزقيال ٢٢ ي ١٠ - ١١ .

(سيفر كريتوت) ^(١) وإذا اقترنت المطلقة برجل آخر ثم توفي هذا الزوج الثاني أو طلقت منه لا يحق لزوجها الأول إعادتها إلى عصمتها ^(٢) وهنا تخالف الشريعة التقاليد الاسرائيلية القديمة التي تبيّنها في العهد القديم ^(٣) . ولا يجوز للاسرائيلي أن يطلق امرأته إذا ثبت أن تهمة عدم وجود البكارة عند دخوله بها غير صحيحة ^(٤) .

البيع والشراء

ليس المجتمع الاسرائيلي كما قد يتبادر إلى الأذهان مجتمعاً تجارياً بالطبع فهو لم يتذوق طعم التجارة إلا في السبى البابلي . وبعد عودته من السبى أخذ يباشر التجارة وإن كان لم يعرف أو لم يستخدم عقود البيع والشراء إلا أيام أرميا ^(٥) . وتتفق عقود البيع والشراء وعقود الزواج مع تلك التي كانت مستعملة في بابل . وإذا لم يبرم عقد بيع وشراء يقوم الشهود مقام العقد ^(٦) . أما العادة القديمة التي كانت متبعة لإبرام البيع أو الشراء أو لانتقال الملكية من شخص إلى آخر فعبارة عن طرح النعل على الشيء المراد امتلاكه ^(٧) أو خلع النعل كما جاءنا في روث ^(٨) فالبايع كان عادة يسلم حذاه للمشترى دلالة على تنازله عن الشيء المباع .

وفيما يتصل بالأرض والعقار فقد كان من العسير على الابن أن يبيع

-
- (١) أشعيا ٥٠ ي ١ وأرميا ٣ ي ٨ .
 - (٢) أرميا ٣ ي ١ .
 - (٣) هوشيم ٣ ي ٣ وسموئيل الثاني ٣ ي ١٤ .
 - (٤) نشية ٢٢ ي ١٣ و ١٩ .
 - (٥) أرميا ٣١ ي ٧ .
 - (٦) تكوين ٣٢ ي ٧ — ٢٠ .
 - (٧) مزمور ٦٠ ي ٨ .
 - (٨) إصحاح ٤ ي ٧ .

• ما خلفه له الوالدان وذلك لأنه يشعر بالرابطة القوية التي تربط بين الأسرة وبين الأرض أو العقار وبخاصة ففيها دفن والداه أو أقاربه لذلك كانت أمنية الابن ألا يبيع هذا التراب^(١) وهكذا نشأت الشفعة أعني إذا اضطرت الظروف أحد أفراد الأسرة إلى بيع أرضه فلا تى فرد من أقاربه الحق في استرداد الأرض المباعة بعد دفع الثمن الذى دفعه المشتري الغريب^(٢) .

• لكن إذا كان البيت المباع يقوم فى مدينة مسورة وهضى على بيعه عام سقطت الشفعة وأصبح من حق المشتري^(٣) . أما الرأى القائل بأن جميع الأرض ملك لله وأن الاسرائيليين منتفعون مؤقتون فقط . فمتأخر جدا وهو تخريج دينى فقط^(٤) واعتمادا على هذا التخرج الدينى الجديد أصبح كل عقار ، مع استثناء المنازل المقامة داخل المدن المسورة ، من حق صاحبه الاصلى استرداده بعد خمسين عاما وبدون دفع تعويض^(٥) . فكل عقد بيع هو فى الواقع عقد إيجار لمدة أقصاها خمسون عاما .

• وإذا استدان شخص مبلغا من المال فللدائن الحق فى الحصول على رهن من المدين يضمن له حقه وإن كان الرهن معطف المدين الذى يتدثر به ليلا فالدائن ملزم برد معطفه إليه قبل غروب الشمس^(٦) . ويحرم القانون أخذ الربا الفاحش من المواطنين ولو أن الشريعة لم تحدد لنا الحد الأقصى^(٧) كما أن المدين وأسرته متضامنون فى سداد الدين

(١) الملوك الأول ٢١ ى ٣ .

(٢) أرميا ٣٢ ى ٨ ولاويون ٢٥ ى ٢٣ .

(٣) لاويون ٢٥ ى ٣٠ .

(٤) لاويون ٢٥ ى ٢٣ .

(٥) لاويون ٢٥ ى ١٣ .

(٦) خروج ٢٢ ى ٢٥ .

(٧) خروج ٢٢ ى ٢٤ .

وإلا فللدائن الحق في استرقاقهم وبيعهم^(١) . وهذا الاسترقاق ان تتجاوز صلاحيته أكثر من سبع سنوات حيث تفك رقبة المدين وأسرته . وحرمت الشريعة رهن رحي الفقير أو ملابس الأرملة لأن رهن هذه الأمتعة هو في الواقع رهن للحياة^(٢) .

ويحرم القانون على الدائن دخول بيت المدين واختيار الرهن الذي يريده بل عليه أن يبقى خارج الدار والمدين هو الذي يحضر إليه الرهن الذي يريده^(٣) .

وذهب التشريع بعيدا فحرم على الاسرائيلي الحصول حتى على فوائد دينه من مواطنه الاسرائيلي^(٤) . لكن إذا كان المدين غير اسرائيلي أعني أجنبيا فللدائن أن يتناول منه فائدة .

أما السرقة فيعاقب اللص بردها مضاعفة كما أن كل فرد مشغول عما يحدثه من تلف أو خسارة .

الميراث

يوزع بين الأبناء ويحصل البكر على ضعف نصيب الابن الآخر^(٥) . وللوالد الحق في حرمان الابن البكر من هذه الميزة في الميراث ومنحها لآخر^(٦) .

(١) للوك الثاني ٤ وأشعيا ٢٤ و ٥٠ .

(٢) تثية ٢٤ .

(٣) تثية ٢٤ ي ١٠ — ١١ .

(٤) تثية ٢٣ ي ٢٠ — ٢١ وحزقيال ١٨ ي ١٥ .

(٥) تثية ٢١ ي ١٧ .

(٦) تكوين ٤٩ ي ٣ وى ٢٢ — ٢٦ والملوك الأول ١ ي ١١ — ١٣ .

ومقابل هذه الميزة التي يتمتع بها الابن البكر يطالب برعاية الإناث غير المتزوجات من أسرته . وذلك لأنه بعد وفاة والده يصبح هو رب الأسرة .

أما فيما يتعلق بأبناء المحظية فهم يرثون^(١) إلا أننا لا نعرف مدى أنصبتهم وإن كان نصيب الواحد كنصيب ابن الزوجة الشرعية . كذلك الابن المتبنى له الحق في الميراث^(٢) . أما أرملة المتوفى فلا ترث وذلك لأنها تعتبر وكأنها جزء من الميراث^(٣) . كذلك البنات لا يرثن إذا ترك الوالد أولادا ذكورا لكن في حالة عدم وجود ذكور ترث البنات^(٤) . وإذا لم ينجب المتوفى أطفالا أو مات ولم يكن له على قيد الحياة أطفال ينتقل الميراث إلى أقرب الأقربين من الأسرة وعلى الوارث أن يتكفل بأرملة الفقيد أعني يتزوجها وإلا فإنها ستعود إلى بيت والدها حتى قد تتاح لها الفرصة هناك لتتزوج ثانية^(٥) .

الدفاع

كل قادر على حمل السلاح فهو محارب وسلاح الاسرائيلي البدوي عبارة عن حربة وفرس مكر مفر وناقة هيفاء أما التعبئة العامة للغزو فتتم عن طريق تجمع العشيرة حول فارسها وإذا كان العدو أشد مراسا تستعدت القبيلة حلفاءها وهاجموا مجتمعين العدو ومن يكتب له النصر يقتسم الاسلاب ويعود أدراجه . أما المعارك التي خاضها الاسرائيليون

(١) تكوين ٢١ ي ١١ .

(٢) تكوين ٣٠ ي ٣ وص ٥٠ ي ٢٣ .

(٣) صموئيل الثاني ١٦ ي ٢١ — ٢٢ والملوك الأول ٢ ي ١٣ .

(٤) عدد ٢٧ ي ٤ .

(٥) تكوين ٣٨ ي ١١ ولأويون ٢٢ ي ١٣ وروث ١ ي ٨ .

قلم تتطلب أكثر من ستمائة مقاتل . أما فن القتال الاسرائيلي فلم يرق إلى مستوى الكنعاني أو الفلستيني حيث تتكون قواتهم المحاربة من فرسان ومشاة ومركبات من حديد^(١)، أغنى جيشا نظاميا . ولم يبلغ الاسرائيليون هذه المرتبة إلا عندما نزلوا المدن المحصنة فكان لكل أمير قبيلة أو مدينة جيشه الصغير الخاص الذي يدافع عنه وعن إمارته^(٢) .

وظل المجتمع الاسرائيلي يتدرج في التطور الاجتماعي حتى أصبح مملكة وأول ملك على الاسرائيليين شاول ثم خلفه داود فظهر أيام شاول أول جيش اسرائيلي وانضم إليه كل اسرائيلي لائق للخدمة العسكرية^(٣) ولهذا السبب كلف داود ضباط جيشه بعمل تعداد للمجتمع الاسرائيلي^(٤) .

ويروى أن نبوخذ نصر لما سبي الاسرائيليين نقل إلى بابل نحو عشرة آلاف رجل يعتقد أنهم كانوا يكونون الجيش النظامي ولم يترك في فلسطين إلا الفلاحين^(٥) . ولم يعف من الخدمة العسكرية إلا الكهنة واللاويون^(٦) ويذكر سفر التثنية^(٧) أسبابا أخرى لإعفاء بعض المواطنين من الجندية .

ويمتاز الجيش في ذلك العصر بأنه كان مقسما إلى عدة فرق من ألف

(١) قضاة ١ ي ١٩ وصموئيل الأول ١٣ ي ٥ .

(٢) قضاة ٩ ي ٢٩ .

(٣) العدد ١ ي ٢ — ٣ وص ٢٦ ي ٢ .

(٤) صموئيل الثاني ٢٤ ي ١ وأخبار الأيام الأول ٢١ ي ٢ .

(٥) الملوك الثاني ٢٤ ي ١٤ .

(٦) العدد ٢ ي ٣٣ .

(٧) ص ٢٠ ي ٥ — ٨ وص ٢٤ ي ٥ .

وأخرى من مائة وثلاثة من خمسين جنديا وكانت كل مجموعة تحت امره قائد خاص^(١). أما اللواء الضارب في الجيش فهو الذى كان يكون الحرس الملكى لشاؤل وداود من بعده^(٢).

وحرس داود كان مكونا من أوائلك الفتيان الذين عاونوا على بسط سلطانه على جنوب البلاد^(٣) لذلك كانوا يلقبون بلقب « جبوريم » أى « الجبابرة أعني الأبطال » ومعظم جنود هذا الحرس أعني هؤلاء الجبابرة لم يكونوا اسرائيليين بل من الأجانب . وعير هؤلاء الأبطال (جبوريم) نجد آخرين فلسطينيين مرتزقة فى خدمة داود أيضا^(٤) . وقد جرى الولاة المحليون الملوك فى هذه السنة حيث اتخذ كل منهم له حرصا خاصا^(٥) .

أما سلاح الفرسان الذى يكون سلاحا هاما فى الجيش الاسرائيلى فالفضل فى إيجاده وتكوينه يرجع إلى سليمان وإليه أيضا يرجع الفضل فى إدخال سلاح المركبات الحربية فى الجيش الاسرائيلى^(٦) . وكان هذا الجيش يهسكر فى مدن مختلفة^(٧) .

الأسلحة والذخيرة

عرف الجيش الاسرائيلى نوعين من الأسلحة الخفيفة والثقيلة واشتهر

(١) صموئيل الأول ٨ ي ١٢ وس ١٧ ي ١٨ وس ١٨ .

(٢) صموئيل الأول ٤ ي ٥٢ وس ٢٢ ي ١٤ .

(٣) صموئيل الأول ٢٢ ي ٣ وس ٢٣ ي ١٣ .

(٤) صموئيل اثنان ١٥ ي ١٩ .

(٥) الملوك الأول ٢٠ ي ١٤ .

(٦) الملوك الأول ٥ ي ٦ وس ١٠ ي ٢٦ .

(٧) الملوك الأول ٩ ي ١٩ وس ١٠ ي ٢٦ .

سبط بنيامين باستخدام الأسلحة الخفيفة وبخاصة القوس والمقلع^(١) .
 أما أسباط يهوذا وجاد ونفتالى فقد اشتهروا باستخدام الرماح والمجن^(٢)
 والأسلحة الخفيفة عبارة عن المقلع والقوس ومجن صغير .
 والمقلع ويعرف في العبرية باسم (قلع) وكان أيضا سلاح الرعاة^(٣)
 وهو عبارة عن سير من الجلد أو سير مجدول وفي وسطه جزء مسطح
 يشبه الكفة وبهذا الاسم يعرف في العبرية الدارجة^(٤) . وفي هذه
 الكفة يوضع عادة حجر ناعم^(٥) أما استخدام المقلع فسهل يسير
 فما على حامله إلا أن يدير يده اليمنى على هيئة دائرة ومن ثم يترك أحد
 طرفي المقلع فينطلق الحجر إلى هدفه .

أما القوس أو القسى كذا يعرف في العبرية أيضا (قشت) فيصنع
 من الخشب القوى المرن^(٦) وأحيانا من البرنز^(٧) . أما الأوتار فعادة
 من مصارين الشيران أو الجمال والسهم من الخشب الخفيف وينتهي طرفه
 المدبب بحجر صوانى أو بقطعة من المعدن أو الحديد^(٨) وأحيانا كانت تسمم
 رؤوس السهم^(٩) . ولإحداث نيران في معسكر الأعداء كان يحمل
 السهم رأسا مطليا بالقار ويشعل ويطلق على معسكر العدو . وتحمل
 الأسهم عادة في كنانة . أما المجن فيصنع عادة من الخشب ثم يكسى بطبقة
 أو أكثر من الجلد .

-
- (١) أخبار الأيام الأول ٨ ي ٤٠ وس ١٢ ي ٢ .
 (٢) أخبار الأيام الأول ١٢ ي ٨ و ٢٤ و ٣٤ وأخبار الأيام الثاني ١٤ ي ٧ .
 (٣) صموئيل الأول ١٧ ي ٤٠ .
 (٤) صموئيل الأول ٢٥ ي ٢٩ .
 (٥) صموئيل الأول ١٧ ي ٤٠ .
 (٦) صموئيل الثاني ١ ي ٢٢ .
 (٧) صموئيل الثاني ٢٢ ي ٣٣ وأيوب ٢٠ ي ٢٤ .
 (٨) أشعيا ٤٩ ي ٢ وأرميا ٥١ ي ١١ .
 (٩) أيوب ٦ ي ٤ .

أما الأسلحة الثقيلة فعبارة عن مجن كبير ودرع وخوذة وكانت هذه الأسلحة تكاد تكون خاصة بالملوك وعظماء القوم^(١) . ويرى أن (أوريا) هو أول من سلح الجيش الاسرائيلي بالخوذة والدرع^(٢) أما الخوذة فكانت عادة من الجلد وقد تسمى بالمعدن كذلك الدرع فعبارة عن شك (جاكتة) من الجلد السميك مقوى بصفائح من الحديد^(٣) أما سلاح الهجوم للجندى المدجج بالأسلحة الثقيلة فالسيف والحرية أو الرمح^(٤) .

أما عربة القتال فقد أخذها الاسرائيليون عن الحيثيين عن طريق الكنعانيين^(٥) وفي كل عربة ثلاثة جنود السائس والثاني المحارب ثم حامل المجن الذي يحمي الاثنين .

الحصون

الحصون التي عرفها المجتمع الاسرائيلي عن الكنعانيين عبارة عن المدن المسورة فهذه الأسوار كانت تكفي لرد عادية المعتدين الذين كان سلاح هجومهم الوحيد عبارة عن المقلاع أو القوس وهذا النوع من السلاح لن يصيب إلا الأهداف التي لا تبعد عن الرامي ثلاثين مترا^(٦) إصابة قوية .

وقد قلد الاسرائيليون الكنعانيين في تحصين مدنها وحدودهم

(١) صموئيل الأول ١٧ ي ٥ و ٢٨ و ص ٣١ ي ٩

(٢) أخبار الأيام الثاني ٢٦ ي ١٤ .

(٣) صموئيل الأول ١٧ ي ٥ و ٢٨ — ٣٩ .

(٤) أيوب ٣٩ ي ٢٣ و ص ٤١ ي ٢١ .

(٥) الملوك الأول ١٠ ي ٢٨ — ٢٩ .

(٦) العدد ١٣ ي ٢٨ والثنية ١ ي ٢٨ .

فحشدوا عددا من الحصون وبجاعة على حدودهم الغربية^(١) ومن أشهر هذه المدن المحصنة اورشليم وسامريا ومجيدو وغيرها .

القتال

لا يذكر لنا العهد القديم شيئا عن فن الحرب وإدارة المعركة واستخدام الأسلحة من خفيفة وثقيلة عند الاسرائيليين وكل ما جاءنا لا يتعدى إشارات عابرة عن استعداد الجيش لخوض المعركة وأنه اتخذ موقفه للقضاء على العدو^(٢) وهناك إشارة تفيد أن الجيش يريد أن يباغت العدو ليلا^(٣) أو أنه يحاول أن يضلل العدو فيتظاهر أنه يريد أن يباغته من جهة ما ثم ينقض عليه من جهة أخرى^(٤) وعند ما ينقض على خصمه يصبح هبة القتال (ترع) . أما القتال فكان ينشب فرادى لاجتماعات حيث تظهر بطولة المحارب ومهارته أما المعسكر فكان يحصن بأحاطته بدائرة من العربات (معجل)^(٥) بينما يظل الطريق مفتوحا وتحت حراسة قوية^(٦) .

أما عند الرغبة في ضرب الحصار على مدينة ما فقد كان الاسرائيلي

(١) أخبار الأيام الثاني ١١ ي ٥ . . .

(٢) القضاة ٧ ي ١٦ و صموئيل الأول ١١ ي ١١ . وس ١٤ ي ١٣ . . .

(٣) القضاة ٧ ي ١٧ .

(٤) الملوك الأول ٢٠ ي ١٦ وقضاة ٩ ي ٣٤ . و صموئيل الأول ١٥ ي ٥ .

(٥) صموئيل الأول ١٧ ي ٢٠ .

(٦) صموئيل ١٧ ي ٢٢ وس ٣٠ ي ٢٤ .

يحكم قفلها أولا حتى يمنع وصول الاقوات إليها^(١) . وإذا نجح المحاصر في منع وصول المياه إليها فقد استولى على المدينة . أما الأسوار فكانت الاسرائيلي يحاول هدمها وذلك عن الطريق التسلل إليها وتحطيمها^(٢) بواسطة المنجنيق^(٣) .

اما فيما يتعلق بحق المنتصر فإن الأسير يسترق^(٤) ما لم يقتل وهذا كان هو الغالب^(٥) . أما المدينة التي كانت تفتح بالقوة فكانت تستباح فيقتل رجالها وتسبي النساء والأطفال^(٦) لكن لا يفهم من هذا أن النساء والأطفال لم يتعرضوا لأقسى أنواع التعذيب والقتل والبلاء فالعهد القديم غنى بالآيات التي تشير إلى مدى وحشية الاسرائيلي وأنه لا يحترم امرأة أو يشفق على طفل فكثيرا ما بقر الاسرائيليون بطون الحبال وقطعوا الأطفال بحمد السيوف وهذه الوحشية لم يطبقها الاسرائيلي على الاجانب فقط بل حتى على الاسرائيليين أنفسهم هكذا صنع « مناحم » في الحرب الأهلية الاسرائيلية^(٧) . ولم تقف روح الانتقام عند الاسرائيلي . عند هذا بل نراه يخرب البلاد التي يدخلها فيقطع الأشجار ويردم الآبار ويحرق القرى والمدن^(٨) .

والشيء الجدير بالذكر أن الاسرائيلي نظر للحرب قديما على أنها

-
- (١) الملوك الثاني ٦ ي ٢٥ ... وس ٢٥ ي ٣ .
 (٢) صموئيل الثاني ٢٠ ي ١٥ والملوك الثاني ١٩ ي ٣٢ .
 (٣) حزقيال ٤ ي ٢ .
 (٤) الملوك الأول ٢٠ ي ٣٩ .
 (٥) أخبار الأيام الثاني ٢٥ ي ١٢ والقضاة ٨ ي ٧ .
 (٦) نثية ٢٠ ي ١٠ — ١٨ .
 (٧) الملوك الثاني ٨ ي ١٢ وس ١٥ ي ١٦ وأشعيا ١٣ ي ١٦ وعاموس ١ ي ٩٣ وهوشع ١٠ ي ١٤ .
 (٨) نثية ٢٠ ي ١٩ — ٢٠ والقضاة ٦ ي ٤ وس ٩ ي ٤٥ وأخبار الأيام الأول ٢٠ ي ١ والملوك الثاني ٣ ي ١٩ وي ٢٥ .

شيء مقدس بمعنى أن القائد الأعلى لجيشهم هو (يهوه) قياساً على أنه قائد جيوش الكواكب والأفلاك^(١) فحروب إسرائيل هي حروب «يهوه»^(٢)

وقديماً كان «يهوه» يحمل التابوت المقدس إلى أرض المعركة^(٣) ومن هنا نفهم كيف أن الاسرائيليين كانوا لا يبدأون معركة قبل أن يستشيروا «يهوه»^(٤) كذلك كانوا يقدمون قبل خوضها القرابين^(٥) وصيغة الحرب التي كانوا يصيحونها أرها باباً إنما هي نداء إلى «يهوه»^(٦).

وكان الاسرائيلي يقدس الحرب كما يقدس أعياده^(٧) وتقديس الحرب يتطلب منهم طقوساً للطهارة خاصة أعنى أن المحارب يقدس نفسه^(٨) ويعتبر نفسه قديساً^(٩) ومعنى تقديس المحارب لذاته أعنى أن يظل في حالة طهارة دينية^(١٠) وهذه الطهارة تقتضيه مجانبة المرأة^(١١). ومن الطقوس الدينية الملازمة للحرب الاسرائيلية أن جميع الأسلاب من نصيب «يهوه» أعنى يجب قتل جميع الأحياء وحرق الجساد وتسوية المدن بالأرض^(١٢).

(١) صموئيل الأول ١٧ ي ٤٥ .

(٢) خروج ١٧ ي ١٦ وصموئيل الأول ٢٥ ي ٢٨ والعدد ٢١ ي ١٤ والقضاة

٥ ي ٢٣ .

(٣) صموئيل الأول ٤ ي ٦ .

(٤) القضاة ٢٠ ي ٢٧ — ٢٨ وصموئيل الأول ١٤ ي ٢٧ وس ٢٣ ي ٢ ...

س ٢٨ ي ٦ والملوك الأول ٢٢ ي ٥ ...

(٥) صموئيل الأول ٧ ي ٨ ... وس ١٣ ي ٩ ...

(٦) القضاة ٧ ي ٢٠ .

(٧) أرميا ٦ ي ٤ ويوئيل ٤ ي ٩ .

(٨) يوشع ٣ ي ٩ .

(٩) أشعيا ١٣ ي ٣ وأرميا ٥١ ي ٢٧ .

(١٠) تثنية ٢٣ ي ١٠ — ١٢ .

(١١) صموئيل الثاني ١١ ي ٦ .

(١٢) يشوع ٦ ي ١٧ ... وصموئيل الأول ١٥ ي ٣ وتثنية ١٣ ي ١٦ :

العبادات

مقدسات الاسرائيليين قبل التسلل إلى فلسطين

مقدسات «يهوه» في سيناء حيث تجلى هناك على موسى^(١) لذلك تجدد جبل الطور ينظر إليه كجبل الله وذلك لأن «يهوه» غضب على الاسرائيليين لعبادتهم العجل الذهبى وأقام في سيناء^(٢) ومن ثم أقبل «يهوه» من سيناء مارا بجبل (سعير) إلى فادش^(٣). ومنذ ذلك الحين وهو يأتى إلى شعبه في كنعان لمساعدته^(٤) وتأكيذا لاعتقاد الاسرائيليين أن «يهوه» يقيم هناك نجد النبى الياس يحج إلى حيث يقيم «يهوه»^(٥).

والعجيب حقا أن الشعب الاسرائيلى يؤمن إيمانا راسخا أن معبوده لا يقيم في فلسطين معه بل خارجها وفي سيناء، ويذكر العهد القديم أن من بين أتباع «يهوه» المدينيين وكبير كهنتهم (يثرو) والذى كان يرعى قطعانه بالقرب من الجبل الذى يقيم فيه الإله «يهوه»^(٦) فلا عجب إذن إذا رأينا موسى يهرب من مصر لاجئا إلى «يثرو» إلى المدينيين ومن ثم يقترن بابنة «يثرو» وهى «صفوره» ويذكر سفر العدد^(٧) أنها كوشية. و«صفوره» هذه هى التى علمت موسى الختان. وفي المكان المقدس للكهنة «يثرو» تجلى «يهوه» لموسى فقدم «يثرو»

(١) خروج ٣ و ٦ .

(٢) خروج ٣٣ .

(٣) تثنية ٣٣ ي ٢ .

(٤) القضاة ٥ ي ٤ .

(٥) الملوك الأول ١٩ ي ٨ .

(٦) خروج ٣ ي ١ .

(٧) إصحاح ١٢ ي ١ .

وموسى وهرون ، القرايين ليهوه^(١) . وعن د يثرو ، كما تحدثنا التوراة أخذ موسى تشريعاته القانونية كما أن وظيفة اللاوى تعبر عن وظيفة الكاهن المدينى والحاخام الاسرائيلى .

فوحدة العبادات ووحدة المعبود معناها أن الشبه قوى جدا بين الطقوس الدينية ولو من الناحية الشكلية فقط وبتعبير آخر العلاقة قوية جدا بين المدينة المعينة وبين عبادة ديهوه ، وطقوسه وهذه هى اللبنة الأولى فى بناء المقدسات الاسرائيلية .

أما اللبنة الثانية فتلك التى تتمثل لنا فى « التابوت المقدس » ، أو كما سمي فيما بعد باسم « تابوت العهد » ، أو كما عرف قديما باسم « تابوت الوهيم »^(٢) ، أحيانا حرف هذا التابوت باسم « تابوت إله اسرائيل »^(٣) أو تابوت يهوه^(٤) و « تابوت يهوه قائد الجيوش »^(٥) أو « التابوت »^(٦) .

أما التسمية (تابوت العهد) فأول ما ظهرت فى التثنية^(٧) ثم نجد تسمية أخرى وهى (تابوت الشهادة)^(٨) . وكان يؤتى بتابوت العهد إلى معسكر الجيش فيستقبل بالتهليل والتكبير ليتحقق النصر ويقع الذعر فى قلوب الأعداء الذين كانوا يقولون « إله العبريين حضر إليهم فى المعسكر »^(٩) .

(١) خروج ١٨ و ١٢ .

(٢) صموئيل الأول ٤ و ١٣ و ١٧ و ٥ و ١ و ٢ و ١٠ .

(٣) صموئيل الأول ٥ و ٧ - ٨ و ١٠ - ١١ و ٦ و ٣ .

(٤) صموئيل الأول ٤ و ٦ و ٥ و ٣ - ٤ .

(٥) صموئيل الأول ٤ و ٤ و ٦ و ٣ .

(٦) العدد ١٠ و ٣٥ و يشوع ٤ و ١٠ .

(٧) إصحاح ١٠ و ٨ وأرميا ٣ و ١٠ ...

(٨) خروج ٢٥ و ٢٢ .

(٩) صموئيل الأول ٤ و ٥ .

ويروى أن موسى كان إذا رأى التابوت وقد حمل وتحرك يقول «قم يا يهوه وأهزم أعداءك»، فيولون الإدبار وإذا ما بلغ التابوت مكان الجيش يقول «عد يا يهوه إلى ربوات إسرائيل»، (١).

والآن نتساءل كيف أن تابوتا تصير له مثل هذه المكانة ؟ والجواب أن الاسرائيليين نظروا إلى التابوت على أنه عرش يهوه الذى يجلس عليه (٢) أو على أنه قد نقش عليه اسم يهوه قائد القوات (٣) فالتابوت هو عرش يهوه الذى يجلس عليه كإله أعظم فالتابوت عند الاسرائيليين امتداد فى الواقع لفكرة المركبة التى يتنقل عليها الإله فهى المركب عند قدماء المصريين التى كان يسافر فيها آلهة الشمس فى المحيطات السماوية وفى كل مسيرة دينية نجد هذه المركبة تسير وقد ركبت على عجل وفكرة المركب أو المركبة كوسيلة من وسائل التنقل أو الانقاذ نجدها متمثلة فى أسطورة موسى .

ومن المقدسات الاسرائيلية أيضا «خيمة مقدسة»، (٤) أقامها موسى خارج المعسكر ابتلى فيها الوحي أو ليستقبل الله وكان يقوم فتى موسى يشوع بحراستها ويطلق على هذه الخيمة اسم «خيمة الاجتماع»، أو كما تسمى فى العبرية «أوهل موعيد»، أى الخيمة التى يجتمع فيها الآلهة لتخطيط مصائر القوم .

المقدسات الاسرائيلية الكنعانية

اثبتت الآثار التى وصلتنا أن الطقوس الدينية الاسرائيلية ترجع

(١) العدد ١٠ ي ٣٣ .

(٢) صموئيل الأول ٤ ي ٤ .

(٣) صموئيل الثانى ٦ ي ٢ .

(٤) خروج ٣٣ ي ٧ .

كشرتها إلى أصول كنعانية حتى أصبح من العسير على الباحث في العقائد الإسرائيلية أن يعزلها من الأصول الكنعانية فنحن نجد طقوس عبادة يهوه ما هي في الواقع إلا طقوس الإله الكنعاني بل وأصبحت قدسية المكان هي بعينها القديمة لم تتغير .

والباحث في الأماكن المقدسة يجدها في مختلف المظاهر الطبيعية فحيث تنفجر الطبيعة بالقوى نجد فيها مظهر أمن مظاهر القداسة حيث تتجلى القوى الإلهية ، وما أكثر هذه المظاهر في الأشجار وينابيع المياه والأنهار كذلك نجدها في الكهوف والصخور (١) وحيث لا يعين مكان خاص بمعجزة من المعجزات نجد المكان المقدس يعين عادة على مكان مرتفع سواء كان تلا أو جبلا (٢) لذلك يقول الأراميون أن آلهة الاسرائيليين آلهة جبليون (٣) وقدسية الجبال انتقلت إلى الأحجار (٤) .

وغير الأحجار نجد أيضا الأشجار (٥) . وكما نجد جبال الآلهة فكذلك حدائق الآلهة أعني الجنة (٦) وتقديس هذه المظاهر الطبيعية نجده أيضا عند الشعوب السامية الأخرى فعند العرب نجد العزى وشجرتها ولما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال له أيت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث شجرات فأعضد الأولى فأتاها فعضدها . ثم عضد الثانية فالثالثة فإذا هو بحبشية نافشة شعرها . ثم ضربها

-
- (١) تكوين ٢٨ ي ١٢ ... وس ١٦ ي ٦ وس ١٨ ي ١ ... والقضاة ٦ ي ١١ ... وسموئيل الثاني ٢٤ ي ١ ...
 (٢) هوشع ٤ ي ١٣ .
 (٣) الملوك الأول ٢٠ ي ٢٣ .
 (٤) قضاة ٦ ي ١١ ومزمور ٢٧ ي ٥ ومزمور ٦١ ي ٣ ومزمور ٦٢ ي ٣ وتكوين ٢٨ وسموئيل الأول ٦ ي ١٤ .
 (٥) تكوين ١٢ ي ٦ وقضاة ٩ ي ٣٧ .
 (٦) حزقيال ٢٩ ي ١٣ — ١٤ وس ٤٧ ي ٢ و ١٢ .

فقلق رأسها فإذا هي حممه ثم عضد الشجرة . وهكذا نجد كثيرا من مصادرنا العربية القديمة تحدثنا عن تقديس بعض القبائل العربية في الجنوب والشمال والشرق والغرب لبعض أصناف الشجر الشهيرة مثلا تذكر أن أهل نجران كانوا يعبدون ، وهم يومئذ على دين العرب . نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلى النساء .

وقدس الاسرائيليون قديما ينابيع المياه فنحن نجد « بئر شبع » كما قدسوا غيرها (١) .

ويتفق الاسرائيليون في هذه الظاهرة مع العرب أيضا الذين مازالوا حتى اليوم يقدسون بئر زمزم كما أن مظاهر الطبيعة متصلة غير متنافرة فالأحجار متصلة بالجبال وينابيع المياه متصلة بالنخيل والأشجار .

ومع مضي الزمن نجد الاسرائيلي يشعر بأن مقدساته يجب أن تضم إلى بعضها حيث يمكن الجمع بينها وبخاصة بعد أن أدرك أن الشعوب الأخرى سواء في مصر أو بابل وجيرانه مثل الكنعانيين وغيرهم قد أقاموا بيوتا لآلهتهم فصنع الاسرائيليون صورة لمعبودهم من الذهب أو الفضة أو البرنز إما تابوت العهد فمن الخشب .

وبيوت العبادة هذه نجدها كثيرة منتشرة في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام ومنها « رضى » وقد كان بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة فهدمه المستوغر في الإسلام وفي ذلك يقول :

ولقد شددت على رضاء شدة فتركته تلاتنازع اسحما
ودعوت عبد الله فى مكروهمها ولعل عبد الله يغشى المحرما

(١) الملوك الأول ١ ي ٩ وتكوين ١٦ ي ١٤ وس ١٤ ي ٢ ويشوع ١٥ ي ٧ .

وغير «رضى» نجد «كعبة سنداد» و«كعبة نجران» و«الكعبة»
و«رثام» وغيرها .

وبيت العبادة الاسرائيلي كان يضم عادة المذبح والنصب وتمثال السارية
وصورة الإله .

أما المذبح فهناك نوعان منه مذبح للقرايين التي تحرق ومذبح للقرايين
التي تشرب أو التي يسيل دمها ومن بين القرايين التي قدمها الاسرائيلي
الأطفال وكانوا عادة يدفنون أحياء . أما قرايين الذبيح فعادة حيوانات
وهذا النوع من القرايين كان يقدم كذلك عند انصب (مصاياه) أو اله (إشاره)
أعني تمثال السارية : أما الدم الذي يسيل من القربان فكان عادة يرش
على الحجر كما كانوا يدهنونه بالزيت أيضا^(١) . وجرت العادة أن كل
ركن من الأركان الأربعة للمذبح ينتهي بقرن يقبض عليه كل لاجيء
مستجير^(٢) .

أما (المصاياه) فقديم جدا في البلاد فقد عرفت في فلسطين قبل زوح
الكنعانيين إليها كما نقيتها من الحفائر ومن ثم أصبحت ملازمة لكل العقائد
السامية إن اتجهت وفي أي عصر كانت ، فنحن نجد لها في أعمدة (هركيليس)
غربا وفي الحدود الشرقية للدولة الأكدية وفي سوريا شمالا حتى حدود
مصر العليا متمثلة في المسلات ونحن نجد لها عند مداخل المعابد وبالقرب
من المذابح المقامة فوق المرتفعات وبينما نجد لها قائمة لتخليد الانتصارات
إذ بنا نجد لها لتعيين الحدود^(٣) أو أعمدة للقبور . ثم إننا قد نجد الرمصاياه
عبارة عن حجر واحد أو أكثر من حجر وبينما نجد لها على طول شارع

(١) تكوين ٢٨ ي ١٨ .

(٢) الملوك الأول ٢ ي ٢٨ وعاموس ٣ ي ١٤ .

(٣) تكوين ٣١ ي ٥١ — ٥٢ .

إذ بنا نجدها مقامة على هيئة دائرة ثم أن شكلها يختلف فهي ليست متشابهة في دقائقها فطورا نجدها عبارة عن صخرة لم تمتد إليها يد النحات وأخرى نجدها مستديرة أو في هيئة المسلة المصرية والـ (مصاباه) كما وصلتنا ترتبط ارتباطا قويا بالعقيدة الفلسفية البابلية وهي مانحة الحياة لذا نجدها تحاول أن تعبر شكلا عن عضو التناسل عند الرجل وهكذا نجد الاسرائيليين في تقديسهم للمصاباه إنما هم يعبرون عن القوة الإلهية الكامنة في عضو التناسل والتي يعبر عنها بهذا العمود لذلك نجد بعض أنبياء بني اسرائيل المتأخرين يستخرون من بني قومهم لإيمانهم هذا (١) ومن ثم نجد الاسرائيليين يعتبرون الـ (مصاباه) ضرورة من ضروريات المسكان المقدس وحيث تقام الطقوس والفرائض الدينية (٢) ويعبر الاسرائيلي عن تقديسه للمصاباه بتقييلها (٣) وأخيرا نجد سفر التثنية يتحدث عن المصاباه كرمز للإله بعل (٤) .

وغير المصاباه نجد الاسرائيليين يقدسون أيضا « عمود السارية » أي (أشيره) وهو يعبر أو يرمز للإلهة (عشترت) لذلك فالـ (أشيره) توجد دائما ملازمة للشجرة وذلك لأنها الإلهة الشجرة فالعمود يعبر عن الشجرة وقد جردت من غصونها وأوراقها رمزا لانتقال عشترت إلى عالم الموتى وقد جردت من حجابها فبسط الموت ظلاله على الكون حتى الشجر فاصبح خشبها يابس لذلك كان الـ (أشيره) رمزا يشير إلى معبود من المعبودات الاسرائيلية أو إلى الألوهية ويؤيد هذا أنه قد وصلتنا كتابات جاءت فيها أسماء بعض الأفسراد الذين ينتسبون إلى الإله

(١) أرميا ٢ ي ٢٧ .

(٢) هوشيم ٣ ي ٤ وأشعيا ١٩ ي ١٩ .

(٣) هوشيم ١٣ ي ٢ وللوك الأول ١٩ ي ١٨ .

(٤) تثنية ١٢ ي ٣ وس ١٦ ي ٢١ .

(أشيره) فهو يسمى عبد (أشرتو) أو عبد (أشرتي) والواقع أن (أشيره)، هذه ما هي إلا (عشرت) بدليل أنه جاءتنا آثار تشير إليها وقد تحجبت .

ويحدثنا العهد القديم أنه لا تقوم إلى جانب بعل المصابا والأشيره فقط (١) بل نجد هذه المقدسات أعني مصابا والأشيره إلى جانب يهوه وأما كنهه المقدسة (٢) .

هكذا كان الحال في سهاريا (٣) وكذلك في معبد أورشليم (٤) وظل الحال كذلك مدة من الزمن ومن ثم اعتبرت هذه المقدسات وثنية (٥) لأن سفر التثنية اعتبر عمود الساري مسببة لأشيره والتي هي (عشرت) (٦) وكان تكريمها وتقديسها مرتبطا بعبادة بعل (٧) .

وقدس الاسرائيلي أيضا مقدسات أخرى اعتبرها مظهرا من مظاهر القوة الإلهية وهذه المقدسات تعرف باسم (مسكاه) أي الصور المصبوقة من المعادن (٨) ويطلق الاسرائيليون عليها أيضا لفظ (فسيل) أي صناعة للصور أو نحتها من الخشب (٩) . كما عثر الآثريون على نوع منها مصنوع من الطين أو الحجر . وتستخدم التوراة أحيانا أحد اللفظين أعني .

(١) القضاة ٦ ي ٢٥ والتثنية ٧ ي ٥ .

(٢) هوشع ٣ ي ٤ وميخا ٥ ي ١٢ — ١٣ .

(٣) الملوك الثاني ١٣ ي ٦ .

(٤) الملوك الثاني ١٨ ي ٤ وس ٢١ ي ٧ وس ٢٣ ي ٦ .

(٥) تثنية ١٢ ي ٣ وس ١٦ ي ٢١ .

(٦) الملوك ١٥ ي ١٣ .

(٧) القضاة ٣ ي ٧ والملوك الأول ١٨ ي ١٩ .

(٨) تثنية ٩ ي ١٢ وس ٢٧ ي ١٥ والقضاة ١٧ ي ٣ — ٤ .

(٩) أشعيا ٤٤ ي ١٥ وس ٤٥ ي ٢٠ والقضاة ١٧ ي ٣ .

« مسكاه أو فسيل » للتعبير عن صورة الله (١) وصنع الاسرائيلي هذه الصور أيضا من الذهب أو الفضة (٢) . ولا يخلو عند الاسرائيلي معبد من وجود صور لهذه المقدسات التي تمثل المعبود وأحب هذه الصور إليه صورة العجل الذهبي ولو أن سفر التثنية وبعض الاسرائيليين المتأخرين يعتبرون تقديس مثل هذه الصور وثنية كما أنه لم يخل معبد ملكي في إسرائيل إلا وفيه صورة الثور (٣) .

وفي معبد أورشليم كان حتى عصر الملك حزقيا ملك يهوذا (القرن الثامن ق . م .) يشتمل على حية معدنية تعرف باسم « نهشتان » وهي تمثل الإله وترمز إليه وكان خادم المعبد يبخرها (٤) وهي تعتبر رمز الإله يهوه وترجع إلى عهد موسى (٥) . وأخيرا نجد الاسرائيليين يقدسون صورة ترمز إلى الله وتعرف باسم (ترافيم) (٦) . وهذه الصور لم تكن قاصرة على المعابد بل وجدت في البيوت أيضا فسفر التكوين يحدثنا كيف أن لابان ذهب مرة يجر غنمه فسرق راحيل هذه الترافيم (صور أو أصنام) (٧) كما أن بيت داود كان عامرا بها (٨) . كذلك فلاحظ أن الترافيم كان يستخدمها الاسرائيلي للتعبير عن آلهة أجنبية لم يعبدوها الاسرائيليون وإن وجدت عند نساء يعقوب (٩) .

(١) خروج ٢٠ ي ٤ وس ٣٤ ي ١٧ وأشعيا ٤٠ ي ١٩ وس ٤٢ ي ٨ .

(٢) خروج ٢٠ ي ٢٣ وس ٣٢ ي ٣١ .

(٣) الملوك الأول ١٢ ي ٢٨ — ٢٩ .

(٤) الملوك الثاني ١٨ ي ٤ .

(٥) العدد ١١ .

(٦) قضاة ١٧ ي ٥ وهوشيم ٣ ي ٤ .

(٧) تكوين ٣١ ي ١٩ .

(٨) صموئيل الأول ١٩ ي ١٣ .

(٩) تكوين ٣٥ ي ٢ و ٤ .

معبد سليمان

لقد شيد سليمان معبدا لعبادة الإله « يهوه » بالرغم من أن المهندس الذى خططه وأشرف على تنفيذه أجنبي كما أن المهندس عبر فى بنائه عن فن معمارى أجنبي فالمعبد ووضعه هكذا لا يعبر عن الطقوس الاسرائيلية التى تصورها معبوده « يهوه » فالمعبد السليمانى ينطق فى الواقع بالشعور الدينى الشرقى عامة لذلك لا عجب إذا رأينا فيما بعد من يعارضه وينتقده فمثلا المذبح الاسرائيلى كما جاءنا فى كتاب العهد لا يتفق والمعبد السليمانى أو مذبحه كما انتقده بعض الأنبياء المتأخرين وبخاصة لكثرة البذخ الذى يتجلى فيه (١) وهو من الناحية الدينية لا يتميز عن غيره من المقدسات الأخرى التى وجدت فى سميريا أو سيلو (٢) فالمعبد السليمانى فى نظر هؤلاء الأنبياء عديم القيمة .

ومن مساحة المعبد نقبين أنه لم يشيد لكي يتسع لاجتماع القوم بل ليكون بيتا لسكن الله ، هذا ويعتبر معبد سليمان مبدأ تحول عظيم فى الطقوس الاسرائيلية فقبله لم يكن هناك بيت مقدس يحمل اسم « يهوه » لذلك كان الشعب الاسرائيلى يصعد إلى المرتفات ويؤدى طقوسه الدينية لكن الآن بعد أن أوجد المعبد الذى يحمل اسم الله أصبحت تأدية الطقوس خارجه باطلة وكأنها عبادة وثنية (٣) .

لكن قيام المعبد لم يقض على الأماكن المقدسة الأخرى التى كانت منتشرة فى البلاد وبخاصة فإن الدولة الشمالية لم تعترف بهذا المعبد

(١) أرميا ٧ .

(٢) أرميا ٧ ي ١٢ وميخا ١ ي ٥ .

(٣) الملوك الأول ٣ ي ٢ وثنية ١٢ ي ١٠ .

لأن لها معابدها الخاصة في (ييثيل) و (دان) وفي البيت الملكي وكانت هذه الأماكن تقوم بدور هام في سبيل تأدية الطقوس الدينية كذلك نجد ملوك مملكة يهوذا حتى عصر الملك حزقيال يحافظون على الأماكن المقدسة الأخرى القائمة على المرتفعات ولا يحاولون القضاء عليها فلم يفكر ملك من ملوكها في القضاء عليها خدمة لمعبده الخاص كما أنه لم يستنكر نبي من أنبياء مملكة يهوذا كثرة المذابح وعلى النقيض من ذلك نجد النبي إيلياس يبنى المذبح الذي تهدم على الكرمل ولما ثار أنبياء مثل عاموس (وهو شيع) وميخا وأشعيا ضد هذه المبالغة في العبادات لم يقصدوا هذه المبالغة في العبادات بل أماكن العبادة ذاتها وأنها أدنى من المعبد بل نظروا إلى تهالك الشعب على تقديم القرابين وغيرها وهي ليست كل ما يطلبه الله من عباده وكانت عظائمهم لا تدعو إلى هدم المذابح وتقديم القرابين إلى معبد أورشليم بل كانوا يبشرون بأن الله لا يرجو منهم شيئا غير العمل الصالح وحب الآخرين والتواضع .

ومع مضي الزمن نجد المعبد السليمانى يكتسب قلوب سكان مملكة يهوذا كمعبد ملكى . فالنظام الملكى خدم المجتمع الاسرائيلى خدمات جليلة فهو الذى جمع بينهم ووحده صفوفهم سياسيا واجتماعيا ولما شيد سليمان المعبد جمع معبده قلوبهم فقصدوه من مختلف الجهات فتعارف الاسرائيليون وتأخروا وأجمعوا على طقوس واحدة وعبادة واحدة ولم تتح الفرصة للمخلفات العقائدية المتوارثة للظهور ثانية فتسبب الفرقة والانقسامات . وكانت مناسبات الأعياد مصدر فرح وسرور عظيمين عند الشعب إذ كانوا يقبلون متزاحمين على أورشليم ويأتى الملك ويقدم قرابينه لا باسمه فحسب بل باسم الشعب الاسرائيلى أيضا وكان يعاون الملك ويشركه في هذه الاحتفالات خدمه وكبار موظفى الدولة ، يحيط الشعب ومليكه بأقدس ما جاءهم عن آباؤهم الأولين أعنى التابوت المقدس . ولم يقف الأمر

عند هذا بل نجد النظام الملكي يدخل كهنة المعبد في خدمته فالكاهن موظف في المعية الملكية ويتبوأ منصبا رفيعا لم يبلغه كاهن آخر في معبد من المعابد الأخرى . فكان الملك يسألهم رأى السلف الصالح والتوراة ويستشيرهم فيما يهمه ويهم المملكة ولما توارت سماريا من المسرح السياسي وأخذت الطريق لأورشليم أخذت مكانة المعبد الأورشليمي تزداد سموا وشهرة . المعبد السليماني الأورشليمي ينفرد بالمكانة الدينية في جميع أنحاء البلاد ، وتنسك « يهو » ، المقدسات القديمة واعترف بصهيون فتحول الرأى العام الاسرائيلي إلى الفكرة الصهيونية وآمن بأن صهيون مقر الإله ولن يزول (١) .

اكن معبد أورشليم بالرغم من حسناته العديدة إلا أنه ابتعد عن العقيدة الاسرائيلية اليهودية بسبب الأصول الطقسية التي باشرها وحرص الشعب على الإيمان بها وهذه الطقوس هي في الواقع طقوس كنعانية مستمدة من عبادة « بعل » ، والفرق كبير بين العبادتين عبادة يهو الصحراوية المتبدية وعبادة « بعل » ، الزراعية المستقرة المتحضرة لذلك لم يكد يخبو نور الملكية وتخبو معها أبهة الحياة العامة وأبهة الأعياد من قومية ودينية حتى أخذت تتحلل هذه الرابطة التي جمعت بين الأسباط الاسرائيلية أولا والعقائد الدينية ثانيا فأحت فيها هذه الفوارق الطقسية وريثة العقائد الوثنية القديمة وأخذت الطقوس اليهودية تظهر تدريجيا إلى الوجود ثانيا اكن « يهو » ، بالرغم من هذا التحول الظاهري لم ينجح في مطاردة « بعل » ، وبخاصة فالمجتمع الاسرائيلي أخذ يتذوق معنى الاستقرار والحضارة التي يمثلها « بعل » ، وديانته وهنا نجد هذا المجتمع يرفق بين العقيدتين اليهودية والبعلية فأصبحنا نجد (يهو) محتفظا برمز (بعل) إلا وهو (الثور) هذا إلى جانب تماثيل الآلهة عشتروت وغيرها التي كانت توجد في البيوت الاسرائيلية .

(١) أرميا ٧ ي ٤ .

ثم جاء السبي الآشوري فانهزمت الاسرائيلية وأخذ النفوذ العقائدى الأجنبي يشق طريقه إلى المجتمع الاسرائيلي ولما عاد هذا النفر القليل من الاسرائيليين من السبي كان الأثر الجديد قويا جدا فى الطقوس والعقائد فنحن نجد حزقيال يرى فيما يرى النائم المثل الأعلى الذى يجب أن يكون عليه المعبد^(١) فهو معبد خليط من الخيال والواقع وهو يخالف معبد سليمان فحزقيال عزل معبده وجعله بعيدا عن سائر المباني المدنية الأخرى حتى قصور الملوك يجب أن تكون بمنأى عن المعبد .

كما حرم حزقيال على الشعب القرب من المقدسات عند تأدية الطقوس الدينية ومن هنا نجده يخالف المعبد القديم الذى كان قائما قبل السبي ويشيد للمعبد فنائين لا فناء واحدا ، كما كان قديما ، فناء خارجيا وآخر داخليا للكهنة فقط .

أما الجزء الذى يقطنه الله فهو الذى يسمى اليوم قدس الأقداس ولا يدخله إلا الكاهن الأكبر ومرة واحدة فى العام^(٢) .

المعبد بعد العودة من السبي

أول هم للعائدين من السبي كان إقامة المعبد إلا وهو معبد زروبابل^(٣) وقد شيد زروبابل ويشوع مذبج المحرقات فى مكانه^(٤) . وقد اختير المذبج لأنه بدونه لا تقدم قرابين ولا تقام طقوس بدونها كما أن المعبد الجديد اختلف عن معبد حزقيال فلم يفصل بين العامة ورجال الدين

(١) حزقيال ٤٠ - ٤٣ .

(٢) لاويون ١٦ .

(٣) عزرا ٣ .

(٤) عزرا ٣ : ٣ .

نجا أن أدوات المعبد سقط منها تآوت العهد لذلك كان مكان قدس الأقداس خاليا وأستعوض عن التآوت بحجر كان يضع عليه كبير الكهنة المبخرة يوم الاحتفال بعيد الغفران وظل هذا المعبد قائما حتى هدمه (انطيوخوس الرابع ابيفانوس) ملك سوريا وكان ذلك عام ١٦٩ ق . م . مما سبب مظهر الحركة المكابية واسترد (يهوذا المكابي) اورشليم وأمر بإعادة بناء المعبد كما سيجه بأسوار عالية وأبراج حصينة ومنذ ذلك الحين يعرف وبحق برج اورشليم الحصين .

ولما تولى هيرودوس الملك (٣٧ - ٤) ق . م . لم يعجبه المعبد القديم وبخاصة فانه كان من المولعين بتشييد المباني الجميلة وقرر بناء معبد جديد فشرع في بنائه عام ١٩ ق . م . وتم بناؤه أيام (الينوس) . أعنى فيما بين عامي ٦٣ - ٦٤ م) ويمتاز هذا المعبد بالقاعة الخاصة بالحریم الاسرائيليات وذلك لأن هيرودوس سمح للاسرائيلية بزيارته . أما فن البناء فكان يونانيا .

الكهنة قبل العصر الملكي

ترجع أصول الكهنوتية الاسرائيلية إلى موسى وقبلة لم تكن هناك في المجتمع الاسرائيلي كهانة لأنه لم تكن هناك طقوس دينية يهوبه كما لم يعرف المجتمع الاسرائيلي القرايين وتقديمها ولو أن الاخبار التي جاءتنا في العهد القديم تحدثنا عن القرايين التي كان يقدمها الآباء الأولون إلا أنهم لم يعرفوا كهنة وكانوا هم أنفسهم يتولون هذه المهمة وذلك لأن عبادة يهوه كانت عبادة عائلية وليست شعبية كما أن الشعب الاسرائيلي لم يكن قد وجد بعد فليست هناك حاجة إلى خلق كهنوتية عامة . وأول من أوجدها هو موسى لذلك تعتبر الديانة الاسرائيلية

أول كاهن وقد قام بهذا الدور عند إتمام العهد^(١) وتسلم ككاهن أعني كسادن للخيمة المقدسة المعجزة من «يهوه»^(٢).

وقد ظلت هذه الصفة ملازمة له حتى بعد أن عين أبناء لاوى (اللاويين) لخدمة «يهوه»^(٣).

كذلك يرجع الكهنة نسبهم إلى الابن الأكبر لموسى المسمى (جير شوم)^(٤) هذا مع ربط الصلة بين كهنوتية موسى والكهنوتية المدينية.

ثم بعد ذلك نجد موسى يتنازل عن الكهنوتية لأخيه هرون وأولاده^(٥) وهرون هو الذى كان يرسم الكهنة بأمر الله لذلك فهو والدهم. لذلك نجد الكهنة ينقسمون إلى فريقين كاهن يسمى «كوهين» وآخر يسمى (ليفى) واللفظان يعبران قديما عن مدلول واحد لكن فيما بعد فرق المجتمع بين «كوهين» و«ليفى» أو «لاوى».

ولفظ «ليفى» لا يشير كما يتبادر إلى الأذهان إلى سبط من الأسباط أعني إلى سبط (ليفى) بل إلى الوظيفة الكهنوتية وذلك بدليل العبارات الواردة فى الكتابات المعينية حيث تستخدم لفظ (لاوى) للتعبير عن الكاهن كما استخدمت لفظ (لاويه) للكهنة. وفى العهد القديم نجد بقايا لاستخدام لفظ (لاوى) فى هذا المعنى حيث يطلق سفر الخروج على هرون لفظ (اللاوى)^(٦) أعني الكاهن وهو فى هذا اللقب يشبه موسى.

(١) خروج ٢٤ ي ٦ .

(٢) خروج ٣٣ ي ٧ .

(٣) خروج ٣٢ ي ٢٦ .

(٤) القضاة ١٨ ي ٣٠ .

(٥) خروج ٢٩ .

(٦) إصحاح ٤ ي ١٤ .

تماما . وما جاء في سفر الخروج نجده أيضا في القضاة (١) ووظيفة الكهانة أو السدانة في الشرق العربي وظيفه وراثية سواء عند الاسرائيليين أو العرب .

أما وظيفة الكاهن عند الاسرائيليين أو العرب فكانت تقديم القرابين والتنبؤ وكان (الكاهن يحتفظ بنصيبه من القرбан . أما طريقة التنبؤ لدى الاسرائيليين فعن طريق ال (افود) وال (أوريم) وال (تميم) .

أما ال (افود) فرداء قيم جدا لا يصنع من الكتان كغيره من ملابس الكهنة بل من أقمشة ثمينة جدا وكان يلبسه الكاهن ولا يتمنطق إذا ما أراد استشارة الله وفيما عدا هذا الظرف يحتفظ بالافود في المعبد أو المكان المقدس لأنه من مستلزمات هذه الأماكن . وعندما يتقدم الجيش للقتال يأخذ الكاهن معه هذا الافود لحاجة القوم في هذا الظرف إلى استشارة الله . وهكذا نجد الكاهن يحمل الافود منتقلا من مكان إلى آخر ولا يرتديه إلا عند الاستخاره فقط ويرجع أن هذا الافود كان عبارة عن رداء يخطى الحقوين أما ال (أوريم) و (تميم) فسمان يشيران أحدهما إلى (نعيم) والآخر (بدس) .

وظلت أمور المجتمع الاسرائيلي تسير في تطورها الطبيعي فسايرته عصورا طويلا حتى انتقل إلى الحكم الملكي فتعرض لهزات اجتماعية عنيفة أسلمته إلى السبي الآشوري (٧٢٢ ق . م .) أولا والبابلي (القرن السادس ق . م .) ثانيا ثم ظهرت المسيحية وحاولت انقاذه من الهوة التي تردى فيها ففشلت إذ انقض عليه القائد الروماني (تيتوس) عام ٧٠ ميلادية فذلك المعبد واستولى على اورشليم وسبي كل من وصلت

إليه يده حتى أوانى المعبد أخذها وعرضها فى روما فى مسيرة النصر التى قام بها وخلفه جموع الأسرى مكبلين فى الأغلال وقد سجل هذا النصر فى قوس النصر الذى أمر بتشيدته فى روما عام ٨٢م أما البقية الباقية من الاسرائيليين فقد هاموا على وجوههم فى داخل الجزيرة العربية حتى جاء الإسلام فأعادهم إليها وهياً لهم حياة جديدة بعثت هذا الشعب بعثاً جديداً .

تعرض العبريون لاضطهادات الفلسطينيين وغيرهم فاضطروا إلى البحث عن قائد قوى يقودهم وينظم صفوفهم وأول رجل وقع عليه اختيارهم . (شاهول) .

أما النظام المسمى فالآراء حوله متضاربة بين مؤيد^(١) ومعارض . أما آراء الفريق المعارض فنجدها صريحة فى صموئيل الأول (٢) . وبالرغم من اختلاف الآراء حول النظام المسمى فقد أحرز شاهول انتصاراً على الفلسطينيين مما دفع القبائل الاسرائيلية المختلفة إلى المناذاة به ملكاً وكانت كل مدة ملكه سلسلة من الحروب ضد الفلسطينيين^(٣) .

وفى حروبه هذه لم يحاول مرة إعلان التعبئة العامة أو حرص على فرض ضرائب جديدة وكان هذا الملك شاهول يقتات من عمله الخاص فى حقله ولم يتخذ لنفسه قصراً أو حاشية وكان يكتفى فى الليالى المقمرة بدعوة ضباطه إلى منزله ويجلس هو على كرسى مستنداً على الحائط وإلى يمينه حربته كما أنه اعتاد أن يعقد مجلس الحرب فى ظلال

(١) صموئيل الأول ٩ — ١٤ .

(٢) اصحاح ٧ ي ٢ — ٨ وى ٢٢ وى ١٠ ي ١٧ — ٢٥ وى ١٢ وى ١٥ .

(٣) صموئيل الاول س ١٤ ي ٥٢ .

الشجرة المقدسة . أما المقاتلون الذين كان يعتمد عليهم بصفة خاصة فأبناء قبيلته أعني « بنيامين » وكان شاول يوزع الأراضي المستولى عليها من العدو على رؤساء البنيامين لذلك كان حكمه كملك حكما قريبا وبينما كانت قبيلته تكون قلب جيشه إذ به يجمع الرجال الأقوياء من مختلف القبائل حول قبيلته ومن بين هؤلاء الرجال الأقوياء كان داود وهو من قبيلة يهوذا .

وفي أواخر حياته أصيب بلوثة عقلية فاتهم كثيرين من الاسرائيليين بالخيانة كما أن من بين الذين حل بهم غضبه كان داود الذي عينه شاول موسيقيا وزوجه ابنته وجعله أحد كبار قواده . وأخيرا حاول داود بمساعدة ٦٠٠ مغامر تأسيس مملكة لنفسه في أقصى جنوب يهوذا إلا أنه فشل واضطر للهرب إلى الفلسطينيين والانضمام إليهم ووضع سيفه في خدمتهم ضد مواطنيه السابقين .

ويحدثنا العهد القديم أن شاول لقي وأبناءه حتفهم في حرب ضد الفلسطينيين الذين مثلوا بجثثهم وعلقوها على حيطان (بيت شام) وعاد قلب فلسطين إلى الفلسطينيين ثانية وطردها الاسرائيليين الذين كانوا قد استقروا هناك .

وهكذا نجد أن الأعمال التي قام بها شاول والخاصة بالوحدة بين الشمال والجنوب وتحرير الاسرائيليين من الاستعباد قد ذهبت مع الريح ولو أن النظام الملكي ظل قائما .

داود

عقب مقتل شاول تظاهر داود بالحزن العميق عاياه وعلى يوناثان

وقال فيهما رثاء^(١) كما أعلان ابن شاول المسمى (ايش بعل) نفسه ملكاً على دمحنايم ، وراء الأردن^(٢) . لكن داود هذا الذى تظاهر بالحزن على موت شاول انتهز هذه الفرصة وأعلان قيام دولة مستقلة فى الجنوب وسكانها خليط من اسرائيلي يهوذا وبعض أفراد قبيلة د كالب ، . واتخذ داود مدينة د حبرون ، عاصمة لمملكته الجديدة كما أطلق على مملكته هذه (يهوذا) نسبة إلى قبيلة داود نفسه . لذلك نشبت حرب بين (ايش بعل) وبين داود دامت زهاء سبعة أعوام وانتهت لصالح داود بفضل حادثى قتل وخيانة أولهما ضد (ابير) ابن عام شاول واحد قواده العظام ، كما نجح فى تدبير مؤامرة لقتل (ايش بعل) وقد نفذها قائدان من البنيامين وبذلك خلا الجو لداود الذى توج نفسه ملكاً على اسرائيل ثم أخذ يعمل لتوحيد البلاد وتكوين جيش قوى وإجلاء الفلسطينيين^(٣) وانتصر داود عليهم واستولى على اورشليم التى كانت تعوق اتحاد الجنوب مع الشمال ، وفضلاً عن هذا كان يطمع داود فى اتخاذها قاعدة له لأنها ليست شمالية فتغضب الجنوبيين أو جنوبية فتغضب الشماليين بل مدينة وسطى محايدة فتحتهما قوات مشتركة من الشماليين والجنوبيين وأقام فيها داود وأصبحت قلعتها د صهيون ، تعرف باسم د مدينة داود ، واستطاع بمساعدة عمال وفنيين كنعانيين بناء قصر له بها .

أما جهاز مملكته الإدارى فكان بسيطاً جداً وجيشه يتكون من
عصرين : —

١ — د صبا ، وهم مجموعة من الرجال الأشداء من مختلف القبائل .

(١) صموئيل الثانى ١ ي ١٩ و ٢٧ .

(٢) أخبار الأيام الأول ٨ ي ٣٣ وس ٩ ي ٣٩ وصموئيل الثانى ٢ ي ٨ .

(٣) صموئيل الثانى ٥ ي ١٧ — ٢٥ وس ١١ ي ١٥ — ٢٢ .

وكانوا يستدعون عن طريق الفير أو رفع الأعلام أو إشعال النيران فوق قمم الجبال ولا يرتدون زيارسيا أما عددهم ومدة خدمتهم فموضع خلاف (١).

٢ — نفر من الجيش النظامى وعدد رجاله ستائة مغامر وكانوا قد تجمعوا حول داود عندما نفاه شاول وهم «جبوريم»، أو «جبورى داود»، أو «كريتى بليتى»، نسبة إلى عشيرتين فلسطينيتين ومعظم أفراد هذا الحرس من الأجانب وخاصة من العشيرة المعروفة «جيتيم»، نسبة إلى مدينة (جات) وكانوا يكونون بزعامة قائدهم «إتاي»، فرقة من جيش داود وكان هذا الجيش يعيش على السلب والنهب.

لكن أيام داود لم تنته كما بدأت، ففي النصف الثانى من سنى حكمه تعرض لكثير من المؤامرات بسبب وراثة العرش فتجد ابنه الأكبر «آمنون»، مثلاً يقتل بيد أخيه (ابشالوم) الذى ثار لاخته (تامار) التى فض (آمنون) يكراتها ثم ألقى بها خارج الباب. فبقتل (آمنون) تحصل ابشالوم أيضا من منافسة (آمنون) له فى اعتلاء العرش. لكن داود تألم لهذا الحادث فطرد ابشالوم ثم عفا عنه وعاد فأشعلها ثورة ضد داود مما اضطر الملك إلى الهرب إلى شرق الأردن ومعه حرسه الخاص (جبوريم) وانتصر قائد هذا الحرس على ابشالوم وذبحه واسترد داود مملكته الضائعة بالقوة. لكن ليس معنى هذا أن الأمر قد استتب لداود وذلك لأن رجال قصره انقسموا إلى حزبين حزب يؤيد (أدونيا) الابن الأكبر لداود وينادى بأحقية فى وراثة العرش، وكان داود يميل إلى هذا الرأى وحزب يناصر الابن العاشر أعنى سليمان وذلك بفضل المساعى التى بذلتها أمه الجميلة أقرب النساء إلى قلب الملك. ولما شعر (أدونيا) بهذا الخطر الذى يتهدهه قرر إعلان نفسه ملكا قبل وفاة

(١) صموئيل الثانى ١٩ ي ٨ — ١٠ والملك الأول ٢٢ ي ١٧ و ٣٦.

الملك داود إلا أن (بت شبع) أم سليمان علمت بهذه النية المبيتة وطلبت إلى الملك الشيخ أن يهدى العرش إلى سليمان فخشى (أدونيا) العاقبة وهرب واستجار بالمذبح راجيا العفو .

ثم مات داود بعد هذا الحادث بزمان قصير وكان شخصية تجمع كثيرا من المتناقضات كان قويا جبارا إذا ما تطلب الموقف الشدة أما مع أولاده ونسائه فقد كان ضعيفا جدا ، هذا إلى جانب أنه كان شاعرا وموسيقيًا وخطيبًا .

سليمان

(السلام) هذا هو اسم هذا الطقل الذي وضعته (بت شبع) لداود وإلى قصتها مع داود عليه السلام يشير القرآن الكريم بقوله :
إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكتفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب .
(سورة ص ٢٣ - ٢٤) .

وقد ملك سليمان على إسرائيل إلا أنه لم يكد يقبض على زمام الملك حتى قرر أن يحكم حكما مطلقا ، وقد كلفه تحقيق هذه الرغبة ارتكاب ثلاث جرائم قتل ليخلو له الجو ويقضى على العناصر التى قد تعارضه وتقف دون تحقيق أطاعه الخاصة فقتل أخاه الابن الأكبر والوريث الشرعى (أدونيا) كما تخلص من كبير الخاخامين حتى لا يشير الأحكام الشرعية ضد سليمان إذا ما خالفها . لقد ورث سليمان ملكا وأصبح كل همه المحافظة عليه وتحويله إلى وسيلة لتقوية سلطانه وإشباع مطامعه وتحقيق رغباته كما استغل سليمان ملكه ليكون مصدرا لثرائه وأبنته فلم يعبه بالمشاكل أو بمصالح قومه الحقيقية لقد أراد ملكا وملكًا مطلقا وكفى . لم يخض سليمان غمار حروب فقد بلغ داود بالملك حدودا لم يستطيع سليمان تجاوزها والمحافظة على حدودها لم يستخدم جيشا أو أسلحة بل سلك طريقا آخر ألا وهو طريق

المصاهرة فتزوج من بنات ملوك العمونيين والموآبيين والآراميين
والكنعانيين والحيثيين بل واقترن باحدى بنات فرعون فحصل عن طريق
هذا الزواج على مدينة (جيزر) .

وبعد أن أمن سليمان مملكته خارجيا أحد يعمل لتأمين عرشه داخليا
وبخاصة فهو يعرف تماما أن أهم مشكلة واجهت داود طموح بعض
القبائل إلى التمتع بنوع من الحكم الديموقراطى الذى يضمن للشعب
ابداء رأيه فيما يتخذ الملك المستبد من قرارات ، قد تؤذى الشعب جوعا
وعريا ومرضاً . ولاشك فى أن تحقيق هذه الرغبة يتعارض مع رغبة سليمان
فى الحكم المطلق لذلك ركز سليمان جهوده فى تفتيت أى تحالف قد يقوم
بين هذه القبائل كما مزق الحدود بينها ليخلق منها مشكلة دائمة تفرق بين
هذه القبائل وتلمبها عن الانتباه لسليمان وما يرتكبه من حماقات أو مخالفات
شرعية . فقسم المملكة إلى ثلثى عشرة محافظة على كل محافظ يتولى جمع
الضرائب التى يحتاج إليها الملك كما فرض على كل محافظ إعاشة الملك
وحاشيته وجيشه وخيله شهرا .

ويحدثنا سفر الملوك الأول أيضا أن سليمان عين موظفين من حاشيته
والخلاصين له اتوعية القبائل وتوجيهها لخدمة الملكية وأن العاصمة الوحيدة
التي يجب على الشعب الاتجاه إليها هى اورشليم ولكى تسيطر اورشليم
على سائر المدن والعواصم المحلية للمحافظات المختلفة يجب أن تزخر
بالعظمة والأبهة وقد نجح سليمان فى تحقيق هذه الغاية وبلوغها فأكثر
من المباني الحكومية والملكية كما حصن المدينة وأمدّها بقناة تحمل إليها
المياه من بعيد كما ختم مشروعاته العمرانية ببناء آخر جعل من اورشليم
المدينة الرئيسية ومدينة المستقبل أعنى إقامة المعبد على تل (موريا)
وهكذا تبلورت العبادات فى مكان بعينه أصبح المنارة التى تضىء للقوم

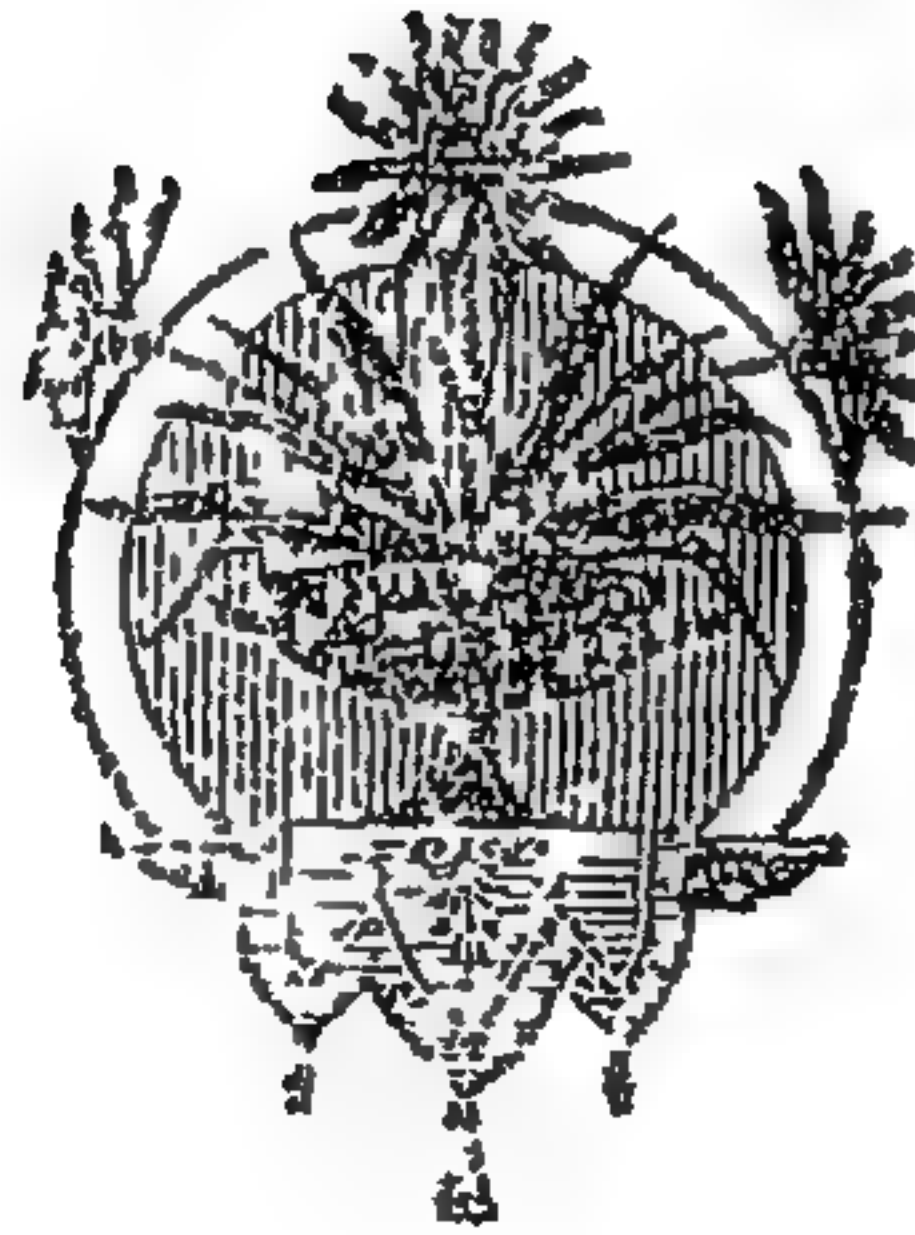
حياتهم العقائدية كما ترتب على قيام المعبد تحديد مراكز كبير الكهنة والكهنة واللاويين كما أخذ الشعب يحج إلى المعبد في أعياد الخريف .

وقد تحمل الشعب كآرها جميع تكاليف هذه المباني ونفقات الملك وحاشيته والجيش فكان الممول لا يفيق من ضريبة حتى تصرعه إدارة الضرائب بأخرى وأخرى هذا إلى جانب المبالغة في الإنتاج للتصدير للحصول على الأموال الضرورية لهذا المجتمع الجديد الذي لم يكن في الواقع إلا الملك وحاشيته وجيشه وأعوانه الذين ابتدعوا مختلف الوسائل لإنماء الدخل وازدهار الاقتصاديات فقد أصبحت فلسطين قنطرة بين آسيا وأفريقيا كما استغل سليمان شمالا وجنوبا علاقاته الودية من ناحية ومهارته السياسية من ناحية أخرى فقد نجح تجار سليمان في احتكار التجارة المصرية سلعا ونقلها كما أجبر سليمان القبائل الشمالية على شراء حاجياتهم من تجاره الخصوصيين وبالع سلیمان في احتكار وسائل كسب العيش فلم يترك وسيلة من وسائل الرزق إلا وقبض عليها ولم تغفل منه تجارة المرور التي كانت من قبل حرة فاحتكرها وفرض إتاوة عليها محتجا ببعض الطرق التي عبدها وزودها ببعض المحطات . واستغل سليمان الصداقة القديمة بين والده والفينيقيين فاشترك معهم في أسفارهم البحرية إلى جنوب أسبانيا وأمدد الفينيقيون بالملاحين وبناء السفن الذين شيدوا له أسطولاً تجارياً الذي كان يخرج من أيلات وغيرها من خليج العقبة إلى المدن الساحلية في الجزيرة العربية وأفريقيا والهند وهكذا عادت تلك الأسفار وهذه التجارة على سليمان بالخير العميم .

فأورشليم لم تكن في الواقع مقرا للملك سليمان بل للتاجر الملك سليمان .

والنتيجة المنتظرة لهذا الاحتكار الملكي للاقتصاد العام للملكة إثراء
الحاشية والطبقة الخاصة التي أسند إليها الملك هذه الأعمال الاقتصادية
فظهرت في المجتمع الاسرائيلي طبقة قوامها الحاشية والموظفون التجاريون
وقد أصبحت هي صاحبة الجاه والثروة وسال الذهب في خزائنها فتطورت
الحياة الاجتماعية الصاخبة في المدن التي أخذت تشتهر بلبائها الحمراء .
أما السواد الأعظم من الشعب فقد انزوى واكتفى بالزراعة والمهن
الصغيرة التي لا تقوم بأوده لاضطراب ميزان الحياة الاقتصادية وظهور
طبقة غنية تشتري كل حاجياتها بأفدح الأثمان بينما عامة الشعب تن
وترزح تحت نير ارتفاع الأسعار وتكاليف الحياة فتمزق المجتمع
الاسرائيلي داخليا وللمرة الأولى في تاريخه فأوجد هذا الوضع حالة
تدمر ضد سليمان واستغللت المعارضة الساخطة الحانقة تهاون سليمان
الديني وإقامة كثير من دور العبادات الأجنبية في البلاد وتكتلت معظم
الأسباط الاسرائيلية ضد هذا الحكم السليمانى المطلق فظهرت في أواخر
عهد حكم سليمان في مدينة (سيلو) حركة ثورية عارمة مناهضة
لسليمان وسياسته الخرقاء وتزعم هذه الثورة النبي (أخيا) .
وناصره (يروبعم) الذي اشتهر بقسوته الوحشية إبان توليه منصب
إدارة العميد فأعجبت هذه القسوة سليمان فعينه في إدارة السخرة
في سبط افرائيم . ولما انضم إلى الثوار حاول سليمان قتله فهرب إلى
مصر بعد أن أعطى الإشارة لاندلاع الثورة التي ناصرتها مصر وبخاصة
فالفرعون الجالس على عرشها لم يكن صهر سليمان وعملت مصر على
توسيع رقعتها فنار الأراميون والأدوميون وقوى الثورة الرفاهية
التي انتشرت في جيش سليمان فأصبح غير قادر على خوض غمار حرب
أهلية تساندها مصر التي أدركت في قوة اسرائيل السليمانية خطرا يهددها

وهكذا أدت الاضطرابات الداخلية والأخطار الخارجية ثم موت سليمان إلى الكارثة الخطيرة التي تردت فيها إسرائيل فالوحدة التي نجح داود بعد جهد جهيد في تحقيقها تلاشت والمجتمع الذي لم يعرف النظام الطبقي أصبح في عهد سليمان سادة وعبيدا أصبح رأسمالية ملكية مستواية على كل شيء وشعبا أثقل الجوع والعري والمرض كاهله فأسلت هذه الكوارث المجتمع الاسرائيلي إلى يد أعدائه فما خرج من مبي إلا ليردى في غيره حتى جاء (تيتوس) في القرن الأول الميلادي وضربه الضربة القاضية فتشرد في مختلف بلاد العالم تتلقفه الأحداث وتنتابه المصائب .



العزل

ثلاثة عصور تعاقب فيها على المجتمع الاسرائيلي ثلاثة ملوك ففرضوا على هذه العصور لاشخصياتهم فحسب بل تاريخها أيضا حتى أصبحت تعرف فى التاريخ الاسرائيلي بأسماء هؤلاء الملوك الثلاثة شاؤل وداود وسليمان فأثروا فى المجتمع وتأثروا به حتى أكسبهم أهميتهم التاريخية ، فعصر الملك الأول عصر البطل شاؤل ، وعصر داود هو عصر المزامير ثم عصر سليمان الحكيم .

إلا أن الحقيقة التى يجب ألا ننساها أن حكم هؤلاء الملوك لم يترك أثرا يذكر فى الملكية ذاتها كما أن الملكية لم تمد عصورهم بشيء من الحيوية لافتقارها إليها وعجزها عن تدعيم كيانها . نعم لقد جاء بعد سليمان ابنه (رجبهم) وحاول أن يستفيد من كل أبهة الملك وجاهه إلا أنه فشل فى تثبيت مبدأ الوراثة الملكية بالرغم من مساندة سبطى يهوذا وبنيامين لبنت داود . لقد ناصر السبطان بيت داود لا الملكية ومبدأ الوراثة وذهبت بقية الأسباط النازلة فى قلب المملكة وشمالها بعيدا فأنكرت الملكية ولم تعترف به ملكا عليها لذلك اجتمع شيوخ هذه الأسباط فى (شكيم) فسارع إليها (رجبهم) لكى يقسم مبايعة أفرادها فاعترضوه قائلين : إن أباك قسى نيرنا وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذى جعله علينا فنخذهك ، فاستمهلهم أياما واستشار الشيوخ فنصحوه بالتغاضى عن غلوائه واستبداده فترك مشورتهم واستشار الأحداث فنصحوه أن يخاطب الشعب قائلا : أن خنصرى أغلظ من متنى أبى وقد حملكم أبى نيرا ثقيلا وأنا أزيد على نيركم ، أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب .

وحدث أن (يربعام) الذى ثار فى وجه طغيان سليمان ولجأ إلى مصر لم يكده يعلم بوفاته حتى عاد إلى وطنه والتقى بمواطنيه الثائرين ضد حكم الفرد المستبد وأجمعوا على اختيار (يربعام) ملكا ، وهكذا تفككت أواصر المملكة وانحلت وقامت فى البلاد دولتان إسرائيل فى الشمال وتسمى أيضا دولة أفرام أو سميريا ، ويهوذا فى الجنوب . فنحن أمام دولتين منفصلتين متخاصمتين وأحيانا متحالفتين إلا أن لكل منهما سياستها الخاصة ثم نجد دولة سميريا تذبل وتلاشى دون أن تترك أثرا أما دولة يهوذا فتبقى ويبقى معها اليهود .

ومن أسباب ضياع دولة سميريا عدا اقحام نفسها فى السياسة الخارجية لجاراتها الخلافات الدينية التى فصلتها ثم عزلتها عن دولة يهوذا دينيا مما اضطرها إلى الارتقاء فى أحضان جاراتها عقائديا وثقافيا حتى أصبحت وكأنها أجنبية . فملكها يربعام ، الثائر ضد أسرة داود واللجوء إلى مصر لا يتوانى منذ اعتلاء عرش دولة إسرائيل أو سميريا فى تفتيت الوحدة التى بدأها داود بين مختلف أسباط المجتمع الاسرائيلي ثقافيا وعقائديا فقاوم معبد اورشليم ليجرده من أهميته الدينية كمرکز رئيسي للعقيدة وطقوسها وذلك عن طريق تدعيم معبدى (بيتل) و (دان) ومنحهما الصفة المقدسة .

وغير هذه الخطوة نجد يربعام ، يدخل عبادة (أيس) إلى بلاده ارضاء لأولئك الناقين من أبناء مملكته إسرائيل على اورشليم ومعبدها وتركيز العبادة فيها ، كما أعتنى عناية شديدة بالأماكن المقدسة المقامة على المرتفعات . وهكذا أخذ الشعب الاسرائيلي يعود ثانية إلى الطقوس القرية إلى الوثنية منها إلى الوحداية وهذا الانحراف الدينى دفع كثيرين من اللاويين وغيرهم من المتدينين إلى مغادرة البلاد والهجرة إلى يهوذا .

وأخذت عوامل التفرقة تقوى بين الدولتين حتى أن كلا منهما اعتقدت أن الوسيلة الوحيدة لتثبيت استقلالها الحرب وأن مرتبة الملك هي بعينها مرتبة قائد الجيش ولا صفة دينية له فقدت الملكية صفاتها الدينية وبخاصة فالملك قد بلغ العرش عن طريق الجيش لا عن طريقها فالملكية إذن عبارة عن مؤامرات واغتيالات وغدر وخيانة فسفر الملوك يحدثنا كيف أن «بعشا» قتل الملك ناداب الذي ورث عرش اسرائيل عقب وفاة «يربعام» وأغتصب هو الملك لنفسه وبعد وفاته ورث العرش ابنه «أيلة» فقتله (زمرى) واستولى على عرشه فثار عليه قائد الجيش (عمرى) وحاصره في (ترصة) ولما يئس (زمرى) من النصر دخل بيت الملك وأشعل فيه النار فمات محترقا.

وجلس بعد (عمرى) على العرش ابنه (أخاب) فاقترن بالفينيقية (إيزابل) فدخلت عبادة (بعل) و (عشتروت) اسرائيل كدين رسمي وأصبح الاسرائيليون يرون في المعابد عبادات وطقوسا فينيقية كما ازدحموا البلاد بالكهنة والأنبياء والفينيقيين واستوطن كثيرون من أبناء فينيقية البلاد. كما حرصت الدولة على صيانة هذه العبادات ومقاومة خصومها والتقضاء عليهم. ودخلت مع الأجانب أيضا عادات وتقاليد غريبة أثرت في حياة المجتمع الاسرائيلي تأثيرا عظيما جدا فازدهرت المهن والحرف وكثر الثراء.

ولا شك في أن سبل الحياة تتصل بالعقيدة اتصالا وثيقا فانقسم المجتمع الاسرائيلي على نفسه إلى قسمين قسم بزعامه (يونا داب بن زكب) ويعرف أنصاره بالركابين وكانوا يدعون إلى التقشف ومقاومة التبرج والبزخ أو حياة الترف والانحلال الخلق وكانوا ينادون بهجر المدن لفسادها والحياة في القرى المقامة من الخيام لبساطتها وبعدها عن زخرف الحياة

وبهزجها كما حرموا على أنفسهم الخمر والزرع وطالبوا بالعودة إلى حياة
آبائهم الأولين أعنى رعى الماشية وتربيتها .

أما المعارضة فقد تجمعت حول شخصية النبي (ياهو) الذى عارض
هذا الوضع الجديد للشعب الاسرائيلي وعقيدته وقال أنه العامل الرئيسى
للانحلال لذلك سعى جاهدا لتحطيمه فاندفع النبي (ياهو = الياس)
كالعاصفة واعطا ومنذرا ومن ثم اختفى فجأة كما تختفى العاصفة فى الصحراء ،
وقد اختفى (الياس) حقا وفى الصحراء اعتسكفا ليجمع قواه الروحية
ويعاود الكرة مرة أخرى وهكذا نجد نبي الله الياس وقد أمدّه الله بقوته
مخلصاً لربه ورسالة الله وتجمع حوله بعض الأنصار الذين يهرتهم
شجاعته وإيمانه واتخذوه مثالا رفيعا وتسمت هذه الجماعة باسم نزيريم =
نذر وقبل أن يتوارى النبي الياس اختار خليفته إلا وهو النبي (اليسع =
اليسع) كما ترك جماعة منظمة قوية إلا وهى ال (نزيريم) التى نجحت وحطمت
الأسرة الملكية الطاغية أعنى أسرة (عمري) . وإبان حكم (يهورام)
آخر ملوك أسرة عمري ظهرت آثار المجهودات التى بذلها كل من
(الياس) و (اليسع) فظهر قائد جديد طمع فى الحصول على العرش
والجلوس عليه .

هذا القائد هو (يهو) وقد سلك سلك سابقه عند رغبتهم فى اغتصاب
العرش فحاول إبادة أسرة (عمري) تحقيقا لنبوّة النبي الياس أو اليسع
لذلك عطل عبادة بعل ، كما قتل كثيرين من كهنته وهكذا اختفت فينيقيا من
المسرح السياسى فى دولة اسرائيل أو سميريا . ثم أن حكم الفرد وما يستتبعه
من حجر على الحريات المختلفة انتهى إلى ما انتهت إليه سائر الحكومات
الفردية المستبدة فقد ثار الشعب الاسرائيلي المضطهد وخرجت منه جماعة

أ) (نزييم) المعارضة لحكومة الفرد المستبد ولكل مذهب اجتماعي دخيل سواء كان تقليدا أو عادة أو عقيدة فقد نظرت إلى مثل هذه المذاهب المستوردة نظرة عدا و بغض و كراهية . وإذا أضفنا إلى الحكم الاستبدادي فشل (يربعام) الثاني في إعادة مساحة المملكة إلى ما كانت عليه أعنى ممتدة من الفرات إلى البحر الميت وانتشار الملاهي والملاذات والظلم الاجتماعي والقضاء على المعارضة وتفشي الرشوة والربا والقروض وفساد الجهاز الحكومي وضعف رجال الدين وانحرافهم عن الخلق القويم أدركنا ظهور أمثال (عاموس) و (هوشيع) وغيرهما من الأنبياء الثائرين المصلحين .

وهكذا نجد المجتمع الاسرائيلي لا يخرج من دوامة إلا وتلقفه أخرى وتتحول اسرائيل إلى مسرح للانقلابات السياسية فلا يكاد يتربع ملك على عرشها حتى يقتله آخر ويحل محله معتقدا أو مدعيا أنه يحور الشعب ويأخذ بيده إلى العزة والرفاهية وبينما تسوء الأحوال داخل اسرائيل إذ بجيرانها ينتهزون الفرصة وينتقصونها فتستولي دمشق على الجليل وجلعاد وهكذا أخذت تنكمش وتتضاءل بعد أن فقدت نصف مساحتها وشرد نصف سكانها وتحولت إلى مستعمرة صغيرة ممزقة الأوصال تلتظر مصيرها المحقق إلا وهو الموت . وحاول ملوك اسرائيل إنقاذ الموقف فعقدوا اتفاقية مع مصر التي تركتهم وشأنهم فأصبحت نهبا للغزاة أمثال سلهنسر الخامس وسرجون وأصبح سكان اسرائيل هم الاشوريون والبابليون والآراميون ولم يبق بها من اليهود إلا جماعة من الفلاحين ومن ثم اختفى الشعب الاسرائيلي وتشتت وأصبح غريبا حتى على سكان يهوذا فأهملهم التاريخ اليهودي ولم يذكرهم أو يخلدهم بمرثية أو أسطورة من الأساطير .

وبينا تعرضت اسرائيل للضياع إذ بنا في يهوذا نجد دويلة فقيرة

معدمة فقدت كل عناصر التقدم والرقى حتى منفذها إلى البحر الأحمر فقضى بذلك على مستقبلها الملاحى والتجارى . والملاحية والتجارة مصدران هامان جداً لقيام الدولة وراثتها واضطرت لضمان حياتها إلى العودة إلى الزراعة ثانية واستتبع هذا الاعسار الاقتصادى الاعصار السياسى وأخذت الدولة تفقد تدريجياً علاقاتها الخارجية ومن ثم أصبحت مسرحاً لحروب طاحنة بسبب وضعها السياسى الشاذ وتعرضها لضربات خصومها من الآشوريين وغيرهم مما اضطرها إلى محاولة الاحتباء بأشور فضاغ استقلالها .

وإذا أضفنا إلى هذا أن دولة يهوذا كانت وقتذاك ليست الدولة المستقلة ذات السيادة بل دويلة يتقاسمها الأمراء والكهنة والأنبياء . أدركنا سبب زوالها إذ كل طائفة من هذه الطوائف متباينة فيما بينها من حيث النشأة والتطور فأمراء يهوذا يكونون طبقة من الآباء الأولين ونسبهم وقد أصبحوا مع مضى الزمن إقطاعيين فموظفين ملكيين فقضاة طبقة ممتازة لها مصالحها الخاصة كما كانت حريصة على زيادة ثرائها وفيه للملكية ما لم تتدخل فى مصالحها الخاصة محاولة الحد من سلطانها أو انتقاص ثرواتها ، وهذه الطبقة هى التى كانت فى الواقع توجه السياسة الخارجية غير مكترثة بمصالح الشعب إذا ما تعارضت ومصالحها الخاصة .

أما الطائفة الثانية أعنى طائفة الكهنة فتنتسب تاريخياً إلى هرون أخى موسى ومنذ أن عين سليمان الكاهن (صادق) كبيراً للكهنة أصبحت هذه الوظيفة وراثية فى هذه الأسرة وكانت طبقة الكهنة غالباً ما تعترض الملك إذا ما حاول الانحراف عن جادة الشريعة لذلك تدين لها الأسرة الداودية ببقائها . وحرصت طائفة الكهنة على مكانتها فى المجتمع وبقائها كطبقة أكثر من حرصها على الطقوس الدينية ومباشرتها . وتعليل هذه الظاهرة أن الفكرة اليهودية كانت فى ذلك الوقت فى دور

التكوين والكفاح شكلاً وموضوعاً فمن الناحية الشكلية حيث يتفق الشكل مع الطقوس وتتجلى هذه الظاهرة في معبد أورشليم ، والموضوعية مقاومة العقائد الدخيلة التي من شأنها إضعاف القومية وإ انحلال الأخلاق واستتبع هذا التطور ظهور فكرة الوجدانية العلمانية التي نجدها واضحة في سفر التثنية الذي وضع إبان قيام الدولتين الشمالية والجنوبية ولو أن وضعه الحالي ينم عن تدوينه في عصر متأخر . وفي أيام داود وسليمان وضعت أقدم الأجزاء في العهد القديم وأثناء قيام الدولتين جمعت أخبار القبائل وقصصهم بدافع من الأنبياء ثم أضيفت إلى هذه القصص قصص أخرى وشرحت شروحاً تتفق والأهداف التي جمعت من أجل تحقيقها إلا أن هذه القصص أثارت كثيراً من الخلافات بين الدولتين كما يتضح لنا هذا من تكرار القصص وتضاربها فمثلاً قصة الطوفان فالآية الثانية عشرة من الأصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام أربعين يوماً وأربعين ليلة بينما نقرأ في الآية الرابعة والعشرين من الأصحاح السابع في السفر عينه أنه دام مائة وخمسين يوماً . كذلك قصة الخلق مثلاً جاءت في الآية السابعة والعشرين الأصحاح الأول وفيها كان الإنسان آخر الخلق وعرض لنفس القصة في الأصحاح الثاني ي ٤ - ٢٥ فكان الإنسان هو الأول وبعده جاءت الأشجار وحيوانات الحقول فطيور السماء وفي سفر التكوين ص ٤ ي ١٧ - ٢٢ نفهم أن طوفاناً قضى على كافة البشر لم يحدث وذلك لأن النص يقول أن (لامخ) يرجع إلى نسله جميع سكان الخيام ورعاة الماشية وكل ضارب بالعود والمزمار وآلة نحاس وحديد وأن سلسلة النسب لم تقطع بين هؤلاء الناس وبين (لامخ) الذي عاش قبل الطوفان ولا بينه وبين الإنسان الأول ويحدثنا سفر التكوين أيضاً في إصحاحيه التاسع الآية ١٩ والإصحاح العاشر الآيات ١ - ٣٢ أن الأرض كانت عامرة بالسكان وكان ذلك العمران شيئاً طبيعياً بينما نجد في نفس السفر الإصحاح الحادي عشر الآيات ٤ - ٩

أن انتشار السكان على الأرض كان عقوبة ولم يكن شيئاً طبيعياً . ومثل هذه المفارقات كثيرة بين قصص العهد القديم وقد أثرت كثيراً في نفسية المجتمع الإسرائيلي كما تبدو لنا في عاداته وتقاليده وطقوسه الدينية وأغانيه وترانيمه وقصصه المتصلة بأعياده وأخباره الخاصة بسير آبائه وكتابه المقدس . وخير مظهر تتجلى فيه هذه الحقائق ظهور الأنبياء في المجتمع الإسرائيلي .

النبوة

النبوة ترجيح وإدراك الواجبات التي على الإنسان القيام بها في مجتمعه أولاً والعالم ثانياً طوال حياته لا لله فحسب بل لساثر المخلوقات أيضاً . وهذا الترجيح أو التنبؤ مصدره الشعور الديني المرهف والجلاء الروحي وإدراك الأمور التي قد تؤدي إلى انهيار المجتمع اجتماعياً وخلقياً .

فالنبوة إذن عبارة عن عنصر مزدوج ديني وأرضي لا يوجد دين بدون أرض ولا يوجد في عالم الأديان ما لا يوجد في عالمنا الأرضي وإلا لكان الدين عبارة عن أوهام وخيالات لا حقائق واقعية ونحن عندما نتحدث عن الدين يجب أن نأخذ الحياة كلها بعين الاعتبار نعم قد يتوقف تحقيق الأهداف أو القضاء والقدر على السماء إلا أن الأرض هي وطن الكائنات الحية فلا فائدة من السماء بدون أرض .

أن مجيء الأنبياء ظاهرة تاريخية إلا أنهم غير محدودى الزمن ومن هنا كانت النبوة ظاهرة عالمية تقع في مختلف العصور . وفي المجتمع الإسرائيلي نجد النبوة تنتشر انتشاراً واسعاً لا حدود له كما إن نبوة النبي تعنى بالناحيتين الدينية والاجتماعية وقد ظهر الأنبياء من مختلف طبقات الشعب لذلك فهم يختلفون فيما بينهم في نبوءاتهم وأعمالهم فنبوذة (دبورا)

يدائية بسيطة تتركز في الدعوة إلى وحدة الشعب عقائدياً بخلاف نبوة
شموئيل فمتعددة النواحي فهو نبي وصوفي ويمثل الحب الالهي تمثيلاً
صادقاً . وفي عصر داود نجد نوعاً هادئاً من الانبياء امثال (ناثان)
و (جاد) و (اخيا) الذي يتميز باهتمامه بالسياسة في العصر السليماني
ثم النبي (الياهو) الذي طالبه الشعب بالمعجزات وكان من دعاة طهارة
العقيدة وثقاتها . وكان من اتباع طائفته (نزيريم) معارضا للملكية المطلقة
ثم جاء بعده النبي اليشع فليخص رسالته في عبارته المشهورة : القضاء على
أسرة عمري الملكية . وفي القرن الثامن ق . م . ظهر امثال (عاموس)
و (هوشيع) في دولة سماريا واشعيا وميخا في دولة يهوذا .

ويتميز انبياء المجتمع الاسرائيلي بظاهرة مشتركة الا وهي المثالية
أعني مثالية الصلات بين الحياتين الدنيوية والاخرية أي الصلة بين
الوجودية وهدفها . ويقرر هؤلاء الانبياء ايضاً أن حياة الإنسان لا تهدف
إلى أنه جاء إلى الوجود ليعيش ليا كل فقط ، فلو كان الامر كذلك فبئست
الحياة لذلك فمؤلاء الانبياء يحاولون أن يصلوا بين الوجودية وبين الجوهر
الالهي والوصول إلى هذه الغاية من عمل الانبياء وإلهم يرجع الفضل
في بعث هذه الفكرة .

وهكذا نجد الإنسان يعنى بإنسانيته ومن ثم يذهب بعيداً فيخرج من
دائرته الخاصة ليتصل بالله في الوجود وهذه هي الفكرة الأساسية للنبوة والله
هو منظم الحياة وهو ينظمها تنظيمها لا يجعل منها هدفاً أو وسيلة للحصول
على منافع بل للأخلاق وهذه هي الفكرة الرئيسية الثانية للوحدانية .
وهكذا نجد الانبياء يخضعون الحياة الإنسانية في كل ألوانها إلى هذه الدعائم
التي تقوم عليها الوحدانية . فطقوس الوحدانية مثلاً يجب أن تكون
بعيدة عن الطقوس الوثنية ويقصد بهذا الفصل ولو ظاهرياً بين شعب النبي
وبين الشعوب الأخرى المجاورة له وذلك لأن الطقوس الدينية الوثنية

تحمل صفة السحر والتعاويذ والأنبياء يريدون مقاومتها وإحلال القرايين مكانها . ففي السحر نجد القوم ينادون المعبود ويقسمون به ويلجأون إليه ويتملقونه كما أن السحر يتبعه نذر أو أجر فالمرضى إذا صلى أراد الشفاء والإنسان الذى يقدم أضحية يريد جزاء . أما صفة القربان الملزمة للصلاة والأضحية وضع الإنسان مع الله مباشرة فالقرايين تقابل الصلاة التى يؤديها الإنسان بشفتيه لذلك نجد النبى يخاطب الشعب مستذكراً الاحتفال بأول الشهر أو الأعياد كما أنه ينكر القرايين وهكذا تعود الصلة ثانية بين الشعب والله . وإذا نظر الشعب إلى الله على أنه رب العالمين وأنه رب الجميع فى مختلف أجزاء المعمورة ضاعت فكرة (شعب الله المختار) ويصبح العكس صحيحاً لذلك يقول النبى عاموس ٣ ٢ : إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم .

وتتركز الخصومات العقائدية فى ذلك العصر فى نبوءات أرميا فقد جاءته النبوة شاباً وكان كارها لها لعجزه عن تحملها وإذا تساءلنا عن رسالة هذا النبى « أرميا » وجدناه يعيش بين شعوب متناحرة ودول متحاربة تتكالب على توسيع رقعة بلادها على حساب الآخرين ويسائل أرميا نفسه عن هذه الأحداث أتقع اعتباراً أم تقديراً من الله العزيز الحكيم لا شك فى أنها من صنع الله وذلك لأن لهذه الأحداث هدفها وغايتها فاستخدام القوة إذن وسيلة من وسائل الله لتحقيق غاية خاصة ولما تضعف القوة وتصبح غير قادرة على الحياة يقضى عليها الضعف لا القوة فهنا ضعف يقضى على قوة عاجزة عن الحياة . فهذا الضعف وهذه الفوضى أو بتعبير آخر انعدام القوة الرادعة يجب أن تعوضها الإنسانية بالأخلاق والسير فى الطريق المستقيم فالدين وحده هو الذى يفصل بين الحق والباطل والظلم والعدل . وترتب على هذه الرسالة النبوية أن البقية الباقية من المجتمع الإسرائيلى والتى لجأت إلى يهوذا استغنت عن الزعامة السياسية واستسلمت

للدول القوية المحيطة بها وأعادت بناء كيائها لا على أسس قد يتغلب عليها
الخصم ، أعنى القوة ، بل بارساء قواعد كيائها على العناصر الحقيقية الخالدة
وذلك لأن سـ لامة الأمة تقوم على الاستقرار والثقة لذلك أثر
الإسرائيليين العودة إلى المجالين الروحي والعقلي أو الثقافي .

وحدث عام ٦٢٢ ق . م . إن حاول الملك (يوشياهو) هذا الملك
الذى هزم شر هزيمة فى موقعة مجيدو وقتله الفرعون المصرى (نيكو)
ادخال إصلاح على المعبد الذى تقام فيه الطقوس طقوس عبادة (يهوه)
فعثر على وثيقة لا نعرف عمرها وهى عبارة عن نسخة أخرى بأسلوب
خاص للشرعية المدونة والنص الجديد تكرر وتجديد للشرعية القائمة وهى
تعالج صلة الإنسان بالله والمجتمع وهى فى صورة عظات وضعت على لسان
موسى قبل موته وأهم محتوياتها :

- ١ - العهد القديم ميثاق بين الله وشعبه المختار .
- ٢ - يتعهد الشعب بطاعة الله .
- ٣ - كينونة الشعب تتوقف على مدى طاعته أو عصيانه لربه .
- ٤ - الله يفعل بهذا الشعب ما يريد .
- ٥ - الله لا يحده زمان وهو أقوى القوى .
- ٦ - كينونة الشعب صلته بالسماء والأرض ومرجع هذا سلطان
الروح والعقل .
- ٧ - يحى الإنسان إلى هذا العالم ليس صدقة فلا يخشى الإنسان
وجوده فهناك عنصر إلهى رفيع وهو سر الوجود .
- ٨ - الحياة وجود .
- ٩ - الوجود وسيط لمعرفة الله خالق الكون ، وليس لله شكل ،
هكذا هو الله .

١٠- الوجود متصل بالأرض وهو العدالة التي تربط البشرية .

١١- الظلم مظهر القوة التي هي سبب التفاوت وعدم المساواة .

هذه هي أهم تعاليم هذه الوثيقة وهي ولا شك ميثاق اجتماعي خطير ينظم الحياة والعلاقة بين أفراد المجتمع الإسرائيلي وذلك لأنها تعنى ، كما عנית شريعة حموربى ، بالجزاء والعمل والأجور والخدمات الاجتماعية للمحتاجين وتشجيع الزواج والحث على احترام الوالدين والأرامل واليتامى ومن تعاليم هذه الوثيقة تدبى أن مملكة الله هي هذه الدنيا والتي هي مملكة الإنسان أيضاً . هذه هي حقيقة ديانة المجتمع الإسرائيلي الذى انقسم على نفسه حولها وبخاصة عندما حاول بعض اليهود القول بأن حياة الإنسان فى هذه الدنيا تمهيد لحياة أخرى والواقع أن اعتبار الحياة قنطرة إلى أخرى يتعارض مع نصوص العهد القديم فى سفر اشعيا (١) : نقرأ « أن الهاوية لا تحمدك ، الموت لا يسبحك ، لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك . الحى الحى هو يحمدك كما أنا اليوم الاب يعرف البنين حقاك .

إسرائيل عبر التاريخ

الجزء الثاني

التوراة

(لا يريدنا أحد)

(لودفيج ليفرون)

أصاب اليهودي الأمريكي الصهيوني بعبارة هذه كبد الحقيقة
فلا أعرف شعبا كالشعب اليهودي ينعصه الناس ويحبونه وذلك لكثرة
ما جاءنا عنه في الكتب السماوية وغيرها وقد حاول الكثيرون عشا
التوفيق بين هذه الأقوال المتضاربة المتنافضة .

وإذا أردنا اليوم إنصاف التاريخ حقا وجب علينا مراعاة الأمانة
العلمية فنعرض لهذا الشعب كما عرض له الوحي فنذكر حسناته وسناته لذلك
وجدت أن من خير الوسائل لتحقيق هذه الأمانة الاعتماد خاصة وقبل
كل شيء في هذه الموسوعة ، التي ستقدم هذا الشعب منذ البدء حتى اليوم
جنسارا اجتماعيا وعقائديا وثقافيا وسياسيا ، على المصادر الإسرائيلية وتلك
التي أصدرها علماء يهود سواء كانت هذه المصادر في العبرية أو غيرها .

ويسرنى اليوم أن أقدم الجزء الأول منها خاصة بالمجتمع الإسرائيلي من
البدء حتى التشريد راجيا تيسير تحقيق هذه الرسالة .